

تأليف

الدكتور منجي الكعبي

الدار العربية للكتاب







النهشلي القيرواني

أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي المتوفى سنة 405 هـ

تــأليـــف

الدكتور منجي الكعبي

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

حسن يوسف الكويتي

ليبيـا ـ تونس
1978 / 1398

حسن أبو عون الكويتي

مُقدّمة

يلاحظ في مجال الأدب العربي في إفريقيّة أنّه لم يحظ قرن من القرون الأولى بمثل ما حَظِيَ به أدب القرن الخامس الهجري ، فلقد دُرست أعلامه البارزة من الأدباء والشّعراء ونُشرت كتبُ عدد منهم مثل ابن رشيق وابن شرف والحصري الضّرير . وهؤلاء كانوا يكوّنون مدرسة واحدة ضمن جماعة أدبية عديدة الأفراد ، ولا زلنا نفتقد — مع الأسف — إنتاجها .

والذي لفت نظري فيما كُتب عن أولئك الأدباء والشّعراء الثلاثة وفيما كتبوه هم أنفسهم التنويه بثلاثة أدباء مرموقين ، يعدون من أبرز أساتذة هذه المدرسة التي ازدهرت في النّصف الأوّل من القرن الخامس وهم : الحُصري صاحب زهر الآداب المتوفى سنة 412 ، وأبو عبد الله محمّد بن جعفر القزّاز المتوفى سنة 412 ، وعبد الكريم النّهشلي المتوفى سنة 405 .

أمّا الحصري فقد نُشر ما وصل إلينا من إنتاجه منذ مدّة وأصبح أكثر شهرة لدينا من زميليه . وأمّا القزّاز النّحوي والنّهشلي الشّاعر النّاقد فقد ذُكر أنّ لكلّ منهما كتاباً مخطوطاً ذا أهميّة بالغة في تاريخ الأدب ونقده وأنه ينبغي دراستها .

فأقبلْتُ على عبد الكريم النّهشلي وكتابه المومأ إليه عنوانه : المُمْتِع في علم الشّعر وعَمَله .

* * *

ولم تكن المعلومات الأساسية التي استقيتُها مبدئيًا من المصادر تُغري بعمل دراسة مستوعبة وافية عن حياة عبد الكريم النّهشلي وأدبه . فلقد كانت معلومات ضئيلة نسبيًا لكن الإشارة المتواترة من الباحثين الذين عرّضوا له ، كانت تحفّزُ الهمّة بقوّة إلى دراسته . خاصة وقد اكتُشف كتابه المُمْتع الذي كان مأسوفًا على فقده منذ مدّة طويلة .

وقد وجدت هذا الكتاب يحظى بأهمية كبيرة لديهم يمكن حصرها في ثلاث نقط :

أولا : أنّ ابن رشيق ينقل عنه كثيرًا من كتابه « العمدة ... » كمصدر من مصادره الأساسية .

ثانيا : أنّ ابن رشيق يتحدّث عن مؤلّفه حديث المُعْجَب بأدبه ونقده وشعره ، والمعترف بأستاذيته .

ثالثا : أنّ كتاب المُمْتع بلغ من الشّهرة في عصره إلى الحدّ الذي جعل ابن رشيق يقتصر – في العمدة – على الإشارة اليه بالكتاب المشهور للنّهشلي دون أن يسميه .

وصدورًا عن هذا كان الإلحاح على ضرورة الوقوف بدّقة على محتوى الكتاب وتقييمه ودراسة تأثيره في العمدة وغيره .

وكانت تلوح من وراء هذه الدراسة مجموعة نتائج مهمة يمكن أن تفضي إليها او إلى شيء منها ، وهي :

أ – إبراز صفة ما مغربيّة في هذا الكتاب .

ب – إثراء محصولنا من شعر شعراء القيروان وغيرهم من أهل المغرب .

ج – اتّضاح ملامح أكثر عن الحركة النّقدية التي تمخّضت عن ابن رشيق وكتابه القيم « العمدة ».

د – الظّفر بمعلومات جديدة عن الحياة الأدبيّة عامة في القرن الرابع سواء في المغرب أو المشرق

هـ – تحديد أهمية النّهشلي نفسه كأديب وشاعر وناقد على ضوء هذا الكتاب .

و – تصنيف الكتاب، أي ردّه على أساس علمي صحيح إلى صنف من أصناف التآليف المختلفة .

كل هذه الأهمية المتصوّرة وكل هذه النّتائج المُنتظرة كانت لا بدّ تدفعني إلى اقتحام هذه الدراسة بالرغم ممّا كانت تنطوي عليه من صعوبات جمة .

* * *

وانقسمت الرسالة تبعا لذلك إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأوّل : بيئة النّهشلي وحياته ، والقسم الثاني دراسة كتابه الممتع وتحقيق نصّه عن النّسخة الفريدة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 54 ش . وينقسم القسم الأوّل إلى فصلين هامين :

في الفصل الأوّل عرضت وصفًا موجزًا لحياة القيروان في القرن الرابع . ومهدت له بكلمة عن نشأة هذه المدينة وتطورها ، لِما لها كعاصمة إفريقيّة كبرى من تأثير في حياة أدبائها ومن أثر في شهرتهم الشّخصية ، ثمّ تحدّثت عن ملامح من جوانب حياتها العامة .

وفي الفصل الثاني بحثت عن حياة النّهشلي وإنتاجه وحاولت فيه أن أرسم بقدر ما لديّ من المعلومات الأساسية صورة لحياة هذا الأديب فعددت مصادر ترجمته أوّلاً وفاضلتُ بينها ، ثمّ تتبّعتُ نشأته وثقافته وعرّفت بمشاهير شيوخ القيروان ممن دَرَس وأخذ عنهم أو ممن هم بهذه المثابة بالنسبة له . وتوقفت بصورة خاصة عند وصف الحياة الأدبية وازدهار الشّعر وحركة النقد ونشاط التأليف الأدبي في عصره .

وجمعت بعد ذلك شعره المشتّت في المصادر المختلفة وحلّلته مبيّنًا خصائصه ومميزاته ونقدته وأشرت إلى كتابه الممتع في علم الشعر وعمله وتقدير الباحثين له . ثمّ عرّفت بالمشهورين من تلاميذه وختمت هذا الفصل بالكلام عن وفاته .

ويتألف القسم الثاني الذي خصصته لدراسة كتاب الممتع وتحقيقه إلى فصلين أساسيين في الفصل الأوّل منهما – وهو يتعلّق بالنسخة التي وصلتنا من الكتاب وتحدّثت عن الظروف الملابسة لاكتشافها ، وأثَرْتُ المشاكل التي يمكن أن تُقدّم حول مدى مطابقتها للأصل ، وبيّنت رأيي في ذلك ، ثمّ أخذت في وصف محتوياتها مع تحليلها ومقارنتها بغيرها من كتب الأدب . وحاولت أن أتلمّس الخطّة التي كانت في ذهن المؤلف عند تأليف الكتاب ، وحاولت أن أرجع الكتاب على أساس ذلك إلى صنف محدّد من أصناف التآليف المختلفة في الأدب العربي مع إبراز مكانته داخل ذلك الصنف ، ومضيت من ذلك إلى البحث عن مصادره المباشرة وغير المباشرة . وبعد ذلك انتقلت إلى محاولة تقدير شخصية المؤلف كما يتجلّى لنا من خلال كتابه بالشّكل الناقص الذي وصلنا عليه . واستعرضتُ آراءه الأدبية والنقدية في الكتاب ومن خلال ما ورد منها في كتاب العمدة لابن رشيق وممّا استقيته من المصادر الأخرى مع تحليل تلك الآراء ومقارنتها ونقدها . ثمّ عرضت لتقييم كتاب الممتع بالنسبة لعصره وبالنسبة لما يضيفه إلى معلوماتنا في تاريخ الأدب العربي ونقده . وختمتُ هذا الفصل بالحديث عن تأثيره

في الكتب التي ألّفها ابن رشيق والحُصري صاحبُ زهر الآداب وغيرهما من المؤلفين القيروانيين .

ويقوم الفصل الثّاني من القسم الثّاني على تحقيق نصّ النّسخة المشار اليها من كتاب المُمتع*. وقدّمتُ لذلك بوصفٍ للنّسخة وبيان للمنهج الذي اتّبعتْه في تحقيقها وفهرستها .

وذكرت في آخر ذلك النتائج الهامة التي توصلت اليها من وراء هذه الدراسة وهي نتائج ذات أهمية خطيرة بالنسبة لمّا كان متوقعًا عند بدء الدراسة وبالنسبة لما كان يتناوله الباحثون قبلي .

* * *

لقد كانت المراجع والمصادر التي أمّلتُ في بداية دراستي أن تساعدني في عملي مخيّبة للظن فأهم الكتب المرجعية المعتمدة في تاريخ الأدب العربي لا تذكر عبد الكريم النّهشلي ولا كتابه الممتع في كثير ولا قليل ، مثل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان وتاريخ آداب اللغة العربيّة لجرجي زيدان فما بالنا بدائرة المعارف الإسلامية والأمر كذلك بالنسبة لكتب التراجم والأخبار الأدبيّة المعروفة، فهي تخلو من ذكر النّهشلي تمامًا ، مثل وفيات الأعيان لابن خلّكان ومعجم الأدباء لياقوت الحموي وإنْبَاه الرّواة للقفطي وبغية الوُعاة للسيوطي وغيرها .

ولولا العُمَري في كتابه مسالك الأبصار، والصّفَدي في كتابه الوافي بالوفيات اللّذان احتفظا لنا من حسن الحظ بشيء من ترجمته نَقْلاً عن كتاب الأنموذج في شعراء القيروان لابن رشيق — وهو مفقود — لولاهما لما استطعنا أن نكتب كلمة عن عبد الكريم النّهشلي .

وكل ما كتبه المحدثون — على قِلّته — لا يتعدّى التّعريف بشخصية النّهشلي اعتمادًا على مسالك الأبصار في الغالب ، واستعراضَ أبيات من شعره دون تحليل ولا نقد وإيرادَ فِقَرٍ من كلامه الذي ذكره له ابن رشيق

* طبع نص الممتع مستقلا مع الفهارس ونشرته الدار العربية للكتاب هذا العام .

في العُمدة كما جاء ذلك في أكثر ما كتبه العلامة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتبه ومقالاته عن أدب إفريقيّة، وكما جاء ذلك في كتاب «النتف في شعرَيْ ابن رشيق وزميله ابن شرف» للأستاذ الميمني . ولا يزيد بشيء ما جاء في المراجع المذكورة كتابُ «حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها» للدكتور عبد الرحمان ياغي . ومعظم من درسوا ابن رشيق في رسائل جامعية كانت أطرف معلوماتهم عنه الإشارة إلى ظهور كتابه الممتع لأستاذه النّهشلي . ولم أر أحدًا منهم تصدّى لدراسته وتحليله ونقده ، وبالتالي إلى بيان قيمته وإبراز مكانة صاحبه على ضوء ذلك . وأخيرًا وأحدث ما كتب عن النّهشلي مقال بعنوان «ظهور كتاب النّهشلي» حاول فيه كاتبه السيد الشاذلي بو يحيى أن يثبت صحة نسبة نسخة الممتع المشار اليها في دار الكتب للنّهشلي .

ولم أقتصر طبعًا في دراستي على المصادر المعروفة لدى هؤلاء الباحثين بل بذلت غاية جهدي للبحث عن غيرها ، وكلّفني ذلك وقتًا ثمينًا وجهدًا مُضْنِيًا في القراءة في المخطوطات الأدبية المتعدّدة في مكتبات القاهرة وتونس ، وكان يراودني دائمًا الأملُ في العثور على نسخة أخرى من كتاب الممتع أو على الأقل في العثور على مزيد من أخبار للنّهشلي وشعره . ولم أخرج رغم ذلك بغنم كبير .

وفتّشت أيضًا في فهارس المخطوطات العربيّة في المكتبات العالمية المعروفة في عالم الاستشراق وفي البلاد العربيّة وبحثت أيضًا في المكتبات الخاصة التي أُتيح لي الاتّصال بها في تونس فلم أظْفَر بنسخة أخرى للكتاب ، واضطررتُ أخيرًا إلى الاعتماد في تحقيقه على تلك النسخة اليتيمة والمنقوصة والمغيّرة ألوانًا من التغيير والمختصرة مع ذلك ، وهي المحفوظة برقم 54 ش بالمكتبة الشنقيطية بدار الكتب المصرية .

ومع أنّ عملية التحقيق على نسخة مفردة عملية صعبة وشاقة وتكتنفها مخاطر عديدة ، فقد كانت هذه النسخة مُسْتَغْلَقَة عن القراءة لاختلاف

إملائها عن إملائنا الحالي وبسبب عدم تشكيل حروفها حتى في كلمات الالتباس والأعلام وأكثر من ذلك عدم إعجام مُعْظم حروف ألفاظها ثم تداخل النّثر بالشّعر فيها أحيانًا .

وكانت الخطّة العامة التي جربت عليها في إعداد هذه الدراسة وتحريرها تتلخص في النّقط التّالية :

أوّلا : حاولت أن لا أقرر بالتأكيد إلاّ الحقائق التي تتمتع بأدلّة علمية ثابتة وميّزْتها عن الاحتمالات والفروض والتّعميمات .

ثانيًا : حاولت أن أؤدّي بأمانة آراء غيري من الباحثين السابقين مع تمييز آرائي الخاصة في سياق البحث دون ادّعاء أو تحامل في الحكم والمقارنة ...

ثالثًا : حاولتُ أن أستبعد اوّلاً من ذهني الأفكارَ المسبقة التي تتصل بموضوع الدراسة ثمّ رجعت إليها بعد ذلك بالمناقشة .

رابعًا : حاولت أن أنبذ من عبارتي كل ما ليست منه فائدة علمية محققة أو محتملة فتخلّيْتُ عن الأسلوب الإنشائي والفنّي الذي ينبغي أن تخلو منه البحوث الجامعية .

خامسًا : حاولتُ أن أفرض على نفسي عزلَ جَميع ما حصلت عليه بسبيل هذه الدراسة ممّا لايخْدُمُها خدمةً مباشرة أو ذات صلة مقبولة .

دساسًا : حاولتُ حتّى حينما أدركت النّقص الفادح من المعلومات الأولية التي تحتاجها هذه الدراسة في بعض أجزائها أن ألتزم الاستغناء التّام عن الحشو والاستطراد .

وأخيرًا أرْجو أنْ أكون قد وقفت إلى أداء الموضوع حق دراسته كما تصورته وبالقدر الذي كان في استطاعتي عمله . وأعرف أن هذه الرسالة

في صيغتها الأخيرة لا تستطيع أن تشهد إلا بالقليل من الجهد الذي بذلته. ومع ذلك فإنّي آمل أن أُرى قد بذلت ما تستحقه مثل هذه الدراسة من جهد .

وعسى أن يكون أقل كسب لهذه الدراسة الكشف عن شخصية أدبية مجهولة كان لها دورها في ازدهار الحياة الأدبية في القيروان في عصرها الذهبي، وتحقيق ما تبقى من نص كتابها الاصلي الذي كان مرجعا أساسيا للادب ونقده في وقت من الأوقات،ومدّ الباحثين بمعلومات صحيحة نسبيا عن ذلك .

* * *

ويسعدني أن أسجل في ختام هذه المقدمة اعترافي العميق بفضل جميع أساتذتي في تكويني العلمي الذي أثمر هذه الدراسة وأشكرهم كثيراً ؛ وخاصة أستاذي الدكتور عبد العزيز الأهواني فقد مدني بعلمه الواسع ، وسدّدني بتوجيهاته النيّرة ، وبذل لي فوق ما كنت أتصور من عنايته وتشجيعه المعهودين .

هذا مع شكري الجزيل لجميع الإخوان والأصدقاء والعلماء الذين استفدت من مساعداتهم أو خبراتهم في جزئية من جزئيات هذا البحث . والله أسأل أن يجازيهم عني أحسن الجزاء ويجعل خطاي موفقة أحسن فأحسن على منهج العلم الصحيح .

القاهرة في جانفي (يناير) 1967 — منجي الكعبي

حسن يوسف الحويثي

تمهيد

تمتاز الشخصية الأدبيّة بكون دراستها تقتضي تصوير العصر الذي عاشت فيه ، وذلك ضروري لعلاقة الأدب بالحياة في جميع مظاهرها الانسانية . وربما لايكتفي الباحث بذلك بل يتطلب الأمر أحيانا أن يتعمق دراسة الماضي التاريخي للبيئة التي ظهرت فيها الشخصية ، لربط بعض المظاهر الحياتية المعاصرة لها بجذورها .

وتكون مهمة الدارس سهلة أحيانا ، عندما يكون العصر الذي تنتمي اليه الشخصيّة التي يبحثها واضحا تاريخيا ومدروسا من جوانبه الحضارية المختلفة ، إذ يمكنه عند ذلك أن يستغنى عن عرضه بتوسع في دراسته ، وقد يكتفي بالإشارة اليه والإحالة على مراجعة الوثيقة ، أما عندما يكون الأمر على خلاف ذلك ، فلا بدّ من محاولة لدراسة العصر وابراز ملامح من جوانبه المؤثرة والمتأثرة بالأدب قبل دراسة الشخصية الأدبيّة نفسها . وهذا ما بدا لي ضروريا القيام به في دراستي للأديب القيرواني : عبد الكريم النّهشلي . فعصره وهو القرن الرابع الهجري في إفريقية ، لم يظفر لحد الآن بباحث متخصص يوفيه حقه من البحث والدراسة التاريخية .

ولأهمية مدينة « القيروان » كعاصمة حضارية كبرى لإفريقية في هذا القرن ، وبالتالي كعامل غير قليل الأهمية ، من حيث إنها تضفي من شهرتها على

شهرة عظماء أبنائها بالرغم من كونهم يتضافرون جميعا في خلق شهرتها وتنميتها . رأيت ان أوجز تاريخ نشأتها وتطورها ، وأركز بعد ذلك الحديث بشيء من التفصيل على عدة جوانب من حياة هذه المدينة في القرن الرابع . وسيكون الحديث عن الحياة السياسية في هذا القرن مرتبطا بلمحة عن الأدوار السياسية المتقدمة عنه ، ولا يكون طويلا مع ذلك . ونظرا لعلاقة السياسة في الدول الاسلامية القديمة بالدين داخلت الحديث عن أشهر المذاهب الاعتقادية ، التي مارست نفوذا في إفريقيّة . مع الحديث عن السياسة هناك . وأما الحياة الاجتماعية والحياة الثقافية في هذا العصر : عصر النّهشلي ، فقد استعنت في تصويرهما ، بقدر ما أمكنني ، من معلومات مختلفة استقيتها من تاريخ القرن الرابع والقرنين قبله ، وكان لا بد لي من الرجوع إلى بعض معلومات هذين القرنين ، لما هو مقرّر من أن المستوى الثقافي لكل عصر وأوضاعه الاجتماعية يمثلان ، بقدر كبير حصيلة تقاليده ، وموروثه الاجتماعي والفكري من العصور السابقة .

وقد يبدو غريبا الحديث عن الحياة السياسية تمهيدا لدراسة النّهشلي . ونحن لانعرف له مشاركة قوية أو ضعيفة في السلطة ، وليس في إنتاجه الذي وصلنا مع ذلك انعكاسا يذكر لأحداث سياسية معاصرة . وايضا ،فقد يكون الحديث عن الحياة الاجتماعية في عصره ليس أقل غرابة من ذلك ، لجهلنا بوضعيته الأسرية وكيفية نمو كيانه الفردي داخل بيئته واحتمال تبادل التأثير والتأثر بين مواقفه الشخصية وتقاليد مجتمعه .

بيد أن نقص معرفتنا بسيرته الذاتية ليس سببا داعيا لإغفال الحديث عن هذه الجوانب في الحياة العامة لعصره . بل بالعكس ، كانت هناك أمامي مبررات عديدة تزين لي الاعتناء بذلك ، منها أن معظم معاصريه من الأدباء ، الذين لايقلّون عنه شهرة نعرف لهم مشاركات ، وإن كانت تختلف أهميّة ، في تيار السياسة آنذاك ، وكانت لهم أيضا مواقف اجتماعية مأثورة ، ومنها أنه لم يكن أكثر احتكاكا بالساسة من بين العلماء من أهل الشعر والأدب

عامة ، ومنها أن الحكام كانوا عادة يشترون ألسنة الشعراء والكتاب وأقلامهم مطية لنشر نفوذهم وتخليد ذكرهم ، ومنها أن تاريخ الأدب يشهد بأن كثيرا من الإنتاج الأدبي يدين بتشجيع ذوي السلطة على تأليفه . وعلى ذلك فلا يخلو أديب في عصره من اتصال ما بالسياسة . وحتى إذا افترضنا أنه لم تكن للنّهشلي علاقة بالسياسة من ناحية من تلك النواحي المذكورة أو غيرها — وهو أمر مستبعد كما سنرى — فلا أقل من أن نرد إذن خمول ذكره في التاريخ بعد شهرته — وهو أمر واقع فعلا — إلى عزلة سياسية واجتماعية كانت تطبع شخصيته ، وتكون دراستنا لعصره ضرورية رغم ذلك لندرك أثر شخصيته في مجتمعه سواء كان أثرا إيجابيا أو سلبيا .



الفصل الأول

ملامح عن نشأة القيروان وتطورها (1)

لم تكن في إفريقية بلدة أو مدينة تعرف بالقيروان ، أو ما يقارب هذا الاسم ، قبل أن يفتتح العرب المسلمون هذه البلاد . فلم يكن الأمر في تأسيس القيروان مثل كثير من الأمصار الاسلامية من هذه الناحية ، وإنما يعزى الفضل في إنشاء هذه المدينة من أساسها إلى الفاتح العظيم عقبة بن نافع الفهري .

وكان عقبة قد تولى قيادة الفتح في السنة الخمسين بعد الهجرة ، في خلافة معاوية ابن أبي سفيان . وكان الفاتحون قبله ، الذين خرجوا في آخر خلافة الراشدين لغزو المغرب ، قد مهدوا كثيرا من بلاد إفريقية ، ففتحوا برقة وطرابلس وتقدموا في اتجاه شمالي إلى أن عسكر الجيش في موضع ، يقع في وسط القطر التونسي حاليا ، وسموه « القيروان » قيل : إنها كلمة

(1) تشكو مصادرنا عن تاريخ افريقية فى القرون الاولى نقصا فادحا لافتقادنا كثيرا من أمهات كتب التاريخ التى ألفها خاصة أبناء البلاد أنفسهم ، وأهمها تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيراونى – توفى حوالى 425 هـ . ومن حسن الحظ أنه عثر أخيرا على قطعة منه ، تبدأ من ولاية عقبة بن نافع الى قيام الدولة الاغلبية . وقد اعتنيت بنشره وتعرضت فى مقدمته لدراسة مصادر تاريخ افريقية ، فلتراجع فى موضعها .

فارسية معرّبة بمعنى معسكر الجند أو محطّ الأثقال (2) . وكان ذلك في حملة معاوية ابن حديج التي بدأت سنة 34 هـ . ولمّا أتى عقبة إفريقية رغب عن الموضع الذي نزل به سلفه ، وأخذ يرتاد أرضا مأمونة صالحة يكون لها مستقبل المدينة . وكانت في ذهنه بطبيعة الحال عدّة اعتبارات وراء اختيار الموضع : منها أن يكون كقاعدة للفتح المستمر ، وأن يكون ملائما في مناخه لسكنى البدو من العرب الذين معه (3) . فاختار موضع « القيروان » اليوم (4) ، وكان إلى الشمال الشرقي قليلا من جبل « القرن » الذي عسكر بقربه معاوية بن حديج . ويمتاز موقعها بكونه يقع على بعد متساو تقريبًا من الجبال الشاهقة في شمال إفريقية وغربها ، والسهوب الصحراوية في الجنوب ، وساحل البحر المتوسط من الناحية الشرقية .

ويقال إن عقبة أمر جنده بتنقية أرضها من الأحراش وحرق الأعشاب الوحشية التي كانت تغطي أرضها بكثافة كبيرة . ولقد راعني ما يوجهه

---

(2) راجع :
في لسان العرب .. القيروان : الكثرة من الناس ومعظم الامر . وقيل هو موضع الكتيبة . وهو معرب وأصله كاروان بالفارسية . قال ابن دريد : القيروان بفتح الراء الجيش وبضمها القافلة . وأنشد ثعلب في القيروان بمعنى الجيش :

فان تلقاك بقيروانه   أو خفت بعض الجور من سلطانه
فاسجد لقرد السوء في زمانه

قال ابن خالويه القيروان الغبار ـ وهذا غريب ـ ويشبه أن يكون شاهده بيت النابغة الجعدي :

وعادية يوم الجراد شهدتها   لها قيروان خلفها متنكب

وقال ابن المفرغ :

اغر يواري الشمس عند طلوعها   قنابله القيران المكتب

قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان   كان اسرابها الرعال

اللسان [قرا] 36/20 .

(3) انظر الخريطة .

(4) يروى أن نفرا من الجند الذين كانوا مع عقبة أشاروا عليه أن يقرب المدينة من البحر ليتم الجهاد والرباط معا ، فقال لهم : « نخاف من ملك القسطنطينية » وقال : « قربوها من السبخة فان أكثر دوابكم الابل ، تكون ابلكم على بابها في مراعيها آمنة من البربر » المالكي 6/5/1 ، الاستبصار 114 .

المؤرخون المحدثون عامة من إنكار واستهزاء بعقلية أسلافهم الذين رووا لنا أن عقبة خاطب الوحوش والهوام الساكنة في ذلك الموضع بأن تغادره سالمة قبل أن تلتهمها النيران (5) . ألا يكون الأمر ببساطة مجرد أسلوب في التعبير تطغى عليه العقلية الإيمانية ، ولكنّه يصوّر مع ذلك الواقع ؟ ألا يجوز أنّ عقبة كمسلم أراد أن يزجر الحيوان عن ذلك المكان رفقا ورحمة به ، وبدل أن يخاطبه بتلك الأصوات المبهمة التي تجعله يخرج من مكامنه كالتنخيت خاطبه بلغته الخاصة ، والغرض من كل ذلك هو إشعار جميع الحيوانات بجلبة حولها لتنطلق ويتم تهجيرها ؟ فتكون الوحوش لم تستجب لأمر عقبة بمنطوقه وإنما فرّت بطبيعتها من حركة الجيش اللّجب الذي هجم عليها ، وهي في غيرانها ومساربها وأكنانها ، وكان لا بد لها عند ما أزّت النّار حواليها أن تهرب تاركة الأرض لأصحابها الجدد .

ومثل موقفهم هذا من الروايات القديمة موقفهم من تلك الأحاديث المأثورة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في تفضيل إفريقية (6) . . فالمحدثون ينعون عليهم غلفتهم وجهلهم في تصديق ذلك وتناقله . ونحن لا نناقشهم في هذه القضية من هذا الجانب ، فذلك ما تتكفّل به كتب الجرح والتعديل لكنّنا نريد أن نعطي تفسيرًا لهذه الظاهرة ، إذ لا يمكن أن نتّهم جميع القدامى الذين كانوا يرددون هذه الأحاديث بالغفلة والجهل وربمّا بتعمد الكذب .

ويبدو لنا أنّه في الإمكان أولا ، أن نقول أن عامة هذه الأحاديث موضوعة ، وضعها أصحابها بوعي أو بدون وعي . لكن لا بأس من أن

(5) راجع فتح المغرب .

(6) من ذلك مثلا : « ليأتين ناس من أمتى من افريقية يوم القيامة وجوههم أشد من نور القمر » ، ابو العرب ، طبقات ، 1 و « أن سرية بعثها رسول الله ، فقفلت واشتكت اليه شدة البرد ، فقال رسول الله : لكن افريقية أشد بردا وأعظم اجرا » . المرجع السابق 4 . وهناك احاديث اخرى تذهب الى حد تسمية بعض مدن افريقية وتصف ما سيكون للعرب بها من احوال . راجع . معالم الايمان (خاصة ص 19) والبيان المغرب (المقدمة) وغيرهما .

نلاحظ أنّها تجري مع ذلك على نسق كثير من الأحاديث المتواترة والآيات القرآنية الواردة في غزوات الرسول . ألسنا مدفوعين أخيرًا إلى حكم واحد عليها ، وهي أنّها موضوعة قياسًا على ذلك ؛ ولا شأن لنا بالحكم عن هذا القياس هل هو جائز أو محرّم ؟ وإنما حسبنا أن نؤكد أن جميع هذه الأحاديث وما في معناها قد خدمت المسلمين كثيرًا في إفريقية كما خدمتهم في المشرق . ولا تثريب بعد ذلك على المؤرخين القدامى في نقلها والاعتناء بها ، فمهمّة المؤرخ العربي القديم ، وربما غيره أيضا ، لم تكن تختلف في جوهرها عن مهمة الشاعر الجاهلي أو الاسلامي في أن غاية كلّ منهما هي استخدام فنّه في تمجيد قومه وإثارة العزة والنخوة في نفوس أفراده ، وتثبيط همّة عدوّه وتحطيم معنوياته (7) .

ونشأت القيروان في أول أمرها بسيطة ، والغالب أن يكون عقبة قد اختطها على منوال تلك الأمصار الإسلاميّة التي نشأت في المشرق . وكان من الطبيعي أن يبادر الفاتحون المسلمون إلى إقامة مسجد للصلاة ، كأول بنيان على تلك الأرض . ولا يزال محراب عقبة القديم وأسس بعض جدرانه قائما عليها اليوم الجامع الكبير بالقيروان ، المعروف بجامع عقبة (8) .

وابتنوا بعد ذلك دار الإمارة لسكنى الوالي ، وخططت بعدذلك منازل القبائل العربيّة المشاركة في الفتح حول المسجد . وظل عمران القيروان بسيطا ، لأن الناس كانوا منصرفين إلى الفتح والاستيلاء . ولذلك فعندما عزل عقبة عن ولاية إفريقية ، بعد خمس سنوات ، وجاءها أبو المهاجر دينار وجد الانتقال عنها إلى موضع آخر هيّنا جدا ، فاتخذ قيروانا (9) جديدا .

---

(7) والتاريخ حتى وقد اصبح علما لم يخل من تأثير هذه النزعة الانسانية.

(8) لذلك يعتبره الأثريون أقدم مسجد اسلامى على وجه الارض ، لان كل ما عداه قد جدد بنيانه وتغيرت معالمه . راجع . فكرى ، مسجد القيروان.

(9) عرف باسم « تكروان » وهو تلفظ بربرى للقيروان نفسها . فالتاء اداة تعريف فى لغتهم وعوضوا القاف بالكاف لعدم وجوده فى لسانهم. راجع ح ح عبد الوهاب ، ورقات 1/50 .

ولا شك أنّه كانت هناك دوافع شخصية جعلت الوالي الجديد يهجر مكان عقبة ، لكن كان ينبغي أن يكتسي عمله صبغة معقولة ، لعلنا نجدها فيما يقال من أن جنده من البربر المسلمين ألحّوا عليه في أن يكونوا بقرب منازلهم وخيرات أرضهم القديمة وكانوا يسكنون في نواحي جبال « وسلات » و « جلولا » .

لكن عقبة لم يلبث أن رجع من جديد والياً على إفريقية سنة 62 هـ . وكان لا بد أن يحمله الحنق (10) على سلفه على تخريب ما صنعه وإحياء مدينته المهجورة ، غير مبال في ذلك برغبة الجند – العرب منهم والبربر ثمّ – ازداد العمران بالقيروان على عهده اتساعاً ، وتوطنت النفوس على السكنى بها ، وارتبطت بحبها مع مضى الزمن أفئدة الأجيال الناشئة بها ، وسرعان ما اكتسبت مظهر العراقة والقداسة حتى لقد أنشئت مدن كثيرة بقربها لتنافسها فاندثرت وخلّدت قيروان عقبة على الدهر .

وينبغي الإشارة إلى عنصر هام في حياة المدن ، وهو الماء . فقد أنشئت أغلب المدن القديمة الخالدة حول الأنهار العظيمة . لكن الغريب أن القيروان أقيمت بعيداً من الأنهار الكبرى بإفريقية . وربمّا اكتفي وقتها ببئر نضاحة جاهلية (11) أو احتفرت بمناسبة إنشاء المدينة (12) . وحين تزايد العمران وانتشرت أسباب الحضارة وجد أهاليها من الضروري أن يتخذ كل واحد منهم ماجلا في وسط منزله ، تجتمع فيه مياه الأمطار الحلوة المنصبة من الموازيب وتكون الحاجة إلى ذلك أشد ضرورة إذا استخرج الواحد منهم بئرا غير عذبة في داره (13) .

---

(10) الرقيق ، تاريخه ، ص 10 .

(11) جاهلية ، نسبة لما قبل العرب بافريقية من الاقوام كالروم والبربر . ولا تزال تستعمل بهذا المعنى فى القيروان وغيرها .

(12) تذكر المصادر التاريخية بئرا قديمة قرب الجامع الكبير تسميها « بئر أم عياض » . انظر ، البكرى ، مسالك ، 23 وراجع ح ح عبد الوهاب ، الورقات ، 48/1 ، يقول ان اسمها الحالى « بئر تكفه » .

(13) لا تكاد تجد بيتا من بيوت القيروان القديمة والباقية الان الا وبه بئر وماجل .

وأيضا ، فقد كانت تقام المدن الجديدة حول خرائب المدن القديمة ليستعان بمواد بنائها ، أو قريبا من مقالع الحجارة بالجبال . لكن العرب الذين بنوا القيروان لم يكونوا في حاجة أكيدة إلى شيء من ذلك ، وإنمّا اكتفوا باستخدام مواد البناء المعروفة لديهم بأرض الجزيرة وبلاد ما بين النهرين وصحراء مصر وبادية الشام . وهي الآجرّ ونحوه من مستخرجات التربة الطينية والرملية . وإذا رغبوا في تفخيم بعض أبنيتهم سعوا في جلب أعمدة الهياكل وصخور المعابد الرومانية والقرطاجنية المنتشرة في إفريقية .

وقد نالت القيروان في عهود حكامها العظام وأثناء فترات استقرار السلطة بها نهضة عمرانية كبيرة . من ذلك مثلا أنه وقع في عهد واليها الأموي حسان ابن النعمان تجديد جامع عقبة وأنشئت دور لدواوين الحكومة ، وأحدث موسى بن نصير دار الضّرب لسكّ النقود ، وأنشئت بعد ذلك دار الطّراز لصناعة النسيج . وتوفرت بالمدينة مع مرور الزمن صهاريج الماء العمومية أو « الفسقيات » كما تسمّى . وبولغ في توسيع بعضها وزخرفتها حتى اشتهرت منها « فسقية الأغالبة » (14) التي بنيت سنة 245 هـ . وكانت آية للناظرين ومتنزها للمتفرجين (15) . أمّا الجوامع والمساجد وأضرحة الصالحين وكتاتيب الأطفال ، فلعلها لم تكثر في مدينة إسلامية مثل كثرتها في القيروان . فقد كان بها من المساجد فقط بعد نصف قرن من إنشائها أكثر من عشرة مشهورة جدا (16) . وكانت تبني بالإضافة إلى ذلك المصليات الواسعة ، لكي

---

(14) انظر المالكي : « وكان موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية وكان فيها كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم فى المسجد الجامع » (الرياض ، 21/1) .

(15) فقد جعلت على شكل ساعة مستديرة وسويعة متصلة بها يفتح بينهما باب مقوس . ويستند محيطها فى عمقه على ستين عمودا بعدة الدقائق . وتقوم فى وسطها أعمدة ضخمة ترتفع فوقها قبة زجاجية تتسع لعشرة أشخاص فى مجلس لهو وطرب وشراب . ولا تزال الفسقية باقية الى الان ولم يغير الزمن منها كثيرا ، وتعد من أشهر معالم القيروان بعد جامع عقبة .

(16) راجع ح ح عبد الوهاب ، بساط ، 7 ـ 8 .

تستوعب أكبر قدر ممكن من الأمة ، لإقامة الصلوات العامة وحضور الاحتفالات العظيمة وشهود البيعة للحكام (17) .

وكانت المدينة قد خُطّطت منازل أهلها في أول الأمر بحسب من جاء من القبائل العربيّة المشاركة في الفتح . وكانت تنقسم في الداخل إلى أرباض وحارات وأسواق ودروب وأزقة ، مثل : ربض البقرية ، وربض السدرة ، وحارة القرشيين ، وحارة القرانطة ، ودرب الهذلي ، ودرب أم أيوب ، ودرب أزهر ، وزقاق ابن حسنة ، وزقاق السقطيين ، وسوق السراجين ، وسوق الأحد لبيع المنسوجات ، وسوق البركة لبيع الرقيق ، وسوق الصيارفة ، وسوق الجوهريين . وأعظم شوارع القيروان كان يسمّى « السماط الكبير » وكان سوقًا كبيرة تصطفّ على جانبيها في الغالب المحلاّت التجارية المختلفة وكانت القصور المشهورة في القيروان في القرنين الثالث والرابع باهرة وكثيرة جدا ، منها : قصر أبي الفتح ، وقصر حمص ، وقصر الماء ، والقصر الجديد ، وكانت متطلبات الطهارة الاسلامية بالإضافة إلى المقتضيات الحضارية هي السبب في كثرة الحمامات بها . وكان بالقيروان مستشفى عظيم يسمّى « الدمنة » به حجرات خاصة للعجز والمُعْدَمين وللموبوئين . وكانت المتزهات العامة خارج المدينة ، وكذلك المقابر ، ومن أشهرها مقبرة قريش ومقبرة سحنون والمقبرة البلوية .

وكان للقيروان سور حصين ، له أبواب عديدة تعرف بأسماء بعض الأعلام أو المدن التي يكون الباب في اتجاهها مثل : باب عبد الله ، باب سلم ، باب كنون ، وباب تونس ... الخ . وكانت حولها من القرى الآهلة ما بلغ أكثر من ثلاثين قرية في القرن الرابع .

أما المدن التي أنشئت حولها في القرون : الثاني والثالث والرابع للهجرة ، ونافستها : في الحضارة والعمران . فقد كانت أنشئت إما لأسباب

---

(17) المصدر السابق .

سياسية أو تخليدا لذكر انتصارات من أنشأها أو حبا في طيب هواء بقعة من البقاع حولها وجمال طبيعتها ، أو لهذه الأسباب مجتمعة والملاحظ أن كل دولة من الدول التي توالت على القيروان ، إلى القرن الرابع ، أقامت مدينة على الأقل بقرب القيروان ، ومن الطريف أن نتساءل لماذا يقع اختيارهم بقرب القيروان ؟ يظهر لنا أنه لم يكن في اختيارهم أصلا أن يقيموا مدنهم الجديدة قرب القيروان . بل القيروان كعاصمة كبرى ، فرضت عليهم ذلك فرضا . فلم يكن في إمكانهم — وقد أرادوا تركها — الابتعاد عنها ، خاصة وخطرها يتزايد باستمرار في وزن السياسة ونواحي الحياة الأخرى . و « المهدية » الوحيدة التي أنشئت بعيدا عنها نسبيا لم تستطع أن تنافسها وتصبح عاصمة إفريقية بدلها .

والغريب أن جميع المدن التي أنشئت حول القيروان لحقها الزوال واندثرت تماما سوى المهدية . فما السر في ذلك ؟ يبدو لنا أن عوامل فناء هذه المدن كان يكمن في بذور وجودها . فقد كان وجودها معلقا بالقيروان . وكان من الطبيعي أن لا تسمح القيروان العظيمة لهذه المدن بمطاولتها . وقد كانت هالة القداسة التي تكللها كافية وحدها على تزهيد الناس في كل ما عداها من المدن المستحدثة حولها . ولذلك فأقل هزة ضعف خفيفة كانت تهب على تلك المدن إلاّ وتطفيء حياتها . ولم تكن ظروف المهدية مشابهة ولذلك احتفظت بوجودها .

وأول مدينة بنيت حول القيروان هي « العباسية » ، أنشأها رأس الدولة الأغلبية الأمير إبراهيم بن الأغلب ، في سنة 185 هـ . وإنما سماها العباسية تيمّنًا بالخلافة العباسية التي منحته ، على عهد الرشيد ، إفريقيّة كلها إمارة له ولعقبة من بعده . وجهزها إبراهيم وأبناؤه بجميع المرافق المدنيّة التي كانت معروفة في القيروان ، ولعله اختطها على هيئة بغداد ، فلقد كان الطابع العباسي غالبا عليها حتى أنه أنشأ حولها منتزها ساحرًا سماه « الرصافة » تشبيها برصافة بغداد . وسُوّرت المدينة بسور محكم البناء من أسماء

أبوابه : باب السعادة وباب الرحمة وباب الريح الخ ... وكان الحافز السياسي في إنشاء هذه المدينة واضحاً في نفس إبراهيم (18) ، فقد أراد أن يباعد بين جنده وبين أهل القيروان ليكسب السيطرة عليه ، ورغب في أن يحجب بين حاشيته وعامة الناس لاختلاف ما بينهما في مستوى الحياة . وهذه المدينة هي التي أصبحت تعرف فيما بعد بالقصر او القصر القديم وتقع على بعد أربع كيلومترات من القيروان .

ولم يكد القرن ينقضي على العاصمة الأغلبية الجديدة « العباسية » حتى هجرت إلى المدينة الجديدة التي بناها إبراهيم الثاني ابن الأغلب سنة 264 هـ . وسماها « رقادة » لأن النوم ـ فيما يقال ـ أخذه بموضعها ، وكان لايذوق طعم النوم لمرض أصابه . وكان ينبغي أن تكون أعظم من العباسية ، وكذلك كانت . ففيها من القصور والدور وبرك الماء والمنتزهات ما فتق قرائح المؤرخين في وصفها . ومن قصورها « قصر بغداد » و « قصر المختار » و « قصر العروس » وهو أعجبها ،لأنه يمتد في الجو شامخا على أربع طبقات . وأنشأ بها « بحرا» أي صهريجا واسعاً للماء وسمّاه كذلك . وأسس فيها المنصور بن بُلكيّن ، ممدوح النّهشلي ، جامعاً ومصلى ، فضلاً عما كان فيها . ومن أغرب أحوال هذه المدينة أن مؤسسها حلل بها النبيذ وما يتصل به وحرمه عن القيروان ، يقول أحد أبنائها يمازحه :

يا سيد الناس وابن سيدهم ومن اليه رقاب الناس منقاده
ما حرم الخمر في مدينتنا وهو حلال بأرض رقاده

وكان تقاتها المالكيون يضجون منه لأنهم كانوا يحرمونه على خلاف المذهب الحنفي ، وهو مذهب العباسيين وولاتهم بالتالي .

---

(18) الرقيق ، تاريخ افريقية والمغرب ص 222 .

يظهر إذن أن رقادة كان الداعي لبنائها هو طيب هوائها الموافق لمزاج صاحبها ، وليس لسبب سياسي ، كما كان الشأن بالنسبة « للعباسية » وكذلك «المهدية» التي بنيت في أوائل القرن الرابع بمناسبة قيام الدولة العبيدية .

أمّا المدينة التي بنيت حقا لتخليد انتصار عسكري حاسم فهي « المنصورية » التي أشادها سنة 337 الإمام المنصور بالله ، حفيد عبيد الله المهدي ، أقامها رمزا لانتصاره الباهر على تلك الثورة الخارجية العظمى التي دوخت إفريقية أكثر من ربع قرن بقيادة أبـي يزيد مخلد بن كيداد . وكانت المنصورية قريبة جدا من القيروان ثم صغرت المسافة بينهما بتوسع العمران حتى غدت تفصل بينهما إلاّ بضع مئات من الأمتار . وتعرف ايضا باسم « صبرة » وربما تكون عرفت بهذا الاسم في عهد متأخر من تأسيسها . وكانت أعظم من ربيبتي القيروان السابقتين هندسة وجمالا . وهذا شاعر القيروان الكبير علي بن الإيادي يصف قصر المنصور بها ، فيبدع أيّما إبداع :

ولما استطال المجدُ واستولت العلا
على النّجم وامتد الرواق المروق

بنى قبة للملك في وسط جنّة
لها منظر يزهي به الطرف مونق

بممشوقة الساحات أمّا عراضها
فخُضر ، وأمّا طيرها فهي نطّق

تحفّ بقصر ذي قصور كأنما
ترى البحر في أرجائه يتدفّق

له بركة للماء ملء فضائه
تخب بقطريها العيون وتعنق

لها جدول ينصب فيهَا كأنّه
حسام جلاه القَيْن بالأرض ملصق

لهمَا مجالس قد قام في وسط مائها
كما قام في فيض الفرات الخورنق
كأن صفاء الماء فيهمَا وحسنه
زجاج صفت أرجاؤه فهو أزرق
إذا بث فيها الليل أشخاص نجمه
رأيت وجوه الزنج بالنّار تحرق
وإذا صافحتها الشمس لاحت كأنها
فرند على تاج المعزّ ورونق
كأن شرافات المقاصر حولها
عذارى عليهن الملاء الممنطق
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها
كما ذاب آل الصحصان المرقرق (19)

ثم ازدادت « المنصورية » بهاء وعظمة على عهد المنصور الآخر ، الصنهاجي . والقصر الفاخر ذي الحدائق الغناء والمقاعد والقباب وأحواض المرمر الفخمة الذي بناه هذا الأمير كان مشهورا ويعرف بالقصر الصنهاجي .

وقد اتخذ الأمراء العبيديون والصنهاجيون — عدا منتزهات مدائنهم — منتزهات أخرى في ناحية « جلولا » المشهورة بالخيرات وهي مدينة بربرية قديمة تبعد ثلاثين كيلو مترا عن القيروان . ومن أشهر منتزهاتهم هناك منتزه « سردانية » المسمّى باسم الجزيرة الرومانيّة التي فتحها القائم بأمر الله العبيدي (20) . وكانت تحفل احتفالا رائعا في فصل الربيع حيث تغرد فيها الأطيار ويتغنى فيها الشعراء تسبيحا بجمال الطبيعة .

(19) الآل ، السراب . الصحصحان . الارض المستوية .
(20) سردانية تقع اليوم فى حكم ايطاليا .

وكل هذه المدن الفخمة والمنتزهات البديعة لم تكن تعدل القيروان في نفوس أبنائها وغيرهم لا لشيء سوى تلك الجلالة الدينية التي اكتسبتها على يد مؤسسها العظيم عقبة بن نافع الفهري وأصحابه من التابعين ، يقول شاعرها أبو القاسم الفزاري (المتوفى سنة 345 هـ.) .

فهل للقيروان وساكنيها	عديل حين يفتخر الفخور
بلاد حشوها علم وحلم	وإسلام ومعروف وخير
عراق الشام بغداد وهذي	عراق الغرب ، بينهما كثير
ولست أقيس بغدادا اليها	وكيف تقاس بالسنة الشهور
بلاد خطها أصحاب بدر	وتلك اختّط ساحتها أمير
بناها المستجاب وقد دعا في	جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل بدريّ كريم	كأن صفاح أوجههم بدور
هم صلوا بمسجدها براحا	وليس لها جدار مستدير
هم وضعوا لها أسسا وساسا	فقدّست المواضع والصخور
وقادهم السلام اليه حتى	أضاء لهم من المحراب نور

لقد أتينا بهذه اللمحات عن القيروان والمدن الناشئة حولها لنصوّر — وكان ضروريا — المسرح الذي عاش به صاحبنا عبد الكريم النّهشلي . ولم تكن هذه الأماكن في الحقيقة شيئًا منفصلا عن شخصيته ، بل كان كل كيانه يتألف من ذراتها في هوائها ومائها وخيرات أرضها وفي ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ألم يكن شاعرًا أديبًا ؟ بلى ، وقد لا يكون أكثر إحساسا بوطنه من الشاعر والأديب . وكان من عادات عبد الكريم الخروج إلى الأماكن المشرفة ، حيث تبدو الدنيا أمامه بهيجة رائعة ، ويجلس بها الساعات الطويلة فسئل عن ذلك مرّة فقال « ألقّح خاطري وأجلو ناظري » (21)

(21) العمدة ، 138/1 .

الفصل الثانـي

عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي
حياتـه ـ انتاجـــه

المصادر ـــ نشأته وثقافته وشيوخه ـــ شعره ونقول القدماء من كلامه ـــ تلاميذه ـــ وفـاتـه .

المصادر :

لم تذكر المراجع الحديثة المعتمدة في تاريـخ الأدب العربـي شيئاً عن عبد الكريم بن إبراهيم النّـهشلي . ولا غرابة في ذلك لأنّـه غير معروف عنه شيء من حياته وإنتاجه في المجاميع الأدبية القديمة التي هي مصدر أساسي للمؤرخين . وإذا عرفنا أن بروكلمان ، في تاريخه للأدب العـربـي لم يشر له ولوعرضاً أدركـنا أن الأمر يهون بالنسبة لغيره (1)

وقد يقال إنّ مخطوطة من كـتابه « الممتع » مسجلة في فهـرس دار الكـتب الثاني (2) بعنوان « « اختيار الممتع » لعبد الكريم ؛ فلماذا لم ينبّـه عليها بروكلمان ويعرّف بصاحبها كدأبه مع غيرها من المخطوطات ؛ لقـد

(1) من المضان المهمة التى لا تذكر النهشلى كتاب كشف الظنون لحاجـى خليفة ، وذيله ، وكتاب هداية العارفين للبغدادى ، وفهرست أبى بكر ابن خير . وبرنامج الرعينى .

(2) ص 7 العمود الاول .

كانت المعلومات الموجودة هناك عن مؤلّف الكتاب غير كاملة – كما سنرى – ولم يكن مع ذلك مجال لذكره اثناء الحديث عن ابن رشيق وآثاره لأنّ أهمية « الممتع » بالنسبة « للعمدة » لم تكن قد ظهرت بعد في نطاق البحث العلمي . ولذلك فقد أكتفى بروكلمان في ملحق تاريخه (3) بذكر عنوان النسخة المحفوظة بدار الكتب وسجل اسم « عبد الكريم » أمامها دون أدنى بيان آخر .

لكن النّهشلي أديب قيرواني . فينبغي أن يكون أشدّ عناية به مؤرخو بلاده من المحدثين وأشهر من هنالك العلامة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب . وفعلاً فقد كان أوّل من كتب عنه ونشر ترجمته (4) .

وقبل ترتيب المراجع الحديثة يَحسُن أن أورد المصادر القديمة التي وجدتُ له بها ذكرًا ، مع الاشارة إلى عدد من الكتب المفقودة المؤّلفة عن تاريخ القيروان وشعرائها والتي أرجّح أن تكون بها ترجمة أو ذكر لعبد الكريم لو ظهرت .

وتتنوع المصادر القديمة إلى نوعين : كتب أوردتْ ترجمته ، وأخرى ذكرته عرضًا ، ولم تخلُ أحيانًا من إفادات هامة لاتُوجد بغيرها .

ولم أقف على ترجمة لعبد الكريم النّهشلي الا في كتابين مخطوطين لم يكن الباحثون قبلي يشيرون إلا إلى واحد منهما . وهو الأول فيما يلي :

1 – العمري المتوفى سنة 748 هـ . في كتابه : مسالك الأبصار ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم (559 معارف عامة) ، الجزء الحادي عشر . القسم الثاني ، ص : 292 – 294 . وينقل العمري ترجمة النّهشلي من كتاب ابن رشيق المسمّى « أنْموذَج الزّمان من شعرا القيروان » وهو مفقود الآن وتجد الإشارة إلى أن العمري افتتح بالنّقل

---

(3) الملحق 2/905

(4) بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق .

من هذا الكتاب بترجمة النّهشلي والراجح أنّها الأولى في الكتاب فهو يقول بعد أن ختم كلامه عن شعراء المشرق : « وأمّا من طرزّ بهم ابن رشيق أنموذجه فجماعة منهم عبد الكريم ... » ويمضي في الترجمة له . ويرد ذكر عبد الكريم بعد ذلك مرتين عرضًا ، إحداهما في ترجمة يعلى ابن إبراهيم الأربسي (5) والثانيّة في ترجمة الحسن بن محمّد بن الربيب (6) .

2 — الصفدي المتوفى سنة 764 هـ . في كتابه : الوافي بالوفيات ، ومنه نسخة مخطوطة بالجامعة التونسية رقم 4849 الجزء السابع عشر ، ص : 106 — 107 . ويظهر أنّ الصّفدي اعتمد في الترجمة لعبد الكريم على أنموذج ابن رشيق أيضًا ، وإن كان لا يشير إلى ذلك صراحة ، وإنّما يقول في الآخر : و « شعره كثير ساق منه ابن رشيق في الأنموذج قطعًا كثيرة » وما ورد هنا أقلّ ممّا ورد في المسالك المتقدم (7) .

أما الكتب القديمة التي ذكرت عبد الكريم عرضًا فهي على التّوالي الزّمني :

3) الحصري ، المتوفي سنة 412 هـ . في كتابه « زهر الآداب وهو مطبوع عدّة طبعات تختلف رواية الشعر فيها اختلافات مهمة قد يرجع بعضها لمساوىء الطباعة . وفيما يلي مقابلة صفحات طبعتين مهمتين من الكتاب :

تحقيق زكي مبارك (القاهرة 1925) : 172/1 ، 194، 122/2 ، 194 .

تحقيق محمّد البجاوي (القاهرة 1953) : 190 ، 215 ، 703 ، 777 .

---

(5) مسالك الابصار : ج 11 ن 2 ق 294 ـ 299 .

(6) المصدر السابق : 219 ـ 220 .

(7) من الكتب القديمة التى نقلت عن الانموذج كتاب « بدائع البدائية » لابن ظافر ، وهو ليس كتاب تراجم وانما ساق المؤلف فى فصل التروى والبديهة حكاية عن عبد الكريم أوردها ابن رشيق فى الانموذج. وسيأتى الكلام عن كتاب ابن ظافر فيما يلى .

4 — ابن رشيق المتوفى سنة 462 هـ . في كتبه : العمدة وقراضة الذهب والأنموذج في شعراء القيروان والروضة الموشية في شعراء المهدية . أما العمدة فهو مطبوع عدّة طبعات وجميعها تخلو من فهرس للأعلام ، ولذلك لم يستطع الباحثون الإشارة إلى جميع المواضع التي ذكر فيها النّهشلي من هذا الكتاب ولكنني تعقبته بدقة فوجدته قد ذكر في واحد وأربعين صفحة بعضها يتكرّر فيها اسمه والإشارة إلى كتابه ، وفيما يلي مقابلة مواضع النّهشلي في العمدة من خلال الطبعتين الأولى والأخيرة (*) .

نشر محمّد بن النعساني (مصر 1325 . 1907) الجزء الأول ص : 7 ، 30 ، 45 ، 52 ، 58 ، 59 ، 69 ، 71 ، 72 ، 78 ، 82 ، 94 ، 125 ، 138 ، 165 ، 167 ، 169 ، 188 ، الجزء الثاني ص : 5 ، 17 ، 75 ، 94 ، 100 ، 103 ، 167 ، 192 ، 215 ، 228 ، 236 ، 237 .

نشر محمّد محيي الدين عبد الحميد (مصر 1963) : الجزء الأول : 24 ، 56 ، 75 ، 84 ، 94 ، 112 ، 118 ، 121 ، 127 ، 143 ، 188 ، 206 ، 248 ، 250 ، 251 ، 253 ، 279 ، 205 ، الجزء الثاني ص : 4 ، 26 ، 52 ، 74 ، 93 ، 118 ، 124 ، 128 ، 214 ، 280 ، 294 ، 306 ، 308 ، 213 ،314.

ويظهر بالإحصاء أن عبد الكريم هو أكثر أعلام القيروان ذكرًا في العمدة ويأتي بعده معاصره أبو عبد الله محمّد بن جعفر القزّاز .

وقليل من الباحثين من أشار إلى ذكر عبد الكريم النّهشلي في قراضة الذّهب مع أنّه مذكور هناك ست مرات (طبع الخانجي — مصر 1244/1926) من ص 11 إلى ص 15 و 39 .

وكل ما أورده ابن رشيق في هذين الكتابين أخبار أدبية وملاحظات نقدية وآراء خاصة في قضايا أدبية . ولم يورد من شعره غير بضعة أبيات متفرّقة بغرض الاستشهاد .

* مع الملاحظة ان الطبعة الاولى تنطابق صفحاتها مع الطبقة الموالية مباشرة والطبعة الاخيرة مطابقة للطبعة السابقة لها مباشرة ايضا .

أما كتابه الأنموذج في شعراء القيروان فهو لا يزال مفقوداً . ولا شك أن ابن رشيق ترجم فيه للنّهشلي ترجمة وافية ، ولم ينقل العمري والصفدي كلاهما منها كثيراً بدليل إشارة التبعيض المتكررة في قولهما : ومما ذكر ابن رشيق في شعره ... »

أمّا كتاب الروضة الموشية في شعراء المهدية (8) فهو مفقود أيضاً مثل الأنموذج ولم يذكر أحد أن ابن رشيق ترجم فيه للنّهشلي ، ولعلّه لا يخطر ببال أحد أن يكون ترجم له هنالك لأنّه قد ترجم له في الأنموذج . لكن ليس ما يمنع من ذلك خاصة إذا علمنا أن النّهشلي أمضى بقية حياته في المهدية . وحتّى لو فرضنا أنّه لم يخص هنالك بترجمة فلا شك أن مكانته كشاعر كبير تقتضي ذكره مؤثراً أو معاصراً لشاعر من شعراء المهدية .

5 — ابن ظافر الأزدي ، المتوفى سنة 623 هـ . في كتابه بدائع البدائه ، طبع على هامش معاهد التّنصيص — المطبعة البهية — القاهرة 1898/1278 . الجزء الثاني ص 39 حيث نقل عن أنموذج ابن رشيق حكاية وصف الجرادة على البديه ، وفيها عبد الكريم وصاحبه يعلى بن إبراهيم الأربسي .

6 — ابن الأثير المتوفى سنة 637 هـ . في كتابه : كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب (9) وهو مخطوط بمكتبة الجامعة التونسية رقم 4372 ، وفيه أبيات مختارة من شعر عبد الكريم لم يشر ابن الأثير للمصدر الذي نقلها منه ، لكن يبدو أنه نقلها من العمدة لابن رشيق . راجع ص 22 ب و 23 أ من المخطوطة المذكورة .

7 — التيفاشي ، المتوفى سنة 651 هـ . ذكر شعراً لعبد الكريم في كتابه : فصل الخطاب ... (10) وهو كتاب في أجزاء كثيرة ولكنّه

---

(8) المهدية ، مدينة على الساحل الشرقى التونسى بناها عبيد الله المهدى واتخذها عاصمة لملكه بافريقية سنة 308 هـ بدل القيروان .

(9) وهذا الكاتب لم يكن معروفا قبل فى مؤلفات ابن الاثير .

(10) بروكلمان ، الاصل الالمانى ، 4951 ؛ المصدر نفسه الملحق ، 1/904 .

مفقود . وقد اختصره ابن منظور ، وسمّى الجزء الأول منه : « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » وسمى الجزء الثاني : « طلل الأسحار على الجلّنار في الهواء والنار ... » وتوجد منها نسخة مصورة بدار المصرية ، رقم 2301 أدب لوحة 50 و 94 .

3 ــ ابن منظور ، المتوفى سنة 711 ه . في مختصره المسمّى « نثار الأزهار في الليل والنهار » (11) وهو مطبوع في القسطنطينية سنة 1298 ه . وفيه مختارات من شعر عبد الكريم وتصريح بالعنوان الكامل لكتابه « الممتع » . ص 36 ، 81 .

9 ــ ابن الوراق الكتبي ،المتوفى سنة 730 هـ . في كتابه « مباهج الفكْر ومناهج العبر » ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 359 طبيعة . وفيه قطع مختارة من شعر النّهشلي وردت في أبواب مختلفة . الجزء الثاني ، القسم الأول اللّوحتان 92 و 103 .

وأمّا المراجع الحديثة التي ورد بها ذكر لعبد الكريم ، فأقدمها وأولها ما كتبه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في عدة مواضع من كتبه ومقالاته :

10 ــ :

أ ــ : بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق . طبع بتونس 1330 هـ / 1911 م. ذكره في شيوخ ابن رشيق (13) .

---

(11) الحقيقة ان هذا العنوان هو عنوان الجزء الاول من كتاب التيفاشى ، المتقدم ، فى كتابه الكبير « فصل الخطاب » وحين اختصره ابن منظور سمى الجزء الاول « سرور النفس » . وكان حقه فى الطبع أن يكون كذلك وانما وقع ناشره فى التباس . انظر فى تحقيق ذلك مقالا بمجلة أرابيكا مجلد 10 فصلة 1 ص : 91 ــ 94 .

(12) عثرت على هذا الكتاب صدفة لانه موجود فى فهرس كتب الطبيعة .

(13) أما كتاب الشيخ النيفر « عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب » طبع تونس (د. ت.) فلم يذكر فيه النهشلى .

ب – مجلة « البدر » التونسية سنة 1340 / 1921 العدد الثاني ص : 542 – 547 حيث ترجم له بتوسّع .

ج – المنتخب المدرسي في الأدب التونسي ، الطبعة الثانيـة القاهرة 1944 . ص : 55 – 57 حيث أورد له ترجمة صغيرة مع مختارات شعرية .

د – مجلة « الفكر » التونسية سنة 1959 العدد الرابع ص 5 – 8 حرر له هناك ترجمة وافية .

هـ – ورقات في حضارة إفريقية العربية التونسية ، طبـع بتونس 1966 الجزء الثاني ص 397 .

11 – النّتف في شعريْ ابن رشيق وزميله ابن شرف ، للأستاذ عبد العزيز الميمني ، طبـع بمصر 1343 هـ . ترجم له في شيوخ ابن رشيق وأشار الى كـتابه الممتع .

12 – حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ، للدكـتور عبد الرحمان ياغي ، طبـع بيروت 1961 (14) . وفي جميـع المواضع التي ذكره بهـا لا يخرج الكلام فيها عما جاء في مسالك العمري والعمدة لابن رشيق . وأهم إشارة طريفة له هي ما ذهب اليه من أن تعلق ابن رشيق بالنّهشلي ربما يرجع إلى كـونه مثله من بلدة المحمدية . ويبدو أنه لم يقف على وجود نسخة مـن كـتاب الممتع للنّهشلي ولذلك تأسف على فقدان الكتاب (15) .

13 – ابن رشيق القيرواني ، تأليف عبد الرؤوف مخلوف ، وهما كـتابان بهذا العنوان ظهر أحدهما في سلسلة نوابغ الفكر العربـي عدد 32 السنة 1964 ، ص 47 حيث أشار إلى نسخة كتاب الممتع بدار الكـتب . والثاني بإضافة « الناقد والشاعر » للعنوان الأول ، وظهر في سلسلة أعلام

(14) ورد ذكره فى الصفحات التالية : 93 ، 98 ، 102 ، 132 ، 140 ، 146 ، 154 ، 163 ، 168 ، 205 ، 291 ، 295 ، 317 ، 321 ، 371 ، 398 ، 401 ، 409 ، 410 ، 411 ، 413 ، 440 ، 441 ، 449 ، 450 .

(15) راجع : حياة القيروان ص 321 .

العرب عدد 45 سنة 1965 ص : 51 حيث نقل خبرًا من العمدة به ذكر للنّهشلي .

14 — « ظهور كتاب عبد الكريم النّهشلي » وهو مقال بقلم السيد الشاذلي بويحيى ، نشره في مجلة « أرابيكا » المجلد العاشر ، الفصلة الثالثة ص : 237 — 252. وهو يقصد بكتاب عبد الكريم كتاب الممتع عن النسخة المشار اليها في دار الكتب المصرية ، وقد بنى مقاله على تأكيد نسبة تلك النسخة للنّهشلي ، حيث إن نسبة النسخة في فهرس دار الكتب وفي بروكلمان لعبد الكريم دون لقب أو تعريف بشخصيته ، وقد انتهى بقرائن جيّدة إلى صحة نسبة النسخة للنّهشلي .

وقد بقي شيء من المصادر (16) رأيت من المفيد الإشارة اليه وهو المصادر المفقودة التي أعتقد أنّها وردت بها ترجمة لعبد الكريم النّهشلي ومختارات من شعره والمهم أنّها مصادر سابقة عن أنموذج ابن رشيق . وحري بالتّنبيه هنا إلى أن الباحثين الذين تحدثوا عن عدد من شعراء الأنموذج كالقزّاز والحصري وهما معاصران للنّهشلي يقررون أن أول من ترجم لهم هو ابن رشيق وقد رأيت هذا غير صحيح وخاصة حين يضيفون مؤكدين أن كلا من ياقوت والقفطي وابن خلكان والعمري والصفدي وغيرهم ممن ترجموا لشعراء القيروان من جيل ابن رشيق والجيل السابق عنه أنهم قد نقلوا كلهم من الأنموذج وذلك حتى حين لايشيرون اليه (17) . وقد أدّاني البحث إلى نقض هذا الوهم ولفْتِ النّظر إلى مصادر أقدم من الأنموذج فيها بكل تأكيد تراجم لكثيرممّن ترجم لهم ابن رشيق ، بدليل ما أورده ابن خلكان منها عن القزّاز القيرواني(18) وينبغي أن تكون

(16) لم أر من الضرورى الاشارة الى الكتب المخطوطة والمطبوعة التى قلبتها مظنة العثور فيها على ذكر لعبد الكريم .

(17) الشاذلى بويحيى : نقد الورقات ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثالث ، ص 225 .

(18) ابن خلكان ، وفيات 651/1 .

للنّهشلي ترجمة بها لأنّه معاصر للقزاز ويضارعه في الشّهرة وتوفي قبله بقليـل .

من تلك المصادر :

ابن الجزار القيرواني : المتوفى في الثلث الأخير من القرن الرابـع في أحد كـتابيه الآتيين .

أ ــ تاريـخ الدولة الفاطمية ، وعرض فيه لأدبائها وشعرائها .

ب ــ الفصول في سائر العلوم والبلاغات ، وأودع فيه أخبارا ومختارات أدبيّة لأهـل عصره (19) .

المسبحي الكـاتب الحرّاني ، المتوفى بمصر سنة 420 هـ . في تاريخـه الكبير الذي يقال إنّه « جمـع فيه أخبار مصر ومن حلّها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ... وأشعار الشّعراء ... والأدباء والمتغزلين وغيرهم » . والراجح أن يكون قد عرض المسبحي في كـتابه هذا للنّهشلي كلّما عرض فيه للقزاز (20) بحكـم صلتهما بالدولة الفاطمية وارتحالهما إلى مصر في عهـدها .

مكـيّ بن أبـي طالب القيرواني المتوفى سنة 437 هـ . في برنامج شيوخه الذي ألفّه في ما رواه عنهم من الـكـتب وعدد بهم طبقاتهم وذكر شيئًا من أخبارهم . وقد كـان مكـيّ معـاصرًا للنّهشلي وأصغر منه سنّا ، ويغلب على الظن أن يكـون قد تتلمذ له وأخذ عنه ، ونحن نعرف بكل تأكيد أنّه ذكر في برنامجه شيخه القزاز (21) . والقزاز معاصر للنّهشلي وفي مثل منزلته من الشهـرة .

---

(19) الورقات : 1/307 ــ 322 .
(20) الصفدى : الوافى 1/515 .
(21) أبو بكر بن خير : فهرست ما رواه عن شيوخه : 362 ــ 363 .

وفيما عدا هذه المصادر المتقدمة عن الأنموذج هناك مصدر آخر متأخر عنه وهو مظنة لوجود شيء من أخبار النّهشلي به ، ونعني به :

الصيرفي الكاتب المصري، المتوفى سنة 542 هـ . فليس من المستبعد أن يكون كتابه الذي عرض فيه للقزاز (18) قد عرض فيه للنّهشلي . وربما نظفر عنده عن النّشهلي بأكثر ممّا نظفر به عند غيره لما عرف عن الصيرفي من كثرة اختياراته من دواوين الشعراء وأخبارهم ومُلحهم وخاصة من معاصري الدولة الفاطمية التي كان الصيرفي من أعظم كتابها (22) .

وشاعر في شهرة عبد الكريم في عصره له المقطوعات المختارة التي تناقلها الرواة في المغرب والمشرق ، لا شك أنّه كان يحظى في كثير من كتب التراجم الإفريقية خاصة بمكان لائق ، لكن أغلبها لا يزال مفقودًا .

* * *

نشأته وثقافته وشيوخه :

عبد الكريم النّهشلي وهو أبو محمّد عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي . كذا سمّاه بدون خلاف ولقبه وكناه غيرُ واحد من المترجمين القدماء وأسبقهم فيما بين أيدينا من المصادر ابن رشيق القيرواني (23) أمّا الحصري صاحب زهر الأداب، فقد سمّاه ولقبه دون أن يكنّيه غير أنه عرفنا بنسبه فهو « التميمي » (24) ولم يشتهر عبد الكريم بالقيرواني كما اشتهر بذلك عدد من معاصريه مع أنه عاش مثلهم بالقيروان وبعضهم لم يولد بها مثله كابن رشيق . .

(22) محمد كامل حسين : ادب مصر الفاطمية ، ص 335 .
(23) العمدة : 1/45 .
(24) الحصرى : زهر الاداب 1/215 .

ولد عبد الكريم في المُحَمّدية وهي مدينة بنواحي الزاب من أرض المغرب (25) وتقع بين تلمسان وسلجلماسة ، ويجري حولها نهر الزاب (26) .

وتاريخ ولادته غير مذكور في مصادرنا الحالية . ولا أستطيع أن أظن حوله الظنون لولا أنّي عثرت على إشارة هامة تحصر زمنه بعد العقد الأول من القرن الرابع . وذلك لأن المحمدية التي نشأ بها عبد الكريم لم تصبح مدينة تحمل هذا الاسم الا عندما اختطها أبو القاسم محمّد بن المهدي العُبَيْدي في سنة 315 هـ . وهو يومئذ ولي عهد أبيه (27) وقبل ذلك كانت موضعًا يسمى « المُسِيلَة » .

ويقال إنّه كانت بالمسيلة قبيلة بربرية تعرف « ببني كملان » تسكن هذا الموضع وكانت من جملة الثّوار الخارجين على الدولة العُبيدية . فلمّا ملك أبو القاسم العُبيدي هذا المكان أمر بنقلهم إلى فحص القيروان (28) . وقد يقال إنّه يجوز أن يكون عبد الكريم النّهشلي بربريًا ، وانتقل إلى القيروان مع بني كملان . لكن يستبعد هذا من جهتين ، أولاً بالنظر إلى لقبه ونسبه العربيّيْن ، وثانيا لعِلْمنا أنّه انتقل إلى القيروان في عهد متأخّر عن هاته السنة .

ونشأته بالمحمّدية ، على ضوء ما قدمنا ، تقع في العقد الثاني من القرن الرابع أو بعد ذلك بقليل على عهد تشييد هذه المدينة العبيدية . وقد تكون قبيلته وافدة من القيروان إذ من الطبيعي أن يسعى أبو القاسم باني المحمدية إلى توطين قبائل عربية بمدينته الجديدة بعد أن أخرج منها أو من موضعها الأصلي قبيلة بربرية قديمة .

---

(25) ياقوت : البلدان 365/4 .
(26) تقع هذه المنطقة اليوم فى ارض الجزائر .
(27) ياقوت . البلدان : 58/8 ، 393/7 .
(28) ياقوت : البلدان : 58/8 .

والنّهشلي نسبة إلى بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (29) وتميم هو ولد مرّ بن أدّ بن صابخة بن إيـاس بن مضر (30). ومن مشاهير رجال بني نهشل بن دارم الأسود بن يعفر النّهشلي الشاعر ، وضمرة بن ضمرة النّهشلي، وكان مقدما في الجاهلية لفصاحة لسانه وبيانه ومنهم سلمى بن جندل أحد فرسانهم المشهورين في الجاهلية (31) . ومن بني نهشل بن دارم في الإسلام خازم بن خزيمة قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود الذي مدحه الحطيئة وكُثيّر عزة الشاعر العذري المشهور (32) .

ويلتقي عبد الكريم النّهشلي مع الفرزدق في جدهما الأعلى : دارم ، فعبد الكريم من بني نهشل بن دارم والفرزدق من بني مجاشع بن دارم .

والنّهشل في اللغة الذئب والقصر (33) . وقيل اشتقاق نهشل من قولهم : نهشل الرجل وخنشل اذا أسن واضطرب (34) .

ولا نعرف عن تربيّة عبد الكريم في بيئته الأولى شيئاً ، غير أنّـه قياساً بمعاصريه المعروفين نستطيع أن نقول إنّه قد التحق في صغـره بكتّاب هناك بالمحمّدية لحفظ القرآن وتلقّي مبادىء الدين وعلوم اللغة العربيّة ، كما كان ذلك شائعاً في جميع مدائن إفريقيّة ، فما بالك بمدينـة أسسّها العبيديّون .

وكان تلقّي العلم بالكتاتيب هو مرحلة التعليم الأولى للصّبيان . ومن أراد من أبناء المحمّدية أن يطلب مزيداً من العلم والمعرفة بعد ذلك ، كان عليه أن يتوجّه إلى القيروان حاضرة إفريقية (35) وهكذا كان شأن عبد الكريم

(29) ابن حزم : جمهرة : 216 .
(30) ابن عبد ربه ، العقد : 3/344 .
(31) ابن دريد ، الاشتقاق : 244 .
(32) ابن عبد ربه ، العقد 3/349 .
(33) الصحاح [نهشل] .
(34) ابن دريد ، الاشتقاق : 243 .
(35) الاهوانى ، التعليم فى رأى القابسى : 38 ـ 44 .

على حسب التقدير . ولكننا نجهل تاريخ قدومه القيروان ، وكنا نفيد من معرفة ذلك (36) في تحديد من أدركهم من شيوخ العلم بالقيروان .

وأشهر معاهد العلم بالقيروان في ذلك الحين هو الجامع الكبير ، جامع عقبة بن نافع ، فقد كان أكبر معهد مفتوح لعامة طلاب العلم ، وخاصة لأولئك الأفارقة الذين يأتون من نواحي المغرب الأوسط كالزاب وتاهرت ، ويكونون قد ارتحلوا من مواطنهم الأولى إلى القيروان بقصد أن ينمّوا ثقافتهم ويوسّعوا دائرة معارفهم .

وكانت الدروسُ التي تُلقّى في هذا المسجد مختلفة ، وأغلبها بحكم طابع البلاد الديني الدروس الشرعية في علوم التفسير والحديث والعبادات والمعاملات والفرائض ، وغير ذلك ممّا هو معروف من العلوم الدينية كالقراءات والكلام . وكانت أشهر الكتب المتداولة بين طلاب القيروان في ذلك الحين مدونّة الإمام سحنون (37) والشّروح الموضوعة حولها طيلة قرن من الزمان . وكانت أشهر الرسائل المصنّفة في الفقه والتي كان الطلاب يقبلون عليها بشغف مزيد لحُسن وضعها وسهولة عبارتها رسالة ابن أبي زيد القيرواني (38) .

وإذا ذكرنا أن المذهب السائد بين مذاهب الشّرع الإسلامي في القيروان وفي إفريقيّة عامة هو المذهب المالكي أدركنا أن هذه الكتب التي كانت تدرس والتي ألّف معظمها علماء قيروانيون كانت تقرر مسائلها على رأى مالك بن أنس أساساً ومن قبيل العلم لا العمل كانت تعرْرِض لآراء غيره من الأئمّة الآخرين ، أي أن الثقافة الدينية القيروانيّة كانت مالكية في طابعها .

---

(36) يقول الاستاذ ح ح عبد الوهاب أن النهشلي قدم القيروان فى حدود 345 هـ دون ان يسند ذلك الى مصدر قديم مع الملاحظ ان ما استعمله من المصادر خال مما يفيد ذلك .

(37) ابن فرحون الديباج : 150 واسم سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى .

(38) وهو فقيه امام علماء القيروان فى عصره توفى سنة 386 هـ .

وينطبق ذلك على معظم تاريخ القيروان عامة ولم يكن للمذاهب الثلاثة الأخرى حظ من القيراوان سوى مذهب أبي حنيفة الذي كان قليل الأتباع جدًا . ولولا أنّه أدخله أحد أبناء القيروان ممّن كانت له سلطة، وهو أسد ابن الفرات لمّا دخل هذا المذهب إلى إفريقيّة ولمّا استطاع أن يعيش (39) .

وربما لمالكيتهم كان أهل القيروان والمغرب يلقون تقديرًا خاصا لدى أهل الحجاز حين يرتحلون إليهم حاجين ومستزيدين في العلم . ولم يكن أهل القيروان على خلاف مع عامة أهل المشرق في المذهب فقط بل كانت القراءة السائدة عندهم في تلاوة القرآن الكريم هي قراءة ورش ، أحد القراء السبعة (40) ، ومع ذلك فقد كانت لهم دراية بغير قراءتهم المفضلة . وكانت القراءات في العلوم الضرورية التي يرغب طلبة القيروان في إتقانها . وأغلب علماء المدينة وأدبائها وشعرائها كانت لهم إجازات في هذا العلم ، وهو علم كان يحظى لدى أهل العصر بأهمية بالغة .

ومن العلوم الإيمانية التي كانت تدرس في هذا الوقت علم الكلام ، وكانت القيروان شديدة التمسك بمذهب أهل السنّة والجماعة ولذلك كانوا يفضّلون أن يطلقوا على هذا العلم علم التوحيد تجافيا عن كلام المتكلمين ، الذين يأخذون في هذا العلم بالمنطق والفلسفة من علوم الأوائل . وكانت بيئة القيروان على ذلك سلفية محافظة وتنكر أن يتكلّم النّاس في صفات الله بمثل ما تكلّم به المعتزلة في المشرق (41) .

أمّا تلك العلوم المعروفة بعلوم الأوائل كالفلسفة والمنطق وغيرهما فليس هناك ما يدل على أن حظّها كان مُقَاربًا ولو قليلا لتلك الحُظْوة التي كانت تَلْقاها في المشرق ، فقد كانت محاربة من الدين في أشخاص

(39) محمد ابو زهر ، تاريخ المذاهب الاسلامية : 2/223 الديباج 98 .
(40) ورش هو عثمان بن سعيد بن عدى اصله من القيروان ونشأ وتوفى بمصر (110 ــ 197 هـ) . ياقوت ارشاد : 5/33 .
(41) لاحظ اشتمزاز النهشلي من سيرة أحمد بن أبى دواد مع أهل الحديث فى محنة خلق القرآن ، الممتع : 55 أ .

فقهاء القيروان الذين كانت لهم صولة كبرى . وكل ما بذله بعض الأمراء في الدولة الأغلبية وأيام الحكم العُبَيْدي من تشجيع لهذه العلوم في الوسط القيرواني لم يثمر حتى القرن الرابع – عصر النّهشلي – ولو بمتفلسف واحد . وإنمّا الذي بلغ شأواً من التقدم على يد بعض علماء القيروان فهو العلم الطبيعي كالطّب والكيمياء والفلك ونحو ذلك من العلوم النفعية في الغالب . فقد عرفت القيروان في هذا العصر أطباء لا نظير لهم وكيميائيين وفلكيين مثل ابن الجزار وعلي بن أبي الرجال والكندي القيرواني الرياضي (42) وغيرهم .

لكن يبدو أن عبد الكريم النّهشلي كانت همتّه متعلّقة أكثر بعلوم العربية حينما قدم القيروان أو حينما تذوق الأدب في هذه البيئة الجديدة . ولذلك فقد كان اكتفى بحظ قليل في العلوم الشرعية والعقلية ، فلم يبرع فيها براعته في الشّعر كبعض من برعوا في العلوم الشرعية والأدبية ممن ذكرهم ابن رشيق من المعاصرين للنّهشلي . ولذلك قيل في ترجمة عبد الكريم كان شاعراً مقدماً خبيراً بأيّام العرب وأشعارها بصيراً بوقائعها وآثارها (43) .

وإذا كانت الثقّافة الدينية في القيروان ذات طابع متميز تميزاً واضحاً عنها في الشرق في هذا العصر ، إلى حد يمكن أن يقال معه أنّها ثقافة قيروانية أصيلة (44) ، فالحال تختلف عن ذلك قدرا من الاختلاف بالنسبة للثقافة الأدبية الرائجة يومئذ في القيروان . فإن الأدب هو الأدب في القرن الرابع على طول البلاد الإسلاميّة وعرضها ، فهو في أساسه واحد . فالكتب الأصول لتكوين الملكة الأدبية كانت هي تلك الكتب الشرقية المشهورة كالبيان والتبيين والكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة والأمالي لأبي علي القالي ، وكان الطلبة يعنون بتدارسها ومحاكاة أساليبها في أول الأمر محاكاة ساذجة بسيطة إلى أن تنطبع في أذهانهم ألواناً من الانطباع

(42) النيفر ، عنوان الاريب : 42 ، ح ح عبد الوهاب : ورقات : الجزء الاول فصل الطب .

(43) الصفدى ، الوافى : 17/106 .

(44) لقد عرفت بعض الاحكام الشرعية بالقيروانية .

فتميض بعد ذلك قرائحهم بإنتاج مَهْمَا يكن يتّسم بشخصيتهم المستقلة إلا أنّه لايكاد يختلف في خصائصه ومميزاته الأصليّة عن إنتاج شعراء المشرق وأدبائه ، ونستطيع أن نجد له نظائر متكررة هنا وهناك (45) .

ورغم أن معظم المؤلّفات التي وضعها القيروانيون في الأدب لم تصلنا كلّها ، ولا حتى أقلّها لنعرف حظ أهل إفريقية في التأليف الأدبي ، الا أن أبرز مثال واضح منها هو كتاب زهر الآداب للحصري ، وهو لا يَعْدُو كونه منتخبات من الكتب العراقية المشهورة . وكانت القِبْلة الأدبية للشعراء والكتاب في هذا العصر وفي ما قبله ، سواء في المغرب أو الأندلس متّجهة إلى العراق ، وذلك أمر طبيعي لسبقه في فنون الأدب جميعها وعناية علمائه المبكرة بتدوين علوم العرب وآدابها .

ولا أعتقد أن عبد الكريم النّهشلي وجد كُتُبًا قيروانية عديدة في علم الأدب ، في أوائل هذا القرن ولكن مطالعة تاريخ الأدب في هذه الفترة في القيروان تجعلنا ندرك أن حركة قويّة من التأليف قد بدأت تنشط في أوائل القرن الرابع وأنّها سوف تؤتي أُكْلَهَا بعد ذلك بقليل مع جيل عبد الكريم النهشلي .

ونعتقد أيضا أن عبد الكريم لم يصادف بالقيروان عندما دخلها في الربع الأول من هذا القرن فحولا في الشعر ولا جهابذة في النقد ولا كتّابًا مبرزين — اللّهم إلا نفرًا قليلاً جدًا — وانّما صادف وجوده بالقيروان نخبة من أبنائها جادة في سبيل أن تكون كذلك ، فواكبهم وأصبح واحدًا منهم غير أنّهم قبل أن يبلغوا مبلغهم ذلك كان ينبغي عليهم أن يبذلوا جهودًا عظيمة للحصول على ثقافة أدبية وشعرية واسعة .

وكانت النهضة الحضارية التي نَمَتْ بالقيروان في آخر عهد الأغالبة وأينعت في عهد العُبيديين قد أتاحت الازدهار للحياة الأدبية ووفرت أسباب رواج هذه

---

(54) راجع على ذلك قصيدة ابى القاسم الفزارى ص 14 .

الصناعة مثل المكتبات ودور العلم والمجالس والمنتديات للمساجلات الشعرية والمحاورات الأدبية وتلقيح الخواطر وشحذ الهمم . ولم تكن الملكة الشعرية لترسخ في أذهان النّهشلي والحصري والقزاز وأمثالهم إلا بعد طول تمرّسهم بحفظ الأشعار وإتقان علوم العربيّة كأخبار العرب وأنسابها .

وقد كانت دواوين الشعر المشرقية متداولة بكثرة بينهم ، وربما لم يكن يمضي الحول على وضع الديوان هناك في العراق أو الشام حتى يجد طريقه إلى أيدي شداة الأدب بالقيروان . هذا عدا عيون الشعر القديمة كالمعلّقات والمذهبات والمسمّطات ونحوها من فرائد الشعر العربي. فقد كانت جاءت واستقرت في البيئة الإفريقية منذ زمن بعيد ، قد يرجع عهده إلى أيام الفتح الأولى . وبجانب ذلك كانت تروج أيضًا دواوين القيروانيين من الشعراء المشاهير كبكْر بن حمّاد (المتوفى سنة 344 هـ) .

وقد كانت علوم الشعر وهي علوم اللّغة العربية عامة ضرورية لثقافة الشاعر ، فكان ينبغي عليه أن يعرف أيّام العرب ويحفظ أخبارها وأنسابها ، بل لقد كانت ضرورية له ضرورة فهم الشعر القديم نفسه وأيضًا فإنّه لم يكن في غنًى عن معرفتها لحاجته إليها في قاموسه اللّغوي والفكري الذي يستخدمه استخدامًا مباشرا في أشعاره .

في هذا الجو الثقافي العام نشأت ملكة النّهشلي الأدبية والنّقدية وتربّت قريحته الشعرية ،فهل نستطيع أن نعرف شيوخه الذين كان لهم الفضل في ذلك ؟

لم تذكر المصادر واحدًا منهم غير أنّا نستطيع أن نرجع إلى وفيات أعيان الأدب في القيروان قبل منتصف القرن الرابع أو بعده بقليل لنعرف من كان منهم في رتبة المَشْيَخَة ونُقدر بناء على ذلك أن النّهشلي جلس اليهم وأخذ عنهم العلم والأدب . ومن أبرزهم أبو القاسم الفزاري ،توفي سنة 345 هـ . وهو قيرواني أصيل ، كان من الشعراء المقدمين في عصره وعالمًا كبيرًا من علماء

الأدب . وكاز يضرب في شعره مضرب الفحول من شعراء الطبقة الأولى الإسلاميين وهذه إحدى قصائده ، وتحسبها للفرزدق :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أوْسُ سعدى بقومـهِ
وَلاَ سَيّدُ الأوْبارِ بن عَاصمِ

ولاكانَ ذُو الجَدينِ بينَ كتائب
وحَيّ منْ بَكْرٍ وحيَ اللهازمِ

وَرُب مَعَدّ والأحاليفُ حَوْلَـهُ
قروم كأسد الغيل من آل دارمِ

ولاَ حاجبُ ذو القوس يخطُو حوْلهُ
عبابُ كموج اللّجَةِ المتلاطمِ

وأحنْفُ سعْد بيْن سَعْدٍ ومَالكٍ
ومنْ رامهم منْ نهشلٍ والبرَاجمِ

ولاَ خالِدٌ سم العداة ابنُ جعْفرٍ
ولاَ الحارثُ الشهمُ الفؤَاد بن ظالمِ

وذُو الجبَلَيْنِ فِي عَصَائب طيَء
فتى الفضل والنعمى عدي بن ظالمِ

ولاَكان زيد الخيلِ والخيرِ والقَنَا
وزيْدُ المنايَا والسُيُوف الصوارمِ

إلى أنْ يَقُول ، وهو إنّما أنشأ هذه القصيدة في مدح المنصور العبيدي :

[من الطويل]

بِأمْنَعَ مِنّي في جوار خَليفَـــةٍ
عطُوفٍ علىَ أهلِ البيوتات راحِمِ
كريمُ المساعي والأيادي سمتْ بِـهِ
أبُو صَدْقٍ مِنْ ذُؤَابةِ هاشمِ
شَرِيفُ الأدانِي والأقاصي مُهَذّبٌ
إذَا مَا عَدَدْنَا فضْلَ أهل المكارمِ

وَالفَزاري هو صاحب القصيدة القيروانية المشهورة :

[من الوافر]

فَهَلْ لِلْقَيْرَوان وسَاكِينهَــا
عَديلٌ حِينَ يَفْتَخِرُ الفخورُ
بِلاَدٌ حَشْوُهَـا عِلْمٌ وَحِلْــمٌ
وَإسْلاَمٌ وَمَعْرُوفٌ وَخَيْـرٌ
عِـرَاقُ الشّام بَغْدَادُ هَـذِي
عِـرَاقُ الغَرْبِ بَيْنَهُمَا كَثيرُ
وَلَسْتُ أَقِيسُ بَغْدَادًا إلَيْهَـا
وَكَيْفَ تُقَاسُ بالسّنَةِ الشهورُ
بِـلاَدُ خَطّهَـا أصحابُ بَـدْرٍ
وَتِلْكَ اخْتَـطَ سَاحَتَهَا أميـرُ
بناها المسْتجابُ(46) وقدْ دَعَا في
جَوَانِبِهَا دَعَــاءً لا يَبُـورُ

(46) يريد عقبة بن نافع ، فهو يقال له المستجاب .

بَنَاهَا كُلُ بَدْرِيّ كَرِيمٍ
كأنّ صفَاح أَوْجههمْ بُدُورُ

هُمُ صَلّوا بِمَسْجِدهَا بَرَاحًا
وَلَيْسَ لَهَا جِدَارٌ مُسْتَدِيرُ

هُمُ وَضَعُوا لَهَا أسسا وَسَاساً
فَقُدمستْ المَوَاضِعُ والصُّخُورُ

ومن شيوخ الشّعراء والأدباء في هذا الحين بالقيروان ابن الرائس ابو العباس الفضل بن نصر، توفي سنة 344 هـ . وكان من الشعراء المجيدين في المراثي وشكوى الزمان خاصة ، ومن ذلك قوله :

[من الكامل]

وَأشَدّ مَا ألْقَى وَأنْضَجُ لِلْحشى
عَدَمُ الوَفَاء وجعفوةُ الإخْوَانِ

أمّا الزمَانُ فَوَاعِظٌ لكَ صرْفُهُ
لَوْ كُنْتُ مُتّعِظًا بصَرفِ زَمانِ

ومن الشعراء والبلغاء المتقدّمين في القيروان والذين كان لهم ذكر طائر في إفريقية وغيرها من أقطار العرب الشّاعر المشهور علي بن الايادي ، توفي سنة 365 هـ . ومن أبياته المختارة قوله يصف بِرْكَةَ ماء في قصر ممدوحه المنصور العبيدي :

[من الطويل]

لَهَا مَجْلِسٌ قَامَ فيوَسْط مَائها
كَمَا قَامَ في فَيْضِ الفُرَاتِ الخَوَرْنَقُ

كَأن صَفَاءَ المَاءِ فيهَا وحسْنهُ
زُجَاجٌ صفَتْ أرْجاؤُهُ فهوَ أزرقُ
إذَا بثْ فيها اللّيْلُ أشخاص نجْمهِ
رَأيْتَ وجوه الزنْج بالنّار تحْرقُ

ومِنْ وصفه البديع لفرس الأمير جعفر بن القائم قوله :

[من الكامل]

يَسْتَوْقفُ اللّحظَاتِ في خُطواتهِ
بِكَمَالِ خِلْقَتِهِ وَدِقةِ حُسْنهِ
مُتَجَسّرُ يُنْبِي بِعِتقِ نِجارهِ
إشراق كاهِلِهِ ودقّةُ أذْنِهِ
وَكَأنّهُ فَلَكٌ إذا حَركتْهُ
جَار عَلَى سَهْلِ البِلادِ وحزْنهِ

وله في وصف أسْطول القائم بالمهْدية قطعةٌ من أجملِ الشّعر القيرواني وهي من قصيدة مطلعها :

اعْجبْ لأسْطُولِ الإمامِ مُحمّدِ
وَلِحُسْنِهِ وزَمَانِهِ المُسْتَغْربِ

يقول فيهَا (47) :

[من الكامل]

سَجَرُوا جَوَاحِمَ نارها فتقاذَفوا
مِنْهَا بِألْسُنِ مَارجٍ مُتَلَهّبِ

(47) سجروا : يريد ملأوها وقودا يشير الى نار النفط .

مَحْفُوفَةٌ بمجاديفٍ مَصْفُوفَةٍ

في الجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صلبٍ صلّبِ

وَتَحثهَا أيْدِي الرجَالِ إذا وَنَتْ

بِمُصَعّدٍ مِنْهَا بُعَيْدَ مُصَوّبِ

جوْفاءُ تحملُ كَوْكَبًا في جوْفِهَا

يَوْم الرهَان وتَسْتَقل بمرْكبِ

يَعْلُو بِهَا حدْب العُبَاب مطَارَةً

في كل لُجّ زاخِرٍ مُغْلوْلِبِ

يَتَركّبُ المَلاحُ مِنْهُ ذُبَابَةً

لَو رَام يَرْكَبُهَا القَطَا لم يركبِ

وكأنّمَا جِنٌّ ابْنِ دواد هُمُ

رَكِبُوا جَوَانِبهَا بِأعْنَفِ مَرْكبِ

من كل مسجون الحريق إذا انبرى

منْ سجنه انصلتَ انصلات الكوكبِ

وفيهَا يقول :

شَرَجُوا جوانبهُ مجادف أتْعَبَتْ

شَأْوَ الرياح لهَا ولَمْ تَتْعَبِ

وَالبَحْر يجْمَعُ بَيْنَهَا فكأنّهُ

لَيْلٌ يُقربُ عَقْرَبا مِنْ عقربِ

فَكأنّمَا البحْر اسْتَعَارَ بِزيّهِمْ

ثَوْبَ الجَمَال مِنَ الربيعِ المذهبِ

ومِنْ أجلّ علماء القيروان بالمذهب المالكي وشيوخهم في الفقه والعلوم العربيّة الامام أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386 هـ . وكان رَحَل إلى المشرق ، فحج وسمع من علمائه ثم عاد إلى بلده واشتهر ذكره وسارت تآليفه في جميع الأصقاع الإسلامية حتى بعث اليه أبو بكر الأبهري قاضي بغداد يرغب منه أن يأذن له برواية بعض كتبه والاجازة بها ، فأجابه برسالة لطيفة من بين ما تضمنته قوله : « عرفني . ـ أكرمك الله ـ [فلان] ما رغبت فيه من كتاب المختصر للمدونة الذي علّمناه وجميل موقعه منك ، بارك الله فيما وَهَبَكَ ، وقسم لك من صحة المذهب وجميع المطلب ، والقلوب ـ أيدك الله ـ تتواصل من عرفان الحق والتواصل عليه ، وفيه جمع الله قلوبنا على التّقوى ، وبارك لنا ولك فيما يسّرنا اليه من ذلك . وحقّك علينا أكرمك الله لذلك ولغيره ، لمّا جرى من سلفك الصالح من إقامة هذا المذهب وإحيائه ، والمحاماة على استعلائه ـ رحمة الله عليهم ـ أجزت ذلك لكل من رغب القاضي في إجازة ذلك له ... » وكان لابن أبي زيد شعرٌ كثيرٌ في الزهد والحكمة ، من ذلك قوله في التنافر والتحابب النّفسي :

تأبي قُلُوبٌ قُلُوبَ قومٍ وَمَا لَهَا عِنْدهَا ذُنُوبُ
وَتَصْطَفِي أنْفسٌ نُفُوسا وَمَا لَهَا عِنْدَهَا نَصِيبُ
وَمَا ذَاكَ إلا لمُضْمَرَاتٍ أضْمَرهَا الشّاهِدُ الرقِيبُ

ونكتفي بهؤلاء الأربعة المشاهير ممّن نقدر أن النّهشلي كان من تلامذتهم . أمّا مُعَاصِرُوه من الأدباء والكتاب والشّعراء ، وخاصة ممّن كانوا أتْرَابه ، فعددهم وافرٌ جدّا ، ولم تحظ القيروان بأكثر منهم في تاريخها القديم والحديث ، وهم أغلب من ترجم لهم ابن رشيق في الأنموذج (48) ونقتصر هنا على ذكر بعضهم وإيراد شيء من مُختار شعرهم .

(48) راجع مسالك الابصار : ج 11 ق 2 ص 292 وما بعدها .

الحاجب عبد الوهاب (49) وهو عبد الوهاب بن الحسين وكان حاجب الدولة في عهد المنصور الصّنهاجي وقبله ، توفي سنة 387 . قال عنه صديقه الرقيق الكاتب القيرواني : « كان واحد عصره في الغناء الرائع والأدب البارع والشعر الرقيق واللفظ الأنيق ورقة الطّبع ... ومن أبياته الطّريفة قوله :

[من البسيط]

يَا طيبَ يوْمٍ غَنَمْنا طيبَ لَذتِهِ
حتّى وصَلْنَا بِهِ الآصال بالبكَرِ

ونَحْنُ نَشْرَبُهَا صهْبَاء صافيَةً
ونَشْتَوي صَبْدنا في محكم الحُفرِ

فَالجَوّ يُحْصُبُ وجه النار من برد
والنّارُ تحصب وجه الجو بالشّررِ

ضدّان حَوْتُهُمَا سِلْمٌ لأنفُسِنَا
تَرَاجمَا بحصَى اليَاقوتِ والدررِ

فَانْعَم بِهِ واحبُهُ باللّهوِ حُلتَهِ
واعْدُدْهُ في الدهر منْ أيامك الغُرَرِ

ويقول في الخَمْر :

[من الطويل]

أحَامِلَهَا مِنْ لُؤلُؤٍ وعَقِيقٍ
ومَازَجِهَا منْ سَلْسلٍ ورَحيقِ

أدِرْهَا عَلَيْنَا يَالَكَ الخيرَ إنّنَا
سَلَكْنَا إلىَ اللّذاتِ كل طريقِ

(49) ح ح عبد الوهاب : ورقات : 2/208 .

وابن عبدون الوراق (50) المتوفى في حدود سنة 400 هـ . وأصله من سوسة ، قال يتشوق اليها وكان أثناء ذلك بجزيرة صقلية :

[في المنسرح]

بِاللهِ يَا جَبَلَ المُعَسْكَرِ دَعْ
رِيحَ الجَنُوبِ لَعَلَّهَا تَسْرِي
كَيْمَا أُسَائِلُهَا فَتُخْبِرُنِي
مَا يَفْعَلُ الجِيرانُ بِالقَصْرِ
يَا قَصْرَ طَارِق الذي طَرَقَتْ
أَحْشَائِي فِيهِ بَلابِلُ الصدر
واللهِ مَا قَصَّرْتَ عَنْ قَلَقِ
لَكِنَّنِي قَصَّرتُ بِالقَسْرِ
فَسَقَاكَ مَنْهَلَ الحَيَا وَسَقَى
عَصْرًا تَقَضّى فِيكَ مِنْ عَصرِ
لَوْ أَسْتَطِيعُ سَبَحْتُ مِنْ طربٍ
شَوْقًا إِلَيْكَ سَوَاءً ذَا البَحْرِ

والحُصري القيرواني ، أبو إسحاق ابراهيم المتوفى سنة 413 هـ . صاحب زهر الأداب ولُباب ثمر الألباب. وكان شاعرًا عالي الطبقة ، ومن شعره الرقيق يصف الياسمين قبل انفتاحه قوله :

[من الطويل]

خليليَّ هُبّا وانْفُضَا عنكُمَا الكرى
وَقُومَا إلى رَوْضٍ ونشرٍ عَبِيقِ

(50) المنتخب : 54 .

فَقَدْ رَاحَ رَأسُ الياسمين مُنَوراً
كَأقْرَاطِ دُرٍّ قُمِعَتْ بِعقِيقِ
يميلُ على ضُعْفِ الغصُون كأنَّمَا
لهُ حَالتا ذِي غَشْيَةٍ ومُفِيقِ
إذا الريحُ أنْدَتْهُ منَ الأرض خِلتَه
نَسيمُ جَنوُبٍ ضمّختْ بِخلُوقِ

والقزّاز القيرواني وهو أبو عبد الله محمّد بن جعفر التّميمي النحوي، المتوفي سنة 413 هـ . وله قطعة جميلة من الغزل يقول فيها :

[من الكامل]

أمّا ومَحل حُبّك في فؤادي	وقدْر مكانِهِ فيهِ المكينِ
لَوْ انْبَسَطَتْ لي الآمالُ حتى	تُصيّرُ منْ عنانك في يميني
لصنْتك في مَكَان سواد عيني	وخطْت عليك من حذر جفوني
فأبْلُغ مِنكَ غايات الأمَانِي	وآمنُ مِنْ فيك آفات الظنون
فلي نَفْسٌ تجرع كل حينٍ	عَلَيْكَ بِهِنْ كاساتِ المنونِ
إذا أمنتْ قلوبَ النّاس خافت	عَلَيْكَ خفي ألحاظ العيونِ

ومحرزُ بن خلف، المتوفى سنة 413 هـ . وهو من معلّمي الصبيان المشهورين في إفريقية ، وله قصيدة فريدة في ذكر أطلال مدينة قرطاجنة نقتطف منها هذه الأبيات (51) :

[من الطويل]

خَلِيليَّ مُرّا بِالمدِينَةِ واسْمَعَا
مَدِينةِ قَرْطَاجَنّةَ ثُم وَدعَا

(51) المنتخب من أدب العرب : 426 .

طلولاً بهَا تبْكِي لِفقْدان أهلهَا

كمَا ندَب الأطْلال كسرى وتبّعا

وَقولا لها مَا بَال ربعك دارسِا

وَمَا بَالُ وفد قد بناك وودعَا

وَخلاّك مِنْ بَعْد اجْتمَاع وغبطة

ومنْ بَعْد تَشْييد خلاء وبَلْقَعَا

تُصفّقُ فيك الريحُ منْ كل جانب

وَفرّقَ منكَ الدهر مَا قدْ تجمعا

فمزق ذاكَ الشّمل بعْد اجتماعِه

فَلله دَهرٌ مَا أغرّ وأفْجَعَا

ومن مشاهير الكتاب والشعراء من معاصري النّهشلي بالقيروان أبو إسحاق ابراهيم بن الرقيق القيرواني، المتوفى بعيد 418 هـ. ومن مختار شعره قصيدته التي يتشوق فيها إلى مصر ومطلعها :

[من الطويل]

هل الريحُ إنْ سارت مشرّقةً تسري

تؤدي تحياتي إلى ساكني مِصْرِ

فمَا خطرت إلا بكيْتُ صبَابَةً

وحملتُهَا ما ضاقَ عن حمله صدري

تراني إذا هبّتْ قبُولاً بنشرِهُم

شمِمتُ نسيم المِسْك في ذلك النشر

وإنْ أنس من شيء سوى العهد دونَهُ

فليس بخالٍ من ضميري ومن فكري

ليَالِ أنْسينَاها علىَ غرّةِ الصبَا

فطَابتْ لنَا إذْ وافقتْ غرة الدهر

لعمري لئِن كَانتْ قِصاراً أعُدّهَا

فلَسْتُ بمُعْتدّ سوَاهَا من العمر

إلى أن يقول :

فكَمْ لِي بالأهْرَامِ أوْ دير نهْيَةِ

مصائدُ غِزْلانِ المكايدِ والقفرِ (52)

إلى الجيزَةِ الدنْيَا ومَا قد تضمنتْ

جزيرتُهَا ذاتُ النّواعِير والجسرِ

وبالمَقْس والبُسْتَان للعيْنِ منظرٌ

أنيقٌ إلى شاطِيءِ الخليج إلى القصر (53)

رأينا فيما سبق ملامح من الحياة الثقافية والأدبية التي تخرج فيها عبد الكريم النهشلي بالقيروان . وذكرنا أنها لا تختلف في شيء عن الحياة الأدبية العامة في القرن الرابع عامة ، سواء في الأندلس أو في الشام أو في العراق . وعرضنا لشيوخه أو لمن هم في مرتبة شيوخه وذكرنا عددا من معاصريه وأترابه من شعراء القيروان وأوردنا نماذج من شعرهم . وبقي أن نتحدث عن شخصية النّهشلي الاجتماعية مرجئين الحديث عن شخصيته الأدبية إلى حين الحديث عن شعره وكتابه الممتع .

(52) يريد بغزلان المكائد الجوارى الحسان وغزلان القفر ، ما يصاد فى بادية الهرم .

(53) المقس الان موضعه اولاد عنان ، ويريد بالبستان ، البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر ، القصر الكبير وموضعه الآن المسجد الحسنى وخان الخليلى ونواحيه .

كان من الطبيعي أن تجذب حياة القيروان الحضرية أبناء إفريقية ممن يقصدونها لطلب العلم كالنهشلي ، فيفضلون العيش والإقامة بهـا وخاصة عندما يشعرون أنهم قد أصبحت لهم مكانة علمية في وسطهـا ، وأن شخصيتهم المتحضرة لم تعد تلائمها غير بيئة القيروان التي كونتهـا ثم خاصة حينما يدركون أن بضاعتهم الأدبيـة ليست لهـا سوق رائجة إلا في القيروان حيث الشعراء والكتاب والأدبـاء يعيشون في ظلّ الساطان ، يستمنحونه بشعرهم أو يستكتبُهم في دواوينه ويباهي بهم غيره من ملوك عصره . إلاّ أن العلمـاء والأدباء يفضلون العيش بالقيروان لا لهذا السبب أو ذاك وإنما لأنهم لا يستطيعون العيش إلاّ في بيئة العلم والأدب .

وعندمـا نستعرض وظـائف أدبـاء القيروان وشعرائهـا نجد معظمهم كـانوا كتابًا بدواوين الدّولة وهي متعدّدة ، وأغلبهم كانوا يعملون في ديوان الرّسـائل . على أن هناك عددًا منهم كانوا يتصدّرون القضاء أو المشيخـة والإقراء بالمسجد الجـامع بالقيروان ، ويجـرى لهم مخصص من بيت مـال المسلمين .

وقـد ورد في مصادرنـا خبران تلفتنا فيهمـا علاقة النّهشلي بديوان الخراج ، فقد روى لنـا ابن رشيق عمن حدثه خبرًا نجد فيه النّهشلي حاضرًا مـع جماعة من كتّاب الخراج يتذاكرون البديهة في الشعر (54) . والخبر الثـاني هـو في الحقيقة تلك القصيدة التي أنشدهـا النّهشلي في رثـاء عيسى ابن خلف صاحـب خراج المغرب (55) فقد نظن على أسـاس هذين الخبرين أن النّهشلي كتب في ديوان الخراج فترة ما من حياته . على أنه من المؤكد على كل حـال أنه كتب في إحدى دواوين الدولة على عهد العبيديين بالقيروان وظل في خطـة الكتابة على عهد خلفائهم الصنهـاجيين : فقد نقل العمـري

(54) العمرى ، مسالـك ، ج 11 ق 2 ص 292 وانظر فيما يلى ص : 60 .
(55) الحصرى ، زهر الآداب : 215 وانظر الابيات فيما يلى .

عن ابن رشيق أن النّهشلي «كتب لتميم بن باديس» (56). والحق أنه ليس فيمن تولى القيروان في الدولة العبيدية أو الصنهاجية أمير بهذا الاسم. فلا شك أن العمري اضطرب في النقل، ولعله يريد «باديس بن المنصور» ثالث أمراء الدولة الصنهاجية الذي كان النّهشلي معاصرًا له (57). ولا يكون: المعز بن باديس، لأنه تولى الحكم بعد وفاة النهشلي. والراجح أن النّهشلي كتب للمعز لدين الله الفاطمي (58) ولبُلُكيّن بن زيري وأبي الفتح المنصور (59) وابنه باديس ولم يدرك ولاية المعز بن باديس.

وكانت للنّهشلي في حياته روحات إلى المهدية ولعله كان يستطيب موقعها، ويروح بحسن مناظرها عن نفسه كما يدل هذا الخبر الذي رواه ابن رشيق، قال: حدثني بعض أصحابنا من أهل المهدية وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكُدْية، وهو أشرفها أرضًا وهواء وقال: جئت هذا الموضع مرة فإذا عبد الكريم على سطح برج هناك، قد كشف الدنيا، فقلت: يا أبا محمد! قال: نعم، قلت: ما تصنع ها هنا؟ قال: ألقح خاطري وأجلو ناظري. قلت: فهل نتج لك شيء؟ قال: ما تُقِرّ به عيني وعينك إن شاء الله تعالى. وأنشدني شعرًا يدخل في مسام القلوب رقّة. قلت: هذا اختيار منك اخترعته. قال: بل برأي الأصمعي». (61) ولا نعرف ما إذا كان النّهشلي يتردد إلى مسقط رأسه المحمدية. ولم تذكر لنا المصادر أيضا أنه كانت له رحلة إلى خارج بلاد إفريقية كالأندلس والمشرق، مع أن ذلك محتمل جدا لما نعرفه من كثرة السفارات التي كان يرسلها الحكام العبيديون والصنهاجيون

---

(56) العمرى، مسالك: ج 11 ق 2 ص 292 ولم يلتفت احد ممن نقله للخطا فيه.

(57) كانت ولاية باديس بين سنتى 387 ـ 406 هـ.

(58) ولاية المعز من سنة 341 الى 362 هـ.

(59) ولاية بلكين: 362 ـ 373 هـ.

(60) ولاية المنصور من 373 الى 386 هـ.

(61) ابن رشيق: 138/1. يتضح لنا على التحقيق المقصود من العبارة الاخيرة فى هذا الخبر.

إلى الشـرق ، وآل بني زيري الصنهـاجيين كانوا كثيرًا مـا يتبادلون السفارات بينهم وبين مصر الفاطمية ، وكان يقودهـا غالبا كتّاب مشهورون بالأدب والبلاغـة وقوة البديهة كالرقيق القيرواني وغيره . ومع أن رحلة النّهشلي للمشـرق محتملة أيضا حين انتقلت الدولة الفاطمية إلى مصر في شخص إمـامها المعز لدين الله ، فقد اصطحب المعز معه وفودا كثيرة من أقطـاب رجـال القيروان وأعيانهـا في العلوم والآدب . هذا ، وقـد كانت الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج تغري الناس بزيـارة العراق والشام ومصر ، ولم يكن أحد يغنم من هذه الرحلة أكثر من العلماء والأدباء والشعـراء . وكـانت القيروان مـع ذلك ملتقى الطـرق بين أقصى المشرق العـربي وأقصى الأندلس ، وكان العلمـاء يحُضّون بعضهم بعضًا على التزاور . لـكن رغم أن المصادر التي ترجمت للنّهشلي لم تذكر أنـه رحل إلى المشرق إلاّ أنني ظفرت في العمدة ببيت شعر له من قصيدة أخبر ابن رشيق أنه مدح بهـا نِـزار بن معدّ صاحب مصر . وفي هذا دليل قطعي على أنـه زار مصر ، وأنه كان بهـا في مدة العزيز الفاطمي خـاصة ، أي في الفتـرة التي بعد سنة ولاية هذا الخليفة وهي سنة 365 هـ . ولعل النّـهشلي كان قد اصطحبه المعز لدين الله معه حين انتقل من القيروان قـاصدًا مصر ، فقد كان أخذ معه في هذه الرحلة جلة من علماء القيروان وشعرائها للمباهاة بهم والاستعـانة بهم في إدارة شؤون دولته في عاصمته الجديدة ولا يبعد أن يـكون النّـهشلي قد ولِـي وظيفة في أحد الدواوين كما كان شأنه بالقيروان مع المعز ، ثم احتفظ به العزيز مدة في خدمته حتى إذا أضناه الشوق إلى أهله وأحبابه بالقيروان استأذن وعـاد قبل سنة 386 هـ . وهي سنة وفـاة ممدوحه الأمير المنصور بن بلـكيّن الصنهاجي (62) . فمن المؤكد أن النّـهشلي لم يمكث في مصر بعد هذا التاريخ لأننا نجد له مدائح عديدة في المنصور ، وقد لا يـكون النّـهشلي زار مصر بمناسبة انتقـال المعز إليهـا ، وإنما قدمهـا

(62) وهذه السنــة 386 هـ هى ايضا سنة وفاة العــزيز بالله الفـاطمى . وفيات : 2/152 وكان قد ولى الخلافة سنة 365 هـ .

في سفارة من تلك السفارة الصنهاجية التي كان يؤلفها أمراء القيروان ويبعثون بها إلى أسيادهم الخلفاء الفاطميين في القاهرة .

وقد وصلتنا ثلاثة أخبار يمكن على ضوئها أن نعرف بعض ملامح شخصية النّهشلي أو بعض الصفات المميزة له .

قال ابن رشيق (63) : حدثني من أثق به ، قال : كنا في مجلس شراب والكأس في يد عبد الكريم فصفّقْنا رواقص ترقُص ، فصفّق عبد الكريم فأسقط الكأس في حجره ، وعليه ثياب نفيسة ، فأتلفها فقلنا له : ما هذا ؟ فقال : ما علمت أن الكأس في يدي . وقال له بعض إخوانه : إنّهم يزعمون أنّك أبله ؟ فقال : هم البُلْه ، هل أنا أبله في صناعتي ؟ قال : لا . قال : فما على الصانع أن يكون نسّاجا . قال ابن رشيق : ولعمري ما هذا أبله ولقد أصاب ثغره .

صحيح ليس سقوط الكأس من يد عبد الكريم في هذا المجلس دليلا على غفلته وبلاهته . لكن ألاَ يدعو الأمر إلى الاستغراب من ذهوله ودهشته على الأقل ، فهل سلبت الرواقص عقله حتى فقد إحساسه بكلّ شيء دونهن !

والخبر الثاني ما رواه ابن رشيق أيضا ، قال : حدثني بعض الكتاب أنّه بينما كتاب الخراج يتذاكرون الشعر والبديهة ، وعبد الكريم حاضر ، إذ دبّت دباة فأراد بعضهم امتحان بعضٍ بوصفها ، فقال عبد الكريم : أمّا أنا فرجل فكري يقصر (64) ، فبدر يعلى بن إبراهيم بن عبد الخالق ، وكان أصغرهم سنّا فجعلها بين إصبعيه واستْمدّ من ساعته وكتب :

وَخَيْفَانَةٍ صَفْرَاءَ مُسْوَدَةِ القَـرَا
أَتَتْكَ بِلَوْنٍ أَسْوَدَ فَوْقَ أَصْفَرِ

(63) العمرى ، مسالك : ج 11 ق 2 ص 292 .
(64) وروى بدل هذه العبارة « أما أنا فرجل مرو » .

وَأَجْنِحَةٍ قَدْ أَنْحَفَتْهَا كُرُدِيَةٍ
تَقَاصَرُ عَنْ أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُحَبَّرِ (65)

فدهش جميع من حضر ، وكان له الغلبة والظفر ! (66) فهل نفهم من هذا الخبر أن التروّي صفة تغلب على سلوك الشاعر وطبعه أم أنه شيء لازم له في الشّعر فقط ؟ الأقرب أن يكون المرّوي مُرَوّيًا في كلّ شيء .

والخبر الثالث هو ما حكاه ابن رشيق كذلك من أن النّهشلي لم يكن يهجو أحدًا قطّ (67) . قال ابن رشيق تعقيبا على هذا (67) ومن : « أناشيده في كتابه المشهور لغيره من الشّعراء :

وَلَسْت بِهَاجٍ في القرى أهْلَ مَنْزِلٍ
عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي البَوَاكِيَا

فإمّا كِرامٌ مُوسِرُونَ أتَيْتُهُمْ
فَحَسْبِي مَنْ ذُو عِنْدَهُمْ ما كَفَانيا

وَإمّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ
وَإمّا لِئَامٌ فَادَخَرْتُ حَيَاتِيَا

فلعل النّهشلي أن يكون قد اتخذ هذا عن مذهب وسايره ، أوساير هو فيه جماعة رغم أن ابن رشيق يلاحظ في الخبر السابق أن بالقيروان شعراء عديدون لم يقولوا إلاّ في الهجاء أو شبهه . هذا ، مع أن النّهشلي كان يمدح ، ومن يمدح أحرى به أن يهجو كما أن من لا يمدح أحرى به أن لا يهجو ، لكن النّهشلي ربما كان يكره الهجاء ترفعًا عن الطّعن في أعراض الناس

(65) في الاصل « رد محبر » ولم يتبين لنا المعنى على هذا الوجه ، والقرا ، الظهر ، والردى والردء الرداء .

(66) العمري : مسالك الابصار : ج 11 ق 2 ص 293 .

(67) ابن رشيق ، العمدة : 71/1 = 113/1 .

أو الإساءة إليهم في أقل ما يغيّر نفوسهم عليه . وكان يصدر في ذلك عن طبع يوافق بروده الذي يدل عليه تروّيه في الشعر كما شهد بذلك على نفسه (68) . بل لعلّ الأمر أهم من ذلك في نظر الشّاعر ويكون قد صدر في ترفّعه على الهجاء دخولاً في عداد سادات العرب الذين يأنفون من قول الهجاء والمناقضات . وقد عقد في كتابه الممتع باباً عنوانه « باب أنفة السّادات من قول الهجاء والمناقضات » (69) .

ومع هذا فينبغي أن نلاحظ أن كتاب السمتع يخلو من ذلك الشعر الإباحي ، الذي يترفع بعض المؤلفين عن إيراده ، من ألفاظ العورة والقباحة كتلك الأخبار والأشعار التي نقلها المؤلف عند حديثه عن بشار والفرزدق (70) .

ومن هذه الأخبار القليلة نستطيع أن نقول إنّ النّهشلي كان يغلب عليه التأمل والتروي والذهول على أشياء كثيرة لا تمت بسبب لشاعريته وروحه الأدبية . وهذه صفات من لا ننتظر منه أن تكون حياته مضطربة قائمة على المخاطرة والتهور .

ولقد كانت هناك أشياء كثيرة تعوزنا للكلام عن نشأة النّهشلي وثقافته وشيوخه ، فبالإضافة إلى كون مصادر ترجمته ضنينة في هذا الصدد ، فإنه لم تصلنا أشعاره ، وهي التي عليها المعول عادة لرسم حياة الشاعر في جوانبها النفسية والاجتماعية والثقافية كذلك ، أمّا تلك الأبيات المختارة التي هي كل ما بقي من شعره والتي سنتحدث عنها فيما بعد فهي لا تكشف لنا شيئا ذا بال عن شخصية صاحبها ، وإن كنا استطعنا أن نجد فيها ما يدلنا على علاقته ببعض معاصريه مثل رثائة لعيسى بن خلف ومديحه للمنصور الصنهاجي والعزيز الفاطمي . وأمّا كتابته أي نثره في الممتع ،

---

(68) راجع فيما سبق الخبر الثاني .
(69) الممتع : 127 أ 2 ـ 131 أ 4 .
(70) راجع الممتع ص 110 أ 4 و 154 أ .

فلا نظفر منه بمعلومات واضحة عن حياته ، عدا بعض الإشارات ، سنعرض لها بعد قليل .

وأمّا فيما يتعلق بشيعيته أو سنيته أو خارجيّته ، وهي المذاهب الثلاثة التي عاصرها النهشلي سواء في المحمدية أو القيروان أو مصر أو المهدية فلا نعلم بالتأكيد على أي مذهب كان . فقد عرفنا أن بلدته القديمة «المحمدية» كانت معقلاً من معاقل الخوارج أيام ثورة مخْلد بن كيْداد ، في الربع الأول من القرن الرابع (71) ، وعرفنا أن بيئة القيروان كانت سُنية متشددة حتى حين ملكها الشيعة الفاطميون ومن والاهم ، وكان عدد من شعراء القيروان في هذا العصر ثائرين ضد الشيعة وينتقدونهم سرّا وجَهارًا في بعض الأحيان ، لكن يبدو رغم ذلك أن النهشلي كان على مذهب الفاطميين ، أي شيعيًا ولو في الظاهر ، لأنه مدح العزيز بالله في مصر ومدح المنصور الصنهاجي نائب الفاطميين في القيروان.هذا إذا رفضنا أن يكون شيعيًا كابن هانيء مثلاً ، لأنه ليس بيدنا أخبارٌ تدلّ على إخلاصه في شيعيته ، لكن أن يكون سُنّيًا مخلصا سرّا وعلانيةً طَوَال حياته ، فهذا أيضا ما نرفضه، لما وصلنا من مديحه للفاطميين ممن ذكرنا (72) . وينبغي أن نكون على علم بأنه لم يدرك بعدُ عصرَ سيادة السنة من جديد بالقيروان أثناء ولاية المعز بن باديس .

والنهشلي لم يكن بالتأكيد معتزليّا ، فهو أولاً ليس من أصحاب الكلام وأهل النظر العقلي ، ثم هو يكشف عن سنيته بصراحة حين نراه يندد بأحمد بن أبي دؤاد لحمله المسلمين في العراق على اتّباع مذهب الاعتزال ولتحريضه على التّنكيل بأحمد بن حنبل وزملائه من أهل الحديث الذين رفضوا القول بخلق القرآن (73) .

---

(71) راجع ما سبق ص 8 ، ياقوت ، البلدان 8/58 و 7/398 .

(72) الممتع : ص 54 ب .

(73) اردنا أن نتتبع اسماء ائمة الشيعة واعدادهم كعلي ومعاوية في كتابه لنرى هل يدعو لهم او يدعو عليهم ، فلم نخرج بنتيجة مؤكدة لان كتابه

شعـره :

لا شك أن النّهشلي كان شاعرًا مشهورًا في عصره ، وأن الشعر كان صناعته الفنية أساسًا . ومعنى ذلك أنه لم يكن من عامة الأدباء أو العلماء الذين يقولون الشّعر وقد يكثرون من نظمه أحيانًا ، ولكنهم لا يُعْرفون به مع ذلك ، وإنّما تَغْلُبُ عليهم صناعةٌ أُخرى يتقنونها كالنحو واللّغة كما هو الأمر بالنسبة للقزاز ، أو الكتابة كأبي اليُسر الشيباني ، أو التاريخ كما هو شأن الرّقيق القيرواني ، أو الألحان والغناء كما هو عرف بذلك عبد الوهاب الحاجب .

والملاحظ أن ابن رشيق كان يميّز معاصريه ، عندما يتحدّث عنهم ببضاعتهم الفنية التي غَلَبَتْ عليهم . ولذلك نجد عنده أمثال : الرقيق المؤرخ والقزاز النحوي . . الخ . ومع أنه لم يكن يلتزم ذلك دائما ، إلاّ أنّه ينبغي عندما نجد عنده هذا التّمييز أن نأخذه بهذا الاعتبار .

وهو يعرّف النّهشلي في الموضع الأول الذي يذكره فيه من كتابه العمدة بلقب « الشّاعر » (74) وحين يؤلف بعد ذلك كتابه الأنموذج لا يشير إلى شيء اشتهر به النهشلي غير الشعر وعلومه ، يقول : « وكان شاعرًا مقدّمًا ، عارفًا باللغة ، خبيرًا بأيام العرب وأشعارها بصيرًا بوقائعها وآثارها » (75) .

وكون النهشلي شاعرًا شيء،وكونه مقدّمًا في الشعر شيء آخر ، إذ ليس كل شاعر مقدمًا ، أو وليس كل الشعراء في الإجادة سواء ، فهم طبقات مختلفة في الجودة . ومن يبحث عمن وصفهم ابن رشيق في الأنموذج بالمقدمين في الشّعر يجدهم قلّة قليلة جدّا . ويندر من حظي

تناولته بالتغيير يد أخرى ـ نظن أنه ابن منظور وهو شيعي ـ ولا ندرى مدى مطابقة النص المغير للنص الاصلى . راجع فهارس المتع فى آخر الكتاب .

(74) العمدة : 7/1 = 34/1 .

(75) الصفدى نقلا عن الانموذج ، الوافى : 106/17 .

منه بحكمه على كون شعره جيّداً أو أن هذه القطعة أو تلك له من جيّد الشعر . وهذا لما هو معروف من دقة أحكام ابن رشيق وحسن تقديره لطبقات الشعراء وتمييزه للجودة في أشعارهم .

فنستطيع إذاً أن نطمئن إلى أن النّهشلي كان شاعراً ، وكان مقدّما على عامة الشعراء في عصره . لكن هل نظفر ولو بإشارة واحدة تدل على مكانة النّهشلي بين الشعراء الكبار أو بعبارة أخرى بين الشعراء المقدمين في القيروان في وقته ؟ هناك خبر طريف قد يقوم مقام ذلك ، نقله ابن رشيق ، ونورده أولاً ثم نعلق عليه . قال في الأنموذج (76) : حدّثنا جماعة من أصحابنا (77) سألنا عبد الكريم : « من أشعر أهل بلدنا في الوقت ؟ فبدأ بنفسه وثنى بابن الربيب » .

وقبل أن نعلّق على الخبر ، يبدو من المفيد أن نعرف شيئًا عن ابن الرّبيب هذا الذي ذكره النّهشلي . فهو أيضا ممن غمره النّسيان رغم شهرته وأوليّته المشهودة في عصره . فهل نرتاب بعد ذلك في شهرة عبد الكريم في عصره أو نعجب كيف أن الزمن اجترأ أيضا على غمر المشهورين من شعراء القيروان في القرنين الرابع والخامس . . ابن الربيب هو الحسن ابن محمد التميمي ، توفي سنة 420 هـ . بالقيروان . قال عنه ابن رشيق « كان شاعرًا مقدّمًا ، قوي الكلام خبيرًا باللّغة » (78) « وأورد له أبياتًا من قصيدة قال بعدها : «كفى بهذا الشعر شاهداً بالحذق ، لما فيه من قوة الاندفاع وجزالة اللفظ » .

ونعود الآن للخبر السابق ونقول إننا لا نملك مبررًا لا يدحضه غيره من شأنه أن يبطل اعتمادنا على هذا الخبر في تقدير شاعرية النهشلي بل بالعكس ، فهناك في الخبر ما يطمئن على حمله على سبيل الإنصاف

(76) العمري ، مالك : ج 11 ق 2 ص 391 .
(77) في الاصل : « حماد من أصحابنا » ولم يصحح هذا الخطأ أحد ممن رأيتهم نقلوا هذه العبارة .
(78) القفطي انباه : 1/319 .

الجد ، فقد لا نعرف في تاريخ الآداب عـامة من أجاب على هذا السؤال من الشعراء المشهورين في عصرهم بهذه الطريقة ، التي أجاب بهـا النّهشلي : وعَهدُنـا بهم أن يجيبوا بأحد ثلاثة أمور ، فهم إمّا أن يستبعدوا أنفسهم في الحكم لأمرما ، وإمّا أن تقتضيهم الجرأة عدم غبن أنفسهم فيصرحون بناء على ذلك بما يخفونه في صدورهم من تقدمهم وأوليتهم في الشعر على معاصريهم ، وإمّا أن يحملهم التواضع على أن يَعُدّوا أنفسهم في آخـر القائمة . أما النّهشلي فيبدو هنا أنّه استعمل تروّيه ، الذي عرفناه في مميزاته الشخصية وتحدثنا عنه سـابقًا (79) ، ثم حـَكـَم بالحق في حدود ما يتصور ، ولا يظُنَنّ أحَدٌ أنـه صدر في ذلك عن غضّ لبعض معـاصريه لِمـّا نعرف عنـه من الأنفة والترفـع عن التحامل على النّاس .

وهناك نقطـة أخرى يجب الوقوف عندها في هذا الخبر وهي أن الربيب الذي توفي سنة 420 هـ . قيل إنّه قد تجـاوز الخمسين ومعنى ذلك أنه أصغر من النّهشلي المتوفى سنة 405 هـ . بعشرين سنة على الأقـل ؟ أليس النّهشلي قد كان يمدح العزيز بالله الفاطمي في مصر والمنصور الصنهـاجي في القيروان قبل سنة 386 تاريخ وفاتهما ؟ ولا ينبغي أن نشك في صحة تقدير سنّ ابن الرّبيب حين مـات ، فهناك مـا يدّل أيْضا على أنّه كان أصغـر من النّهشلي بقدر مـا ذكر أو قريبًا من ذلك ، وهـو أننـا نعـرف من ترجمته في المصادر أنّه كان تلميذًا محبوبا لدى القزّاز (80) الذي توفي سنة 413 هـ .

وهنا تتجلى النقطة التي توقفنا عندها في هذا الخبر وهي أن تقـديـم النّهشلي لابن الرّبيب على نفسه ليس غريبًا فقط من جهة فضيلة الاعتراف بالحق لذويه ، التي يتحلّى بها النّهشلي ، وإنّما أيضًا من جهة التزام النّهشلي بالمذهب الصحيـح في تفضيل الشعراء وذلك أنه لاينبغي أن تدخـل

(79) راجع ص 22 .

(80) السيوطي بغية الوعاة : 230 .

السنّ كعنصر في المفاضلة بين المتعاصرين . وأغرب ما يضاف إلى الخبر المتقدم أن النّهشلي كان مُعْجبًا بالربيب إلى حدّ جعله « يروي له ما لا يروي لأحد من الشعراء » (81) .

وممّا قدّمنا من القرائن التي تدل إلى حد ما على مكانة عبد الكريم بين شعراء القيروان في عصره ، يمكن أن نقول استنادًا إلى ذلك أنّه كان شاعرًا من الشعراء البارزين في وقته ، هذا إذا لم يكن أول المقدّمين على شعراء بلده أو ثانيهم أو من الطبقة الأكثر إجادة في الشعر آنذاك .

ولو كانت أشعار عبد الكريم وأشعار أبناء القيروان في عصره متوفّرة لدينا اليوم لاستطعنا أن نقدر مكانته بالمقارنة بينها على أساس مفهوم الجودة في الشعر في ذلك الوقت ، ولأمكننا مع ذلك أن نقف على أسباب تقدّمه . لكن شعر النّهشلي ، بل الشعر القيرواني في القرن الرابع ، الذي وصلنا قليلٌ جدًا . ولم نظفر بعد بديوان كامل لشاعر قيرواني في هذا العصر ولا العصر الذي بعده أيضًا (82) . وسنحاول مع ذلك أن نتبين مكانة شاعرية النهشلي في خلال تلك المختارات التي حفظت لنا من شعره .

وقبل ذلك ، نتساءل : هل كان لعبد الكريم — وهو الشاعر القيرواني المقدّم — ديوان جمعه بنفسه أو جُمعت له فيه أشعاره من بعده ، وهل حظي هذا الديوان بالتناقل والرواية ووضعت شروح حوله ؟

نفتقر في مصادر ترجمته إلى أجوبة عن هذه الأسئلة . وحسبنا أن نجد إجابة عن السؤال الأول ، وكل ما هنالك إشارة أو إشارتان تدلاّن بالتأكيد على أنّه كان لعبد الكريم شعر كثير . ونجد الإشارتين في كتاب العمدة ،

---

(81) المصدر السابق .

(82) اما ابن هانىء فهو شاعر اندلسى وان كان اصلا من المهدية قريبا من القيروان . واما ابن رشيق ومدرسته فلم نعثر بعد على ديوان لواحد منها وكل ما نشر لهم انما هى نتف واطراف من شعرهم كالذى نشر لابن رشيق وزميله ابن شرف والحصرى أبى الحسن الضرير .

قال ابن رشيق : « قال عبد الكريم » وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً من شعره وتآليفه ... » (83) . وقال في باب القِطع والطّوال : « وكان عبد الكريم بهذه الصفة (أي الإطالة في القصائد) ولا يكاد يصنع مقطوعاً ، ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها » (84) .

لا بد أن نلمس من هاتين الإشارتين ، وخاصة من عبارة ابن رشيق « جميع أشعاره » دلالة صريحة على كثرة شعر النهشلي . وإلاّ لم المقارنة التي أرادها ابن رشيق بعد ذلك ؟ وهي أن النهشلي مع كثرة قصائده ومطولاته لم تكن له ألاّ مقطوعات قليلة ، هي خمس تقريباً .

ثم إن هذا التحديد نفسه للمقطوعات أو المقصّرات القليلة التي في شعر النّهشلي كله ألا تدل على أن ابن رشيق ألمّ بشعر النّهشلي قراءة وتصوّراً ؟ وأنّى يكون له ذلك إذا لم يكن شعر النهشلي مجموعاً في ديوان عنده (85) .

هل نقول إنّه كان للنّهشلي ديوان شعر معروف في عصره وبعده إلى وقت ما دون أن نزيد إلى القرائن السابقة إثباتاتٍ قويّة على ذلك ؟ كلاّ فهناك دواع عديدة تقرر ذلك ويمكن أن تؤكده . منها أنّه من الغريب أن يترك النّهشلي شعره مشتتا دون جمع وترتيب ، وهو الشاعر المعروف بتأليف الكتب . فقد كان ينبغي عليه أن يحسن تأليف شعره في ديوان قبل أن يزعم أنّه ألف أشعار غيره وجمع أخبارهم في كتب . ومنها أنه كشاعر مقصّد ، أي صاحب قصائد طوال ومن صفته أنّه يستعمل التروّي وإمعان النظر في شعره ، فقد كان يجب أن لا يجد في جمع شعره تلك المشقّة التي يلقاها شعراء البديهة والارتجال وأصحاب المقاطيع غالباً لأنهم يذهلون عن تدوين شعرهم ، وهم حتى حين يكتبونه يسجلونه في جذاذات صغيرة طيّارة سرعان ما تضيع منهم ، ويجدون بعد ذلك مشقة في لمّ شتات أشعارهم وحتى لو

(83) العمدة : 82/1 = 137/1 .

(84) العمدة : 125/1 = 188/1 .

(85) اعجاب ابن رشيق بالنهشلي امر واضح جدا من كلامه عنه ودفاعه عنه.

فرضنا أن النهشلي لم يجمع ديوانه أليس من البرّ من تلاميذه — وخاصة ابن رشيق ابن بلدته المحمدية والذي يكنّ له أوفر الإعجاب — أن يجمعوا قصائده في ديوان ويُودعُوا أشعاره في كتاب؟

ونخرج ممّا سبق أن عبد الكريم النّهشلي كان شاعرًا مقدّما بين شعراء القيروان في القرن الرابع واشتهر بمطوّلاته . أي أنّه كان من الشعراء المقصدين وليس من الرجاز ولا ذوي المقطّعات القصيرة ، وأن هناك قرائن كثيرة ، يرجع بعضها لشخصيته الشعرية ، ويرجع بعضها الآخر لمكانته كمؤلف تحمل على الظن بأنه كان له ديوان مشهور يضم شعرًا كبيرًا .

ويبدو أن اهتمام ابن رشيق بالنّهشلي كشاعر مشهور ومقدّم ، جعله يصدره في كتابه الأنموذج في شعراء القيروان . فهو أول من ترجم لهم في هذا الكتاب ، كما يصرح بذلك العمري (86) . ولعل ابن رشيق أن يكون قد كتب عن النهشلي أوسع مما كتب عن غيره : إذ نرى ذلك ينعكس على ما نقله العمري باختصار من تراجم الأنموذج . ولقد عني ابن رشيق بإيراد نماذج كثيرة من قصائد النّهشلي ، وربما اختار منها قطعًا كثيرة كآيات على جودة شعره وتعدد أغراض القول عنده ووفرة إبداعه ، فقد قال الصّفدي في أعقاب ترجمة النّهشلي و«شعره كثير ساق منه ابن رشيق في الأنموذج قطعًا كثيرة»(87) .

ولست أدري بالضبط الخطة التي سار عليها ابن رشيق في ترتيب شعراء الأنموذج (88) غير أنه من الواضح أنّهم غير مرتبين على حسب أسنانهم — كما نرى ذلك من خلال العمري في المسالك — وأشك كثيرًا في احتمال تدخل العمري في ترتيبهم . هذا ، وما كان ابن رشيق ليرتب الشعراء على مقتضى أعمارهم ، وهو الذي عارض بشدة شيخه إبراهيم الحصري حين عزم على تأليف كتاب في شعراء القيروان يرتبهم فيه بالتدرّج الأكبر سنًا فالكبير

(86) المسالك ، ج 11 ق 2 ص 292 .

(87) الصفدى ، الوافى ، 107/17 .

(88) ياعن : حياة القيروان ، ص 401 ، 338 .

فالأصغر سنّا فالصغير . وكان ابن رشيق صغيرًا في ذلك الوقت ، ولكنّه كان يطاول كبار الشعراء بشعره ، فألح في معارضته حتى أثنى الشيخ عن عزمه (89) ، ولذلك استبعد أن يكون ابن رشيق قد سار في الأنموذج على هذه الخطة ، وإنما الغالب أنه رتبهم على طبقاتهم في الجودة — وأمامه على ذلك أمثلة كثيرة في كتب طبقات شعراء المشرق — فكان عبد الكريم في ذلك المقدّم عليهم في نظره ، وأورد بعده يعلى بن إبراهيم ،فمعدّ بن حسين بن جيارة الفارسي . فعبد العزيز بن خلوف (المتوفى سنة 430) ، وكلهم من الشعراء المقدّمين في القيروان .

وقد لاحظت قبل قليل أن ابن رشيق أورد مختارات كثيرة من شعر النهشلي ، وبينت أن ذلك لايعدو أن يكون راجعًا لكثرة الجيد من شعر هذا الشاعر وتنوع أغراضه ،وفعلا فهذه ظاهرة عامة يمكن أن تلاحظ فيالأنموذج أي أن ابن رشيق يكثر من الاختيار لبعض الشعراء دون بعض . وأحببت أن أجد تعليلاً واضحًا على ذلك فوجدت ابن رشيق نفسه يبرر إكثاره واختصاره من التمثيل بشعر مترجميه بقوله : « فإكثاري توسط كما شرطت ، وإن أفرطت ، وكذلك اختصاري إذا اجتهدت وما فرطت : إذ كانت الحال كقول الله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » (90) .

وسأثبت فيما يلي جميع ما استخرجته من شعر النّهشلي من المصادر مع تخريجه وتحقيقه وشرح غريبه ، ثم آخذ في تحليله وموازنته واستخلاص خصائصه ومميزاته الفنية ، وأختم ذلك بإبداء بعض الملاحظات عن شاعرية عبد الكريم النّهشلي .

استطعت أن أجمع من المصادر المختلفة التي رجعت اليها ست عشرة قطعة شعرية لعبد الكريم النّهشلي . لم يكن معروفا منها لدى الباحثين المحدثين سوى سبع قطع . وأطول المقطوعات التي وجدتها له تبلغ

(89) العمرى ، مسالك ج 11 ق 2 ص 301 .
(90) العمرى ، مسالك : ج 11 ق 2 ص 301 .

ثمانية عشر بيتا ، وهو قدر قليـل جدا بالقياس إلى شهـرة الشاعـر ، تلك الشهرة التي صورنا فيما سبق شيئًا من صداها القوي في القرن الرابـع والنصف الأول من القرن الخامس . وعبثًا حاولت أن أعثر له ولو على قصيدة واحدة من قصائده . فقد عرفنا أنّه صاحب مطوّلات ولا يكاد ينظـم القطع القصيرة . وعلى ذلك فجميـع القطع التي وصلتنا هي عبارة عن أبيات مختارة من قصائده وليست قطعًا مستقلة قائمـة بذاتها . ويحسن بنا أن نسمّي تلك الأبيات مقاطع لا مقاطيـع أو مقطوعات (91) .

وتتناول هذه المقاطع المختارة من شعر عبد الكريم أغراضًا شتى مـن وصف وغزل ومدح ورثاء . فلـه في الوصف خمس مقاطع يصف في أحدها الفيل وفي الآخر حمار الوحش وفي الثالث الخيل وفي الباقية قصر البحر بالمنصـوريـة – قـرب القيـروان – ولـه في الغـزل ثلاثة مقاطع في طيـف الخيال ويلحق بها مقطـع في الحنين أوله في المدح أربـع مقاطع من قصائـد مدح بها عدة ملوك وله مقطـع في رثاء أحد أصحابه .

وفيما يلي جميـع المقاطـع المذكورة كما رتبنا أغراضها أعلاه :

(91) يفرق ابن رشيق المقاطيع والمقاطع . فالاولى بمعنى الابيات القليلة التى لا تبلغ العدد المعتبر لتكـون قصيدة والثانية أى المقاطـع فهى بمعنى الابيات المقتطعة من القصيدة الواحدة لغرض ما كالاستشهاد ونحوه . العمدة :125/1 = 189/1 .

« 1 » قال في وصف الفيل * :

1 ـ وَأضْخمَ هنْديّ النّجارِ تُعِدّهُ
مُلُوكُ بَنِي سَاسَان إنْ نابهَا دهرُ

2 ـ من الوِرْق لا من ضربة الوَرْق يرتعي
أضاح ولا من ورده الخمس والعشرُ

---

* من الطويل

التخريج : ابن رشيق ، العمدة : 228/2 = 297/2 ، العمرى ، الابصار : ج 11 ق 2 ص 294 ، ورويا الابيات التسعة ، ابن الاثير ، كفاية الطالب : 22 ب وأسقط البيت 6 فقط ، الوراق الكتبى : مباهج : ج 2 ق 1 لوحة 92 والنويرى ، نهاية الارب : 300/9 رويا الابيات التسعة . ح ح عبد الوهاب ، المنتخب : 55 أسقط البيتين 2 و 6 .

التحقيق : الرمز : ر = ابن رشيق ؛ ع = العمرى ؛ ث = ابن الاثير ؛ و = الوراق ؛ ن = النويرى ؛ ح = ح ح عبد الوهاب .

1 ـ ع، و، ن : «نابها دهر» . ث : «النجار يعده .. رابها دهر» . و، ح : «رابها امر» .

2 ـ ع : «ترتعى أضاح» . و : «ضربه يرتعى أصاخ» . ن : «مرتعى ضاح» . ر، ح «ترتعى أضاخ» . ر، «ولا من ضربه الخمس» .

3 ـ ع، و : «مصبرة» ث، ن، ح : «مضيرة» . و : «كما ملت» .

4 ـ لا اختلاف في روايته .

5 ـ ع، و، ث، ح : «جنبان» . ن : «جبان» .

6 ـ ع : «منهرث» . ث، ن : «منهرت» . و : «مهرث» .

7 ـ ع : «تسمعه .. حفيا .. العلب» . و : «تسمعه .. خفيا .. العنت» . ث : «تسمعه .. خفيا .. العيب» . ر : «ينفض الغيب» . ن : «خفيا .. العيب» . ح : «يسمعه .. خفيفا .. العيب» .

8 ـ ر : «لا يريك سواهما» . ع، ث : «نتر» . ر، و : «نثر» . ح : «بنتر» .

9 ـ ر، ع، ح : «ما بين الصباح .. اذا نطق العصفور» . ث : «ما بين النهار .. اذا سقسق ..» . و : «ما بين الصباح .. اذا نطق العصفور او ثوب الصقر» .

الغريب :

1 ـ النجار : الاصل . ومن روى النجاد : ج نجد وهو ما ارتفع من الارض. والنجار هنا أصح من النجاد .

3 – يجيء كطوْدٍ جائل فوق أرْبَــــعٍ
مضبــرةٍ لمّـت كمــا لمتِ الصّخْــرُ

4 – لـهُ فخـذانِ كالـكثيبيْـن لُبّـدَا
وصَدْرٌ كمـا أوْفـى مِـنْ الهضبــة الصدرُ

5 – ووجْهٌ بهِ أنفٌ كراووقٍ خَمْـرَةٍ
ينَالُ بـهِ مـا تُدركُ الأنملُ العشْـرُ

6 – وَجنْبانِ لا يرْوي القَليبُ صَدَاهما
وَلَوْ أنّـهُ بالقَــاعِ منهــرتٌ حَفْــرُ

7 – وأُذْنٌ كنصْفِ البرد تسمعه النّدا
خفيّـــا وطرْفٌ ينفضُ العنتَ مزْوَرّ

---

2 – لم يتبين لي بوضوح وجه هذا البيت والشطر الاول منه خاصة ، فقد يكون سكن الورق وهو يريد الورَق ، لضرورة الشعر ، والورق من أوراق الشجر . والورق بضم الواو ج أورق ، يقال جمل اورق اذا كان فيه سواد وبياض . قوله ضربة الورق ، يقال أضربت الريح والبرد النبات فهو ضرب اذا اشتد عليه القر وضربه البرد حتى يبس .

قوله «أضاح» : أضاح ج أضحية ولا معنى لها هنا في البيت ، واذا كان المقصود ج ضحى ، فالجمع المعروف لها ضواح وضحوات وقد يكون الشاعر اوقع القلب في الضــواح . وعلى الرواية الاخرى «أضــاخ ج أوضاخ بضم الهمزة جبل وقيل اسم موضع .

واذا كان هذا البيت يحتوي على ضرورتين تسكين «الورق» واستعمال «أضاخ» جمعا للضحى ثم ترك الاعراب اذ حقه «اضاحي» فيكون المعنى أن هذا الفيل منتظــم الرعى كل ضحــى وانما يــرعى أوراق الشجــر الخضــراء في أغصانها وليس كغيره من الحيــوانات التي قد تــرعى الاوراق اليابسة الجافة وتقنع بها .

والخمس : من أظماء الابل ، ان ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الخامس .
والعشر : ما بين الوردين ، وهو ثمانية أيام لانها ترد اليوم العاشر .
وقد يكون المعنى انه يرد كل ضحى وليس من ورده الخمس والعشــر كالابــل .

3 – الطود : الجبل العظيم . مضبرة : يقال فــرس مضبرة الخلق وناقــة مضبرة الخلق اى موثقة الخلق . قال بشر في سفينة ركبها (الصحاح [عبد]) :

8 ـ ونَابَانِ شُقّا لا يُرِيدُ سِوَاهُمَـــا
قنَاتَيْنِ سَمْرَاوِيْنِ طعْنُهما نترُ

9 ـ لهُ لوْنُ مَا بيْنَ النّهارِ ولَيْلِــــهِ
إذَا سَقْسَقَ العصفور أوغلّس الصّقر

معبدة السقائف ذات دسر مضبرة جوانبها رداح

ومن روى «مصبرة» و «ملت» وقع فى تصحيف .

4 ـ صدر الاولى للفيل والثانية للهضبة .

5 ـ قوله «جنبان» يريد جوف الفيل ، ولا صحة لمن روى «جبان» مثنى جنب . والجنبة : جلدة من جنب البعير (الصحاح [جنب]) . القليب : البئر قبل أن تطوى أن تبنى بالحجارة ونحوها . الصدى : العطش . منهرث : واسع . يقال : هرث ثوبه اذا شقه ، والهرت : شقك الشيء لتوسعه ، فهو منهرت . ولا صحو لمن روى «منهرث» و «مهرث» . والحفر : البئر الموسعة فوق قدرها .

7 ـ البرد : من الثياب . الطرف : الجفن والعين . العنت : المشقة والتعب . ومن روى العتب : الشدة واللوم . ولم يتبين لى وجه المعنى فى شطر البيت الثانى . أما الروايتين الاخريين بدل «العنت» او «العتب» فلا صحة لهما .

8 ـ القناة : الرمح ج قنا . قناة سوراء من السمرة وهى بياض الى الشهبة (اللسان [سمو]) . النتر : نوع من الطعن وكذلك البتر . ومن روى «البثر» هنا فهو تصحيف .

9 ـ سقسق وزقزق واحد . يقال سق العصفور وسقسق اذا صوت بصوت ضعيف . غلس : دخل فى الغلس وهو ظلمة آخر الليل . وعلى رواية : «ثوب» أى عاد بعد خصاصة .

« 2 » وقال يصف خيلا جاءت هدية لممدوحه * :

1 — هَنَتْكَ أميرَ الجُودِ خَيْرَ هدِيةٍ
تَقَدَّمَهَا الإيمَانُ واليُمْنُ والفَخْرُ

2 — بِيَوْمٍ تَسَاقَا فيه وَرْدٌ مُسَوَّمٌ
وأشْقَرُ يُعْبُوبٌ وَسَابِحَةٌ حِجْرُ

3 — وَدُهْمٌ كَأَنَّ اللّيلَ أَلْقَى رداءه
عَلَيْهَا فمرْفوعُ النّواجِي وَمُنجَرُّ

---

* من الطويل

التخريج : العمرى ، المسالك : ج 11 ق 2 ص 293 .

التحقيق :

2 ـ «بعبوب» وصحته «يعبوب» .
3 ـ «عليه فمرفوع النواحي» وصحته «عليها .. النواحي» .
4 ـ «من ثومه عر» كذا في الاصل .
8 ـ «مش العرنصة» وصحته «العرنصة» .

الغريب :

1 ـ قوله «هنتك» يريد أتتك فأبدل ، نحو قولهم أراق وهراق .

2 ـ الورد ، يقال : فرس ورد اذا كان بين الكميت والاشقر . مسوم : يقال سوم الفرس أى جعل عليه السيمة وهي العلامة . اليعبوب : الفرس الطويل السريع وقيل الجواد السهل في عدوه واليعبوب اسم فرس الربيع بن زياد . ضفة غالبة . الحجر : الفرس الانثى ، لم يدخلوا فيه الهاء لانه لم يشركه فيه الذكر ، وجعلوها كالمحرمة الرحم الا على حصان كريم .

3 ـ دهم أدهم يقال للفرس الاسود اللون . النواجي ج ناجية وهي السريعة.

4 — وقَبّلَتهَا ضَوْءُ الصّبَاحِ كَرَامَةً
فَهُنّ مِنْ التّبْجيل مِنْ ثَوْمِهِ غُرْ

5 — وَبُلق تَقَاسمْنَ الدُجنّة والضُّحى
فَمِنْ هذِهِ شَطْرٌ وَمَنْ هَـذِهِ شطرُ

6 — مجزّعة غرّ كأن الزّعفرّان خضابُهَا
وَإِلا فمن ماء العقيق لَهَا قِشْرُ

7 — وَشُهْبٌ من اللّجِ استعيرت متونها
وَمِنْ صُورِ الأقمَارِ أوْجُهُهَا قمْرُ

8 — إذَا هزّهَا مَشيُ العرَنضةِ عارِضَتْ
قُدُودَ العَذَاري هزّ أعْطافَهَا السكرُ

9 — عليها السّرُوجُ المحكمات إذا مشتْ
بِهَا الخُيَلاءُ الخيلُ رَنّحَهَا الكِبرُ

---

4 ـ «من ثومه عر» كذا فى الاصل ولم يبين لنا وجه المعنى . والثومة : اللؤلؤة . غر : ج غراء التى لها بياض فى جبينها ، أو الكريمة .

5 ـ بلق : ج أبلق ، يقال فرس أبلق وفرس بلقاء اذا كان فيها بلق وهو سواد وبياض .

6 ـ مجزعة : المجزع المقطع بألوان مختلفة ، ويقال للخوز اليمانى مجزع لانه مقطع سواده ببياضه . الغرة : البياض فى وجه الفرس .

7 ـ اللج ، يقال لج البحر ولجته بمعنى ماؤه الكثير .

8 ـ العرنضة : يقال الفرس تعدو العرنضى والعرنضة اى معترضة مرة من وجه ومرة من آخر . والعرنضة بفتح العين بمعنى المعترضة فى السير للنشاط . وفى اللسان العرنضة شىء فيه نشاط .

« 3 » وقال يصف حماراً أخْدَرِيًا مجزعًا * :

1 – وأصْرَخَ صَلصَالٍ لأخدرَ يَنْتَمِي
أَمِينِ الفصُوصِ لمْ يدَمّثْ لَهُ ظَهْرُ

2 – كأنَّ العيُونَ الكُحلِ صيغتْ بِجلده
لـه رُقُبًا فـهنَّ مشْطورَةٌ خُزْرُ

---

* من الطويل

التخريج : الوراق الكتبي ، مباهج ج 2 ق 1 لوحة 103 ، العمرى ، مسالك ج 11 ق 2 ص 294 وليس فيه البيت الاول .

التحقيق : و = الوراق . ع = العمرى .

1 – و : «امين القصوص» وهو تصحيف وصحته «الفصوص» .

2 – ع : «صيغت بجلده له رقبا فهى مشطورة» . و : «قنافس فيها فهى مشطورة» .

3 – ع : «كانما صباح وليل .. وزر» . و : «صباحا وليلا خطها قدر» .

4 – ع : «فاحتار راكضا .. حله لاتدعى ...» . و : «فاحتال راكضا له شبه لا يدعى ...» .

5 – ع : «حوافره الحفر» . و : «حوافره الخفر» .

6 – ع : «اذا احتيال .. ردياته .. ترجيعه نبر» . و : «اذا احتال .. زيادته .. زهر» .

الغريب :

1 – اصرخ : أفعل من صرخ ، ويستعمل أصرخ اسما للحمار . صلصال : يصف صوت حمار الوحش والصلصلة هي التصويت المضاعف . أخدر : فحل من حمر الوحش كان لكسرى اردشير . وتنسب اليه حمر الوحش . أمين الفصوص ، الامين : القوى لانه يوثق بقوته . يقال ناقة أمينة أى وثيقة الخلق قد أمنت العثار والاعياء . الفصوص : المفاصل . دمث الشىء : سهله وألانه . يريد لم يمتهن ظهره بالركوب عليه .

2 – خزر ج خزراء . والخزر النظر بمؤخرة العين . ورقبا : أى ترقبه أو تراقبه .

3 ــ تَوَلَّعَ مِنْــهُ الجِلْدُ حتى كأنَّمَـا
صَبَاحًا وَلَيْلاً فِيهِ خطّهمَا قَـدْرُ

4 ــ تعاطى لباس الخيلِ فاختال رَاكِضًا
لهُ حلّة لاتَدّعَى لُبْسَهَا الحُمْـرُ

5 ــ كأنَّ الحِجَارَ الصُلْبِيّةَ قُـدِّرَتْ
فَجَاءَتْ لَهَا وَفْقًا حَوافِـرُه الحُفْرُ

6 ــ إذا اخْتَالَ واسْتَوْلَى بِهِ رَدَيانهُ
تَوَالَى صَفِيرٌ مِنْهُ تَرْجِيعُهُ نَبْرُ

---

3 ــ يقال فرس مولع أى الذى فى بياض بلقه استطالة وتفرق . قال ابن الرقاع يصف حمار الوحش :
مولــع بســواد فى أسافلــه منه اكتسى وبلون مثله اكتحالا
والبلق : سواد وبياض فى الدابة . وسنن «القدر» للضرورة .

4 ــ الحمر ج الحمير . ومن روى «شبه» مكان «حلة» فلم يتبين لنا معناها .

6 ــ رديانــه اى ركضه ووقع حوافره الصلبة على الارض، وهو من الــردن وهو صوت السلاح بعضه على بعضه .

« 4 » وقال في وصف البخاتيّ (1) وجاء بالبديع كلّه وأدقّ الصنيع وأجلّـه * :

1 – من خيرِ نجيباتِ كسرى بن هُرْمُزِ
فوالِـجُ يُزَهّيهَا التّأوّدُ والخَطْـرُ

2 – سَفَائِنُ أوْ صِيغ السّفِين مِثَالهَا
فَلَمْ يَبْـقَ إلاّ أنْ يَمُوج بِهَا بَحْرُ

3 – عَلَيْهَا مِنْ الدّيبَاج كـلّ مُصوّرٍ
هُريقَ بِـهِ الإفْرَنْدُ وأتقَدَ التبرُ

4 – فطارَ الرّبيعُ الغضّ في غيرِ حِينِهِ
مدارِعُ لمْ تفتْقُ شَقَائقهَا القَطْـرُ

---

1) في الاصل «الحامي» . البخاتي ج بختية وهي الناقة .

* مـن الطـويـل

التخـريج : العمري : مسالك الابصار : ج 11 ق 2 ص 293 .

الغـــريب :

1 ـ فوالج ج فالج : وهو الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . والخطر هو التخطر في المشية ويقال خطر البعير بذنبه خطرا اذا رفعه وحطه وانما يفعل ذلك عند السمن والشبع .

2 ـ الافرند والفرند : وشي السيف . وقيل الفرند : السيف نفسه .

4 ـ مدارع ج مدرع وهو ضرب من الثياب التي تلبس وقيل جبة مشقوقة المقدم . ويقال روضة مدرعة . والشقائق هي شقائق النعمان وهي زهور ذات لون أحمر قان يتميز بها فصل الربيع .

« 5 » وقال يصف قصر البحر بالمنصورية * :

1 ــ يارب فتيان صدق رحت بينهم

والشمس كالدنف المعشوق في الأفق

---

* مــن البسيــط

التخــريج : الحصري ، زهر الآداب : 1/190 ــ 191 ، ابن منظور ، نثــار الازدهار : 37 ولم يورد البيت 12 ، ح ح عبد الوهاب : «الفكر» عدد 10 (1959) ص 6 .

التحقيــق : ز=زهر الآداب . ن= نثار الأزهار . ح=ح ح عبد الوهاب .

1 ــ ز : «والشمس كالدنف المعشوق» وفي نسخة : «كالدنف المشغوف» . ن، ح : «كالذهب المشعوب» .

2 ــ ز، ن : «مرضى أصائلها » . ح : «أهائلها» . ز، ح : «تروح» . ن : «تــروج» .

3 ــ ز : «تقلدت عقد .. النزق» . ن، ح : «تقلدت عرق .. البرق» .

4 ــ ز : «عن ماحل .. كأنما نفسه» وفي نسخة «كأن نفسه» . ن : «عن ماجل .. كأنه بغيته» . ح : «عن ماجل .. كأنما نفسه» .

5 ــ ز، ن : «أحيانا وتفرقة» . ح : «أحيانا وتغرقة» .

6 ــ ز : «ناضر والطل يلحقه» . ن : «ناضر في الماء يلحقه» . ح : «في الماء يلحقه» .

7 ــ ز، ح : «أحيانا فيمنحها» . ن «فيمسحها» .

8 ــ بدون اختلاف .

9 ــ كالسـابق .

10 ــ ن، ح : «اذا تبلج فجر» . ن : «اذا تبلج نجم» .

11 ــ ز، ح : «لازوردا» . ن : «لازودا» .

12 ــ ز : «تجلى بغدرته .. من كرم واف» . ن : «تجلى بغره .. كرم دان» . ح : «يجلى بغرة» .

2 ــ مَرْضَى أصَائلهَا حسرَى شمائلُهَا

تُرَوّحُ الغُصُنَ المَمْطُورَ في الوَرَقِ

3 ــ معاطيا شمس إبريق إذا مُزِجَتْ

تَقَلّدتْ عِقْد مرْجَانٍ مِنَ النّزَقِ

4 ــ عن ماجلٍ طافحٍ بالماء مُعْتَلِجِ

كأنّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ الحَدَقِ

5 ــ تضُمّهُ الرّيحُ أحْيَانًا وتَفرّقهُ

فَالمَاءُ مَا بَيْنَ محبُوسٍ ومُنْطلقِ

6 ــ منْ أخضرٍ ناضرٍ والطّلّ يَلْحفُه

وَأبيض تحتَ قبطيّ الضّحى يَقَقِ

7 ــ تهزّه الريحُ أحيانًا فيمْنَحُهَا

للزّجْرِ خَفْقَ فُؤَادِ العاشِقِ القلِقِ

الغــــريب :

1 ــ الصدق : نقيض الكذب . يقال رجل صدق وامرأة صدق ورجال صدق ، من قبيل الوصف بالمصدر بقصد المبالغة ــ اللسان [صدق] قال حاتم :

وفتيان صدق لا ضغائن بينهم   اذا أزملوا لم يولعوا بالتلاوم

(ديوانه ــ طبع اوروبا ــ ص 21) الدنف : المريض . ومن روى المشعوب بمعنى المفرق .

2 ــ الاصائل ج أصيل وهي العشي ، ما بعد العصر الى المغرب . والشمائل ج شمال وهي ريح شمالية وتجمع أيضا على شمالات .

3 ــ النزق : الخفة والطيش .

4 ــ الماجل : الماء الكثير المجتمع ، الصهريج . معتلج : ملتطم ماؤه . يقال : اعتلج الموج اى التطم كأنما نفسه صيغت من الحدق يريد من من شدة تلاطمه كأنه حدقة العين في سرعة حركتها .

6 ــ اليقق : الشيء المتناهي في البياض .

7 ــ الزجر : حركة الماء انعكاسا بعد المد .

8 ـ كأنّ حافاته نُطّقْن مِنْ زَبَـدٍ
مُناطِقًا رُصّعتْ مِن لُؤْلُؤٍ نَسَقِ

9 ـ كأنّ قُبّتهُ مِنْ سُندسٍ نَمِطٍ
حسْناءُ مجْلُوّةٌ اللبّاتِ والعُنُقِ

10 ـ إذا تبَلّجَ نجْمٌ فوْقَ زُرْقَتِهِ
حَسِبْتَهُ فرَسًا دَهْمَاءَ فِي بَلَقِ

11 ـ أوْ لازَوَرْدًا جرَى في متنه ذَهَبٌ
فَلاَحَ في شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرِقِ

12 ـ عَشِيّةٌ كملَتْ حُسْنًا وَسَاعدها
لَيْلٌ يُمَدد أطْنَابًا علىَ الأُفُقِ

13 ـ تجلّىَ بِغُرّة وَضّاحِ الجبينِ لَهُ
مَا شِئْتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ ومِنْ خُلقِ

8 ـ قوله نطقن أى أحطن بحافاته .

9 ـ النمط : ظهارة الفراش ، يقال نمط لما كان ذا لون من حمرة وخضرة وصفرة . اللبات ج لبة وهى وسط الصدر .

10 ـ بلج وتبلج : أشرق وأضاء . البلق : سواد وبياض وأما البلق فهو البياض من كل شيء .

11 ـ اللازورد حجر كريم فى لون زرقة السماء .

« 6 » وقال يصف قصر البحر * :

1 ـ سَـلاَمٌ عَلَى طِيبِ رَوْحَاتِنَـا
إلَى القَصْرِ والنَّهَرِ الخِضْرِمِ

---

* مـن المتقـارب .

التخريـج : الحصـرى ، زهـر الآداب (ط. البجـاوى) : 777 ، ح ح عبد الوهاب ، المنتخب : 56 ـ 57 ولم يثبت البيت 6 .

التحقيـق : ز = زهر الآداب . ح = ح ح عبد الوهاب .

1 ـ ز : «طيب روحاتنا . . والنهـر الخضـرم» . ح : «طيب روغاتنا . . الحضـرم» .

2 ـ ز : «يقـذف بالبان» وطبعة ز. مبارك : «يهدف» . ح : «يهـدف في البـان» .

3 ـ ز : «تخال به قطما مقرما .. على قطم» . ح : «تخال به قطما مغرما .. على مغرم» وشرح القطم الصغر .

4 ـ ز : «ويسجو . . في ذائل» . ح : «يسخو . . في ذابل» وكـذا في طبعة ز. مبارك . وقال «ح» : ذابل : صفة للبرمج .

5 ـ لا خلاف في روايته .

6 ـ لم يثبتـه ح. وفي ط. زكي مبارك «المعـدم» بدل «المغـرم» في ط. البجـاوى .

7 ـ ز : «فوقه درجته في حبك الـزرد» . ح : «فوقـه درجت على حبب الـزرد» .

8 ـ ز : «فروع غذتها نطاف السم» . ح : «فروع جاءت ناطق اليمم» . وقال اليمم واليمام : حمام وحشي .

9 ـ لا خلاف في روايته .

10 ـ ز : «كان شجاع الضحى .. والخرم» . ح : «كأن شعاع .. والحيزم» .

11 ـ لا خلاف في روايته .

2 – إلىَ مُزبدِ الموجِ طامِي العُبَـا
بِ يَقْذِفُ بالبَـانِ والسّاسَـمِ

3 – تَخَالُ بِهِ قَطْمًا مُقْرَمًا
يَكْـُرُ عَلىَ قَطْـمٍ مُـقْـرَمِ

4 – وَيَسْجُو فيَسْحَبُ فِي ذَائِـلٍ
يَمَـانٍ تَسَـهَّـمَ بِالأَنْجُـمِ

5 – كَأَنَّ الشَّمَالَ عَلىَ وَجْهِهِ
بِهَـا سَقَـمٌ وَهْـيَ لَـمْ تَسْقَمِ

---

12 ـ ز : «ولها المرهم» وفي ط. زكي مبارك وح : «ولدى المرهم» .

13 ـ ز : «على كل محببة .. تسدى» وفي ز. مبارك : «تبدى» . ح : «مخبية» .

14 ـ ز : «صواغه» وفي ز. مبارك وح : «اصداغه» .

الغريب :

1 ـ النهر حرك الهاء للضرورة . الخضرم : العظيم .

2 ـ البان : ضرب من الشجر الطيب الزهر . الساسم : شجر أسود وقيل هو الابنوس .

3 ـ القطم : يقال مخل قطم أى صؤول ـ وأقوم الفحل أى أكرمه عن المهنة . فهو مقرم .

4 ـ يسجو : يسكن ، يقال سجا البحر سجوا سكن تموجه . الذائل : الطويل الذيل . يريد ثوبا طويلا تقع نواحيه على الارض والذائل أيضا بمعنى الدرع .

5 ـ الشمال : يريد ريح الشمال .

6 ـ ضَعِيفَةٌ رَشٌ كَنَفْثِ الرقى

عَلَى كَبِدِ المدْنَفِ المُغْرَمِ

7 ـ إذَا دَرَجَتْ فَوْقَهُ دَرَّجَتْـ

ـهُ فِي حَبَكِ الزَّرَدِ المُحْكَمِ

8 ـ وَقَدْ جَلَّلَتْه بأوراقِهَا

فُرُوعٌ غَذَتْهَا نِطَافُ الْيَمِ

9 ـ عَلَتْهَا الحَمَامُ بِتَغْرِيدهَا

كَمَا سَجَعَ النَّوْحُ فِي مَأْتَمِ

10 ـ كَأنَّ شُعَاعَ الضَّحَى بَيْنَهَا

عَلَى السَّوْسَنِ الغَضِّ والخُرَّمِ

---

6 ـ الرش هو رشاش الماء المتطاير . الرقى : الراقي هو صاحب الرقى الذى يداوى بالتعاويذ والحروز ونحو ذلك . والنفث أقل من التفل لأن التفل لا يكون الا معه شيء من الريق ، والنفث شبيه بالنفخ . المندف : المريض .

7 ـ الزرد ، بالتحريك : الدرع المزرودة ، والزردة : حلقة الدرع ، والسرد : ثقبها ، والزرد : تداخل حلق الدرع .

8 ـ نطاف ج نطفة ودطافة وهو الماء الصافى قل أو كثر .

9 ـ النوح ، يقال للنساء النائحات على الميت نوح ونوح ونوائح ونائحات.

10 ـ السوسن : نبت أجناسه كثيرة وأطيبه الابيض . الخرم : نبات الشجر .

11 ـ وَشَائِعٌ مِنْ ذَهَبٍ سَائِلٍ

عَلَى خُسْرُوَانِيَّةٍ نُعَّمِ

12 ـ رُبَّى تَتَفَقَّأُ مِنْ فَوْقِهَا

عَزَالِي الرَّبِيعِ لَهَا المرهَمِ

13 ـ عَلَى كُلِّ مخْبِيَّةٍ خلَّةٌ

تَسَدَّى عَلَى جَدْوَلٍ مُفْعَمِ

14 ـ كَمَا فَتَلَ الوُقْفُ صوّاعهُ

وَكَالأرْقَمِ انْسَابَ للأرْقَمِ

---

11 ـ وشائع ج وشيعة وهي الطريقة في البرد . خسروانية : ثياب .

12 ـ تتفقأ : يقال تفقأت السحابة عن مائها أي نشققت . عزالى : ج عزلاء . والعزلاء مصب الماء من الرواية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء ، سميت عزلاء لانها في أحد خصمى المزادة لا في وسطها ولا هي كفمها الذى منه يستقى فيها . وفي الحديث « أرسلت السماء عزاليها » أى كثر مطرها . ويقال للسحابة اذا انهمرت بالمطر الجود : قد حلت عزاليها وأرسلت عزاليها . المرهم : طلاء يطلى به الجرح وهو ألين ما يكون من الدواء . وهناك تقديم وتأخير في البيت .

13 ـ مخبية : خبء السماء : مطرها . خلة : ثقب .

14 ـ فتل ، الفتل لى الشيء . الوقف : يريد الواقف . الصواع : اناء يشرب فيه .

« 7 » وقـــال * :

1 ــ أوَاجِدَةٌ وَجْدِي حَمَامَةُ أيكةٍ
تَميلُ بِهَا ميْلَ النّزيفِ غصونهَا

2 ــ نَشَاوَى وما مالت بخمر رقابها
بَوَاكٍ ومَا فَاضَتْ بدمعٍ عيُونُهَا

3 ــ أعيدي حمَامَاتِ اللّوى أنْ عنْدنا
لِشَجْوكِ أمْثَالاً يَعُودُ حَنينُهَا

4 ــ وَكلّ غَرِيب الدّارِ يدْعُو همومه
غَرَائِبَ مَحْسُودٌ علَيْهَا شُجُونهَا

---

* مـن الطـويـل .

التخـريج : الصفدى ، الوافى : ج 13 ص 106 ، ابن منظور ، نثار الازهار : 81 ح ح عبد الوهاب ، مجلة الفكر : ص 6 .

التحقـيق : ص = الصفدى . ن = نثار . ح = ح ح عبد الوهاب .

1 ــ لا خوف فى اثباته .

2 ــ ص، ن : «نشاوى» . ح : «تساوى» .

3 ــ ص : «أعيدى سحول أميالا .. حبيبها» ن، ح : «أفيقى ... لشجوك أمثالا .. حنينها» .

4 ــ ص : «يدعوا همومه» . ن، ح : «يدعو ..» .

الغـريب :

1 ــ الوجد : يقال وجد وجدا فى الحب ، وانه ليجد بفلانة وجدا شديدا اذا كان يهواها ويحبها حبا شديدا . النزيف : السكران اذا نـزف عقله أى ذهب .

3 ــ اللوى : موضع بعينه أكثر الشعراء بذكره تقليدا ففقد دلالته عـلى معناه الاصلى .

« 8 » وقال يصف ما يحدث عند اندفاع الجدول في الماء من تلك الرغوة والنّفاخات * :

1 – قَدْ صَاغَ فِيهِ الغمَام أدْمعَـــه
دُرّا وَرَوَاهُ جَـــدْوَلٌ غَـمْـرٌ

2 – يَجِيشُ فِيـــهِ كَأَنّمَا رعشتْ
إلَيْــكَ مِـنْــهُ أنَامِلٌ عَشْـرُ

التخـريج : ابن رشيق ، قراضة الذهب : 11

« 9 » وقـــــال * :

1 ـ يَشكُو هوَاكَ إلى الدموع متيّمُ
لَمْ يَبْقَ فيه لِلْعَزَاءِ نَسِيسُ

2 ـ لَوْلاَ الدّمُوعُ تحرّقَتْ منْ شوْقِهِ
يَوْمَ الوَدَاعِ قِبَابُكُمْ وَالعِيسُ

3 ـ دَرْكُ الزّمان وَحُبّكَ ابنَةَ مالكٍ
في الصّدْرِ لا خِلْوٌ وَلاَ مَدْرُوسُ

4 ـ فكأنّه مَا شَادَهُ المَنْصُورُ مِنْ
رُتَبِ العُلى واخْتَارَهُ بَادِيسُ

---

* مـن الكـامـل .

التخـريج : الصفـدى ، الـوافى : ج 17 ص 107 ، العمـرى ، مسالـك : ج 11 ق 2 ص 294 وقد أورد البيتين الاخيرين فقط .

1 ـ النسيس : بقية الروح .

2 ـ قباب ج قبة وهى بيت صغير مستدير من بيوت العرب . العيس : الابل البيض مع شقرة يسيرة واحدها أعيس وعيساء ، وقيل كرائم الابـــل .

3 ـ الدرك والـدرك : التبعـة . وفى الحديـدث : «أعوذ بالله من درك الشقـــاء» .

« 10 » وقال في وصف الخيال * :

1 – أهْلاً بِهِ مِنْ زَائِرٍ مُعْتَادِ
وَاللَّيْلُ يَرْفُلُ في ثِيابِ حِدَادِ

2 – تَتَجَاوَزُ الرَّايَاتُ يَخْفُقُ ظِلهَا
وَيَشُقُّ مُلْتَفَّ القَنَا المُنَآدِ

3 – أنّى اهتدى في ظلّ أخضر مُغدف
حتّى تيَمّمَ بِالعَرَاءِ وِسَادِي

4 – بأرَقَّ مِنْ كَبِدِ المُتيّم مَقْدَمًا
في حَيْث يَنْبُو الحارِثُ بنُ عَبّادِ

---

* من الكامل .

التخريج : الحصرى ، زهر الآداب : 704 (طبة البجاوى) .

التحقيق :

1 – من طبعة زكى مبارك «القنا المياد» .
3 – من طبعة زكى مبارك «مغدق» .
4 – من طبعة زكى مبارك «فارق» .
5 – «نمائم» .

الغريب :

3 – أخضر : يريد أسود ، والعرب تطلق الخضرة على السواد . مغدف : الغداف كل اسود حالك .

4 – من حيث ينبو الحارث بن عباد : يريد من حيث ينبو سيف الحارث ابن عباد فحذف المضاف لضرورة الشعر وهو جائز . والحارث بن عباد – بتخفيف الباء – حكيم جاهلى ، كان من سادات العرب وكان

5 ـ مُعْتَادَةٌ أمِنَتْ تَمَائِمَ حَلْيِهَا
وَالحَلْيُ نَمَّامٌ عَلَى العُوَّادِ

6 ـ وَكَأنَّمَا يَاقُوتَهَا في نحْرِها
مُتَوَقِّدٌ مِمَّا يجِنّ فُؤَادِي

شاعرا مجيدا . في أيامه كانت حرب البسوس ، فاعتزل القتال ، ثم ان مهلهلا قتل ولدا له فثار الحارث ونادى للحرب وارتجل قصيدته المشهورة التي يكرر فيها قوله : «قربا مربط النعامة مني» أكثر من خمسين مرة . والنعامة : فرسه ، وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الارض فيهم . فأنشده رجل من تحت الارض :
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
(نهاية الارب : 968 . الممتع 136 أ) .

5 ـ التمائم : خرز تثقب ويجعل فيها سيور وخيوط تعلق بها : نمام : النمام هو الذي لا يمسك الاحاديث ولا يحفظها .

6 ـ قوله مما يجن فؤادي : يريد من لهيب الشوق الذي يكنه في صدره ، ويجن : يخفي ويستر .

« 11 » وقال في طيف الخيال أيضا * :

1 — لم أدرِ مغناك لولا المسك والقُطُرُ
وَزَوْرَةٌ لمُلِمّ عَهْدُهُ عُفُرُ

2 — سرَى يعارضُ أنفاسَ الرّياح بمَا
تَحَمّرَ الوَرْدُ مِنْهُ وانتشى الزّهْرُ

3 — يخفِي بثوبِ الدُّجَى مسراهُ مستترا
وَمِنْ تَقَنّع صُبْحًا كَيْفَ يَسْتَتِرُ

4 — كأنّ أعيُنَ وَاشِيه تُرَاقِبُهُ
فِيهِ فَيَنْدمِجُ أخْبَارِي فَيَختصِرُ

---

* من البسيط .

التخريج : الحصرى ، زهر الآداب (ط. البجاوى) : 703 .

التحقيق :

1 ـ من ط. زكي مبارك «مغناك .. والعطر وزفرة لملم عنده خضر» .

2 ـ من ط. زكى مبارك «وانثنى الزهر» .

الغريب :

1 ـ القطر : العود الذى يتبخر به . قال امرؤ القيس :
كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
والعفر : يقال لقيت انسانا عن عفر ـ بالضم ـ اى بعد شهر ونحوه .
(اللسان ـ قطر ، عفر ـ) وحرك الشاعر القطر والعفر للضرورة .

« 12 » وقال عبد الكريم القيرواني * :

1 — نَبّهتُهُ وَالدُجَى للصُّبْحِ مُلتفتٌ
وَقَدْ تَعَلّقَ بِأذْيَالِهِ الفَلَقُ

2 — والنّجمُ تجري لعلّ الغرب يفضحهُ
فَمَا تَلَبثَ حتّى نَالَهُ الغَرَقُ

3 — وَالرّيحُ تمسحُ باقي الطّلّ عن زهرٍ
كمَا يُمْسَحَ عن ذي خَجْلَةٍ عرَقُ

---

* من البسيط .

التخريج : كتاب السحر والشعر للسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ . مصورة عن مخطوطة بالاسكوريال رقم 456 ص : 29 ن .

الغريب :

2 ـ خجلة ، يقال فلان خجل وبه خجلة أى حياء .

« 13 » وقال من قصيدة يمدح بها نزار بن معدّ صاحب مصر * :

إلى مَلِكٍ بيْنَ المُلُوكِ وبيْنَـهُ مسَافةُ مَا بَيْنَ الكواكِبِ والتُرْبُ

★ ★ ★

« 14 » وقال في المدح * :

يُتَوِجُ أرْمَاحَهُ بالرُؤُوسِ وَيَخْضُبُ أسْيَافَـهُ بالدمِ

---

* مـن الطـويـل .

التخـريج : ابن رشيق ، العمدة : 2/17 = 2/19 . وأخذ عليه سقوطـه في هذا البيت من جهة المقابلة (راجع التعليق على ذلك فيما يلي) :

الغـريب : الترب والتراب واحد .

★ ★ ★

* مـن المتقـارب .

التخـريج : ابن رشيق ، قراضة الذهب : 39 .

« 15 » وقال في قصيدة ذكر فيها الهيبة * :

1 — وَمَجْلِسُ مَوْفُورُ الجلالة تنثني
عُيُونُ الوَرَى عَنْهُ ويَنْبو خِطابُهَا

2 — ترى فيه رفعَ الطّرف خفضا كأنّمَا
لِحَاظُ الرِّجَالِ رِيبَــةٌ يُسْتَرَابُهَا

3 — نَثَرْتُ بِهِ غُرَّ المعانِي كَأَنَّهَا
قَلاَئِدُ دُرٍّ زَانَ جِيدًا سِخَابُهَا

4 — إذا حُكْتُها ظلّت نوَاسِجُ عبقَرٍ
حَوَاسِدَ مَدْسُوسًا إليَّ عِتَابُهَا

5 — علىَ ملكٍ تُهْدَى إلىَ مكرمَاتِهِ
عَقَائِلُ أشْعَارٍ يَرُفّ شَبَابُهَا

6 — هُمَامٍ دَعَتْ كَفّاه قاصية العلى
فَلَبّاهُ مِنْهَا صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا

---

* مـن الطـويـل .

التخــريج : أنشدها الشاعر فى كتابه الممتع ص 64 أ ــ 65 أ .

الغــريب :

2 ــ اللحاظ : النظر بمؤخرة العين . الريبة بمعنى التهمة هنا . ويسترابها أى يخشى منها شرا .

3 ــ الغرة من كل شى أكرمه وأوله . السخاب : قلادة تتخذ من سك وغيـــره .

4 ــ عبقر : قرية تسكنها لجن فيما زعموا . فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيئا عظيما فى نفسه نسبوه اليها .

5 ــ عقائل ج عقيلة وعقيلة كل شىء أكرمه . العقيلة : الكريمة من النساء.

7 ـ وَكَيْفَ بِهَا إلاَّ عَلَيْه طَرِيقُهَا

وَأَيْنَ بِهَا إلاَّ إلَيْهِ ذَهَابُهَا

8 ـ إذَا وَرَد المنصُورُ أرْضًا تهللَتْ

وُجُوهُ رُبَاهَا واسْتَهَلَّ رَبَابُهَا

9 ـ إذَا اغبرّت الآفاقُ بُلّتْ سماؤُهُ

ثَرَاهَا بِأَيْدٍ ما يَجفّ رَغَابُهَا

10 ـ كأنّ العوَادي الزُرْقَ عنهُ مضاؤُها

وَخُضْرُ السّحَابِ مِنْ نداهُ عُبَابُهَا

11 ـ فمنْ يوله سعْدًا ينَلْهُ ومن يرد

به شِقْوَةً تُخْلعْ عَلَيْه ثِيَابُهَا

12 ـ يحل بها (1) ما حلها البرّ والتّقى

وَيَخْضَرّ مِنْ بعد اصفرارٍ جَنَابُهَا

13 ـ وما بلدٌ لمْ يؤتك الطّوعَ أهلُهَا

بآمِنَةٍ ألاّ تُدَلّ هِضَابُهَا

---

8 ـ الرباب : سحاب أبيض وقيل السحابة قد ركب بعضها فوق بعض .

9 ـ الرغاب : يقال أرض رغاب ورغب التى تأخذ الماء الكثير ولا تسيل الا من مطر كثير .

10 ـ الزرق ج أزرق يقال سيف أزرق اذا كان شديد الصقل شديد البريق.

17 ـ النقاف : يقال نقف الحنظل ينقفها بظفره أى كسره عن هبيده ونقف الرمانة اذا قشرها ونقف البيضة : نقبها . التامور : النفس ، وتامور النفس مهجتها ، قال أوس بن حجر :

أنبئت أن بنى سحيم أولجوا أبياتهم تامور نفس المنذر

14 – تحُطُّ بها الأسد الضواري خواضِعا

لَدَيْكَ وَلَوْ أنّ الكواكب غَابُهَـا

15 – وَلَوْ أنّهَا عاصتْك غيرُ مجيبَةٍ

أجابَتْكَ مِنْ تَحْتَ السيوفِ رِقابُهَا

16 – تهابُكَ آفاتُ الخطوبِ فتَنْتَهِي

ولاَ تَنْتَهِي عنْ خِطَةٍ فتَهَابُهَـا

17 – رماحكَ أحْناءُ الضّلُوعِ نِقافُهَا

وَخَيْلُكَ تَامُورُ النّفُوسِ شَرَابُهَـا

18 – ترى كلّ نَهْدٍ أعوجِيّ حُجُولهُ

كمَا مجّتِ الزُّرْق الغَوَالِي حجَابُهَا

---

18 ـ النهد : الجسيم المشرف وهو من نعت الخيل ، والنهد : الفرس الضخم . أعوجى : نسبة الى أعوج وهو اسم فرس عدى بن أيوب . قال أبو عبيدة كان أعوج لكندة فأخذته بنو سليم فى بعض أيامهم فصار الى بنى هلال وليس فى العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلا منه . (انظر شرح المؤلف لهذه الكلمة فى الممتع ص 65 أ) . الحجول : ج حجل بفتح الحاء وكسرها ويجمع أيضا على أحجال وهى الخلاخيل والقيود ، والمحجل من صفات الخيل . يقال : فرس محجل اذا كان البياض يرتفع فى قوائمه فى موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال وهى الخلاخيل . والتحجيل بياض فى قوائم الفرس .

« 16 » وقال يرثي عيسى بن خلف ، صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فمات بسببه * :

1 — منايا سددتَ الطرْق عنها ولم تدَعْ
لَهَا منْ ثَنَايَا شاهقٍ مُتَطَلّعَا

2 — فلَمّا رأت سورَ المهابةِ دُونَهَا
عليكَ ولمّا لمْ تجدْ فيكَ مَطْمَعَا

3 — ترَقّتْ بأسبابٍ لطافٍ ولم تَكدْ
تُوَاجِهُ مَوْفُورَ الجلالَةِ أرْوَعَا

4 — فجَاءَتْكَ في سرّ الدّوَاء خَفيّةً
علىَ حينٍ لَمْ تَحْذَرْ لِدَاءٍ تَوَقّعَا

5 — فلَمْ أرَ مَا لاَ يُتَقّى مثل سَهْمِهَا
وَلاَ مِثْلَهَا لمْ تَخْشَ كيدًا فترجعَا

---

* من الطويل .

التخريج : الحصرى : زهر الآداب (ط. البجاوى) : 215 ، (ط. مبارك) : 194/1 ، ح ح عبد الوهاب : المنتخب : 56 .

التحقيق :

5 ـ فى زهر الآداب «مثل سهمها» وفى المنتخب «مثل سمها» .

يصف النّهشلي في المقطع الأول من مختارات شعره التي تقدمت فيلاً ، ولم يكن الفيل حيوانًا مألوفًا في بلاد المغرب ، لأنّه لا يعيش هناك أصلاً ، وإنّما يقدم في الغالب ضمن هدية أميرية كما هي الحال بالنسبة للفيل الذي وصفه النّهشلي في هذا المقطع من قصيدته . وقد كانت القيروان تستقبل الهدايا العظيمة الموفدة لها من سدّة الخلافة الفاطمية في مصر .. وكانت تجيئها هذه الهدايا مبادلة للهدايا الفاخرة التي كانت تجهزها سنويّا وفي المناسبات وتبعث بها الدولة الصنهاجية للخليفة الفاطمي .

وكان لا بدّ أن تحظى هدية الخلافة ببالغ الاحتفاء والتقدير . ومن مظاهر ذلك أن يقف الشعراء مواقف التنويه بما تحتويه من نفائس ، وخاصة إذا كانت بها الفيلة والزرافات والبخاتي . ولهذا فلا نعجب من مصادفة وصف الفيل والزرافة وحمار الوحش لدى شعراء القيروان مع عدم وجود هذه الحيوانات في بيئتهم .

وقيل في مقدمة هذا المقطع أن النّهشلي جمع ما تفرق من أوصاف الفيل عند غيره من شعراء وزاد عليها . وفعلا فإننا حين ننظر في هذه الأبيات نجد النّهشلي قد استوفى وصف جميع أعضاء الفيل وأطلعنا على بعض خصائصه ومعيشته . فهو فيل أصيل من بلاد الهند المشهورة بالفيلة ، وهو ممّا يستخدم في الحروب . وكان ملوك الفرس يعدّونه إذا أحدق بهم الخطر . ثمّ يقارن الشاعر بينه وبين الناقة في طريقة عيشه ، ويصف ضخامة جسمه فيشبهه بالجبل ، وينتقل بعد ذلك إلى تصوير أجزائه جزءًا جزءًا ويشبهها بأمثالها على طريقة الوصف في الشعر العربي القديم ، ففخذاه كأنهما كثيبان من الرمال وصدره مثل مقدّم الهضبة . وبعد أن يصف خرطومه ومهارته في استعماله يعود ليصوّر لنا ما يترتب عن ضخامة هذا الحيوان ،

فيقول إن البئر العميقة لاتكفي لريّه ، وينتقل بتصّر الشاعر بعد ذلك إلى أذنيه فيصف إشعاعهما وشدّة حساسيتهما ، ويتحدث إثر ذلك عن عينيه النافذتين ونابيه اللذين يستعملهما عند الطعن كالسلاح الفتاك . ولا ينسى الشّاعر أخيراً أن يصور لنا لونه . ولكنّه لا يصوّره بجسم مادي مشابه له ، في اللّون ، وإنّما يهتدي إلى تصويره بحالة طبيعية معهودة يستطيع كل من يتمثلها أو يشاهدها أن يدرك أي لون كان عليه الفيل ، إنّه لون ما بين النهار والليل في ذلك الوقت الذي تسمع فيه زقزقة العصافير أو يرى فيه تغليس الصّقر . وهي براعة حقّا من الشّاعر جعلته يوفق إلى أن يربط مظهراً من مظاهر الطبيعة الصامتة بمظهر من مظاهرها الحيّة ، ويجعل كلا من المظهرين قرينة للآخر للدّلالة عليه ، ويقوم بهذه العملية كلّها لتحديد لون الفيل . وقد كان يمكنه أن يقول من أقرب طريق إن لون الفيل كلون الرّماد أوكلون الأثافي أو نحو ذلك ، لكن تروي النّهشلي المعهود منه في صناعته أظفره بهذه الصورة الطريفة وربما تكون مبتكرة وأبى له أن يلتمس التشابيه المبتذلة .

ولا ينبغي أن نؤاخذ الشاعر على عدم تدّرجه في الوصف حين يبدو لنا أنّه كان الأولى به أن يصف نابي الفيل حين عرض لوصف خرطومه أو يتحدث عن جنبيه حين تحدث عن فخذيه . فالشّعر ليس عملية منطقية علمية ، وإنّما هو تعبير شعوري مطلق ، تتداعى فيه المعاني تداعياً حرّا كما تتمثّل في الذّهن بمجرد ظهورها . على أن أبيات الوصف في هذا المقطع يمكن ترتيبها بحيث تحقق لنا فكرة التدرج في الوصف . ومع أنّ الشاعر لم يكن في غفلة عن هذا الترتيب ، نلاحظ أننّا لو قمنا بذلك لفقدنا شيئًا هاما جدا من جو القصيدة ، ألا وهو تتبع انتقال نظر الشاعر على جسم الفيل وسائر أعضائه أولا بأول . وهذا أمر حريّ بأن يعكس لنا وقع منظر هذا الحيوان الغريب في نفس الشاعر . فهو لم يرُعه منه أولا لونه ، لأنه ليس غريبا على كل حال ، وإنّما الذي شدّ انتباهه لأول وهلة هو ضخامة هيكله ، ووقع في نفسه في تلك اللّحظة أنّه لم يكن يتصوّر أن يرى كتلة بهذا الحجم تتحرك ، فقفز خياله إلى الجبل ، ولم يشكّ بعد ذلك أنّ الجبل

يمكنه أن يتحرك لو ركبت فيه أربعة أرجل كأرجل هذا الفيل الضخمة . ومن هنا صاغ الشاعر تشبيهه الفيل بالطود ، وهو تشبيه بسيط لو فككناه إلى عناصره البلاغية الأربعة المعروفة ، ولكنّه على بساطته وربما شيوعه يجب أن لا يغفلنا عن أسباب قيامه هو دون غيره في نفس الشاعر . وسنجد ترابطاً لطيفاً بين انتقال الشاعر من وصف خرطوم الفيل إلى الحديث عن سعة جوفه إذا لاحظنا الصورة التي شبه بها الخرطوم وما هو من لوازمها عادة فحين بدا له أنف الفيل كراووق خمرة حضرت في ذهنه بحكم علاقة انصباب السائل من الراووق الكمية الوفيرة من الماء التي يتطلبها إرواء هذا الحيوان الكبير . وهكذا يمضي الشاعر في تدرجه الخاص في وصف الفيل دون أن يتقيد بالتدرج العلمي الذي يقتضي وصف الأظهر فالظاهر فالخفيّ فالأخفى وما يتبع ذلك من وصف ما هو أعلى فما هو أدنى .

قال ابن رشيق في أول هذه القطعة « ووصف الفيل فقال وأغرب ما شاء » يريد أن النّهشلي أتى في هذا الوصف بالمعاني الطريفة والتشبهات المستحسنة في الشعر .. وفعلاً فإنّ هذه الأبيات أحسن ما قيل في وصف الفيل بالإضافة إلى كونها جامعة لأوصافه كلّها . وقد كان المتمثّلون على وصف الفيل في الشعر العربي لايجدون أحسن من قول رُؤبة (1) :

أجْرَدَ كالحِصْن طويلِ النَابَيْنْ

مُسْتَشْرِق اللّحْيِ صَغيرِ القمقمين

عَلَيْهِ أذْنَانِ كفَضْل الثّوْبين

وقول الآخر (2) :

مَنْ يرْكَبِ الفيلَ فهذا الفيلُ

إنّ الذي يُحْمَلُ محْمُولُ

(1) الحيوان للجاحظ : 51/7 ، النويرى ، نهاية الارب : 210/7 .
(2) ابن الاثير ، كفاية : 22 ب . وفى العمدة : 228/2 = 297 « أجرد الخصر . . القمقتين » .

علىَ تَهَاوِيلَ لَهَا تَهْوِيلُ

كالطَّوْدِ إلاّ أنّهُ يَجُولُ

وَأذْنٍ كأنّهَا مِنْدِيلُ

فجاء عبد الكريم فجمع ما تفرّق من هذه الأوصاف وزاد كما لاحظ ذلك ابن رشيق وابن الأثير (1) . ويظهر أن النّهشلي لم يجد بدّا من الأخذ ببعض الأوصاف الشائعة قبله كما نرى هنا في وصف ضخامة الفيل بالجبل وشكل أذنيه بالثياب ، ولا يعد هذا الأخذ سرقة لأن التشبيهين اللذين استعملهما شائعان ، ولم ينفرد بهما رؤبة أو غيره ، بل إنّ سائر التشابيه التي استخدمها النّهشلي هنا ليست غريبة ، ولعل الانسان لا يستحضر غيرها إذا وقف مرّة أمام الفيل ولم يكن وصف له قبل ذلك ، ولم يكن النّهشلي يدرك أن عمله ليس من قبيل الأخذ المذموم في الشعر كما روى بنفسه ما قيل في وصف الفيل قبله ، ومن بين ما روى هذين الرّجزين اللذين نقلهما عنه ابن رشيق وغيره وكل ما وصف به الشعراء الفيل عدا هذين الرجزين قلما يضاهي أبيات النّهشلي في استيفاء الوصف ووفرة التشابيه ، فنحن نجد لا محالة وصفا للفيل في قصيدة للأرجاني وأخرى لابن طباطبا لكنّهما دون النّهشلي في أبياته تلك ، ومن أوجه الشبه بينهما قول الارجاني يصف أذني الفيل(2) :

أذنان كالتُّرسَيْن تحتهما ... نابانِ كالرُمْحَيْن إنْ كرّا

وقول ابن طَبَاطَبا :

ناباه في هَوْلِهِمَا المَخشيّ ... كمثل قرنيْ ناطح طوريّ

أذناه في صَبْغهمَا الفضيّ ... كطيلسانيْ ولدي ذميّ

لكن أين هذه الأبيات من فخامة شعر النّهشلي وجزالته وقوّة تعبيره .

(1) العمدة : 228/2 = 697 ، ابن الاثير ، كفاية : 22 .
(2) النويرى ، نهاية : 309/7 ـ 310 .

ورغم الغريب اللغوي الذي نجده اليوم في هذه القطعة إلا أنّها بالنسبة لعصرها لا تبدو كذلك بدون شك. فليس في ألفاظها ما هو من الغريب حقا لديهم، ولكنّها ليست مع ذلك من ذلك النوع من الشعر السهل الذي يزدرد الفهم ألفاظه ازدرادا كالماء. ولم يكن القدماء في القرن الرابع يجدون متعة في غير هذا الشعر الفخم بألفاظه وصوره. فقلما كان يحظى لديهم ذلك الشعر القريب في ألفاظه ومعانيه في غير الغزل وشعر الغناء عامة. أمّا أغراض الشعر الأخرى كالمدح والهجاء والرثاء والوصف، فلم يكن يبرز فيها من الشعراء إلاّ من كان ذا ثقافة لغوية واسعة وقريبة في الوقت نفسه من مستوى الشعراء الفحول، وخاصة الإسلاميين كالفرزدق وجرير والأخطل وبشار وأبي تمام والبحتري، فقد كانت لغة هؤلاء — على تفاوتها فيما بينهم — دون لغة الجاهليين عمومًا في الإغراب والحوشي واستعمال الأوابد، وفوق لغة الشعراء الغزليين كابن أبي ربيعة والعرجيّ وغيرهما.

ولم يكن النّهشلي بدعًا في عصره، فمعظم شعراء القيروان كانوا يتمّسكون بمذهب الفحول كالإيّادي وابن هانيء.. وشعراء القرن الرابع في الشّرق عامة كانوا ينحون هذا المنحى في الفخامة والجزالة في شعرهم كالمتنبي وأبي فراس.

وقد يلاحظ على البيت الأخير وهو قوله:

لَهُ لونُ ما بين النّهار وليله إذا سقسق العصفور أو غلّس الصقرُ

عيبٌ بلاغيّ وهو الحشو أو الاتكاء، وهو أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنّما أدخله الشاعر لإقامة الوزن كما يبدو ذلك في عبارة «أو غلّس الصقر»، فقوله «إذا سقسق العصفور» يقوم بالمعنى الذي أراده في البيت، إلا أن يكون قد أراد إشباع المعنى فزاد العبارة الثانية وحملها الإشارة إلى آخر النهار، إذ أن سقسقة العصفور قد لا توحي بغير طلوع الفجر.

وإذا أدركنا أن الشعر العربي القديم راجع – إلا أقله – إلى الوصف ، وأدركنا أيضا أن أبلغ الوصف عند النّقاد القدامى هو ما قلب السمع بصرا ، أمكننا أن نقدر العناية التي بذلها عبد الكريم القيرواني في وصف الفيل ، حتى لنستطيع أن نتصور منظر هذا الحيوان العظيم بجميع تفاصيله وأجزائه . ولا بد أن نلاحظ أن هذا الوصف هو عبارة عن تصوير تجريدي لا يعكس حالة نفسية أو تجربة وجدانية لدى الشاعر ، وهو ما نتطلبه في الشعر اليوم . لكن يجب أن لا ننكر مع ذلك أن الوصف المجرد من كل إحساس شعوري يعكس أحيانا شيئًا ما من ذاتية الشاعر فيما يتصل بموقفه من الشيّء الموصوف إذا كان غريبًا ، فالنّهشلي هنا يتوزع اهتمامه أمام الفيل بشكل قد يختلف عن توزع اهتمام غيره أمامه .

* * *

وفي المقطع الثاني يصرّح النّهشلي أنه يصف خيلاً قد مَتّتْ في هدية . فهو يهنيء ممدوحه بها ويمضي في عدّ أصناف الأفراس المهداة ويصف ألوانها مشبهًا إيّاها بالألوان التقليدية المستعملة في الشّعر العربي القديم لهذا الغرض ، فالدّهماء كالليل ، وغرة الفرس كضوء الصّبح ، والبلقاء كأن جلدها يتقاسم ظُلْمة الليل وبياض النّهار ، والشبهاء كالقمر في بياض وجهها وكلجّة البحر في شكل ظهرها ، وذلك كقول البحتري (1) :

أو أشهب يقق يضيءُ وراءه مَتْنٍ كمَتْنِ اللّجة المترجرج

ثم يصف اهتزاز جسمها بقدود العذارى المنتشيات ، كقول البحتري أيضا (2) :

كالرّائح النّشوان أكثرُ مشيه عرضًا على النّسق البعيد الأطول

ويمكن ضم أبيات النّهشلي في وصف الخيل إلى روائع مشاهير الشعراء في ذلك كابن داود الأيادي والنابغة الجعدي والأسعر الجعفي

---

(1) ديوانه : 20/2 .
(2) ديوانه : 217/2 .

وسلامة بن جندل وطفيل من الجاهليين والمخضرمين والبحتري وابن المعتز من الإسلاميين (1) .

فإذا انتقلنا إلى أبيات النّهشلي في حمار الوحش أمكننا القول أن هذا الحيوان لا يقل غرابة في نظرهم عن الفيل، فكسوته المضلّعة من أبيض إلى أسود مصدر إعجاب شديد بهذا الحيوان ، على أن النّهشلي يعرف حمار الوحش من خلال تراث الشعر العربي ، فقد كان من أهم الحيوانات التي اعتنى شعراء العرب قديماً بوصفها ، وربمّا يعدّ حمار الوحش وثور الوحش في المرتبة الثانية من الوصف بعد الناقة . وأشهر من برع في وصف حمار الوحش وبقر الوحش وأكثروا من الشعر فيهما أوس بن حجر والشّماخ بن ضرار الغطفاني وذو الرُّمّة . وغالبا ما يكون وصف الناقة هو الذي يُسْلِمهم إلى وصف حيوان الوحش فيصوّرون العير مع أتُنه ، ويرسمون صورتها وهي تتقدمه في خنوع وطاعة إلى شريعة الماء للورود ، ويؤكدون على منظر الحمار وهو يَكْدِمُها ويطاردها ، وهو في كل ذلك يرعاها ويحافظ على حياتها من سهم صيّاد متربص بها ، حتى إذا بلغ بها مكان الورود خلّى بينها وبين الشرب ، وقد اطمأن إلى أنّها سترتوي دون أن يزعجها أمر ، دهَمها القضاء في شكل سهم طائش — أو مصيب أحيانا — يرميها به صياد مُتخفّ وراء قَتيرته ، فتقرّ الأتُن هاربة وقد خلّفت الشرر يتقادح على الصخور من وقع حوافرها (2) . هذه هي قصة حمار الوحش في الشعر الجاهلي والمخضرم عامة (3) ، فوصفه متصل بوصف الناقة ، ولا يكاد يستقل بنفسه في قصيدة ، ولا ندري إذا كان النّهشلي قد انتقل إلى وصف حمار الوحش في هذه الأبيات بعد أن

---

(1) انظر نماذج من شعر هؤلاء فى كتاب التشبيهات لابن ابى عون : 26 ـ 40 .

(2) انظر مثلا على ذلك قصائد الشماخ فى ديوانه وقصيدة أبى ذؤيب الهذلي فى العمدة : 1/85 = 1/129 .

(3) ومثلها قصة ثور الوحش غير انه يكون أمام الشعر من مشهد بانفراده ، وقد تغتاله هو أيضا سها القضا وقد ينجو ، انظر وصف لبيد له فى ديوانه .

وصف الناقة وربط بينهما ذلك الربط التقليدي ، أي المشابهة ، ثم مضى من ذلك إلى وصف هذا الحيوان . لكن يغلب على الظن أن النّهشلي هنا وصف حمار الوحش بمناسبة قدومه في هدية ولذلك لم يقص قصته كأسلافه من الشعراء الجاهليين وقد كان القدماء يصورون من خلال هذه القصة مشكلة القضاء والقدر على نحو يعكس وجدانهم النفسي غالبًا .

على أن المهم في هذه الأبيات التي أمامنا أن النّهشلي لم يخرج فيها عما جاء عند الشعراء القدامى المذكورين ، وقد كانوا هم أنفسهم يرددون أوصافا بعينها ، ومعاني بعينها ولغة واحدة ، فكيف لنا أن نطالب من عبد الكريم أن يبتدع في وصف حمار الوحش ، لكن رغم أنّه يبدو مقلّدًا إلا أن أبياته تبدو في نظرنا من أجمل ما قيل في صفة هذا الحيوان (1) . وهي ممتازة من حيث ألفاظها وإحكام بناء عباراتها ووفرة تشابيهها وحسن صياغتها . وينبغي أن نقدر مع ذلك أن شاعرها قيرواني من القرن الرابع وأن وصف هذا الحيوان قد قلّ في الشعر العربي أو انعدم في ذلك الوقت .

وحسبنا أن نخرج من هذا المقطع الوصفي بأن النّهشلي قد وفق إلى استيعاب صفة حمار الوحش في الشعر القديم ، وأنه قَدَرَ على تصويره بعبارته الخاصة رغم كثرة ألوان التعابير المختلفة التي استعملت الألفاظ والتشبيهات نفسها على مدى العصر الجاهلي والعصر الاسلامي الأول . وليس كل شاعر في عصر النّهشلي يقرأ ما قيل في وصف حيوان الوحش في الشعر القديم يستطيع أن يجد في نفسه القدرة على النظم ، لما يخيل إليه من أن الشعراء لم يغادروا له شيئًا يقال في هذا الموضوع . وهذا موقف صعب بل أشد صعوبة بالنسبة لشاعر متأخر كالنّهشلي إذ أن كثيرا من المخضرمين كانوا يجدون أنفسهم في مثل هذا الموقف ، ولكن فحُولتهم أو ثقتهم بقدرتهم الفائقة على النظم ، مهما ضاقت سبله ، تأبى عليهم ، كما تأبى

(1) لقد سبق لى أن درست كل ما قيل فى صفة حيوان الوحش فى الشعر الجاهلى فى بحث بعنوان « قصة حيوان الوحش فى الشعر القديم » ألقيته بكلية الاداب بجامعة بغداد .

على النهشلي ، أن يقفوا موقف العاجز أمام وصف حيوان ، يؤلّف وصفه مقطعًا من أجمل مقاطع الشعر العربي في أوج نضجه وقوته ، بل إنهم يرون مقدرتهم الشعرية معرضة لهذا الامتحان ، ولذلك قلما نجد من الشعراء المخضرمين والاسلاميين من لم تنازعه نفسه إلى وصف حيوان الوحش تأسيًا بالجاهليين وتشبّثًا بمستواهم، ففي هذا التقليد كانت تكمن البراعة في الشعر لديهم .

* * *

ووصف النّهشلي للبَخَاتي — في المقطع الرابع — شهد ابن رشيق بأنّه بلغ فيه جودة الصنعة وحسن البديع . وتوشك أن تدلنّا نسبة هذه النوق إلى نجيبات كسرى بأن هذه البخاتي جاءت أيضا في هدية من مصر . وقد تواتر الشعراء قديما على اعتبار خير الحيوانات هي المنحدرة من سلالة حيوان كسرى ، يريدون ملوك فارس ، لأنّهم كانوا أقدر من يستطيع حيازة أجود أصناف الحيوان وأعزها منالا . والذي يستوقفنا في هذه الأبيات أن الشاعر تخيل هذه النجائب ذات السنامين تتهادى فوق الرمال وترتسم صورتها أمامه وسط إطار الأفق الأزرق كأنها سفن شراعية بيضاء تمخر عباب البحر . هذه الصورة التي تمثلّها الشاعر لم يرد أن يعبر عنها ذلك التعبير التقليدي ، أي بأدوات التشبيه المعهودة والتي أصبحت مبتذلة ، بل التمس طريقًا أخرى تبدو أشد طرافة وابتكارًا فزعم أنها سفائن ثم أضرب على ذلك مدّعيًا أن سفن البحر صيغت على أشكال هذه النجائب التي يصفها فهي أولى إذن من مثيلاتها بأن يموج بها البحر !

ووصف النجائب بسفن البحر تشبيه قديم شائع عند الشعراء ، ولا يشبه بها النوق فقط بل تشبه بها أيضا الخيل (1) .

* * *

---

(1) راجع قصيدة الايادى وقد مضت منها أبيات فى ص : 48 ـ 49 .

ونصل مع المقطع الخامس من شعر النّهشلي إلى موضوع جديد استطاع الشاعر العربي أن يكتشفه منذ خرج من باديته في الجزيرة العربيّة وخالط الحضارة في العراق والشام وبلاد المغرب وأمكن للشاعر أن يمارس فيه فنّه ويُعرب من خلاله عن أصالته ، فلقد طالما ظل حبيساً داخل وصف الأطلال والنّاقة والخيل وصيد الحيوان وما إلى ذلك من مظاهر حياة الشاعر في البادية : .هذا الموضوع هو وصف الدور والقصور والبِرك والرّياض .

لكن قبل أن يظهر النّهشلي في أواخر القرن الرابع كان الشعر العربي قد حصل على روائع شعرية في هذا الوصف بفضل البحتري والصنوبري والسّريّ الرفّاء وأمثالهم من شعراء المشرق وبفضل الإيّاديّ وتميم الفاطمي وأمثالهما من شعراء المغرب . ومع ذلك فأبيات النّهشلي هذه تقف في وصف ما يختار في وصف البرك . وقد جاء هذا الوصف عند النّهشلي في خلال وصف غبوق اغتبقه مع أحد الأمراء (1) . قال التيفاشي ــ الذي نقل عنه ابن منظور ــ : « وشعراء المغرب حازوا السّباق في وصف الاغتباق ، فمن ذلك قول عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي . » (2) وأورد الأبيات المتقدمة . فإلاّ يكن السجع قد تحكم في عبارة التيفاشي وبالتالي في حُكمه ، فهذه الشهادة قيّمة من حيث إنها تثبت لشعراء المغرب فضلاً على غيرهم ، وقد طالما جُحِدت أفضالهم في ميادين الشعر . وتقديم النّهشلي بالذات في هذا الباب من الاختيار دليل قوي على فحولته الشعرية وإصابته في وصف الاغتباق ربما كشأنه في أغراض الوصف الأخرى التي مرت بنا .

ويصور النّهشلي ما شاء له أن يصور في تلك الأمسية الخمرية من حيث مكانها وزمانها حتى إذا أراد أن يتخلص من هذا الوصف إلى مدح الأمير سلك

(1) قيل هو المعز بن باديس ، وليس ذلك صحيحا لما نعرف من أن وفاة الشاعر كانت سنة 405 هـ أى قبل ولاية المعز بسنة فالا يكن المقصود هو المعز الفاطمى فقد يكون باديس بن المنصور بن يوسف الصنهاجى .

(2) ابن منظور ، نثار : 36 ، والاغتباق أو الغبوق هو الشرب بالعشى أى آخر النهار وهو يقابل الصبوح .

في ذلك مسلكاً عجيباً . ومعروف أن الشعراء يلاحظ على كثير منهم السقوط في التخلص من موضوع إلى موضوع في القصيدة الواحدة ، ولكن النّهشلي الذي ستأتينا شهادة أحد النّقاد بحسن تخلصه في الشعر ، عمد هنا إلى حيلة لطيفة انتقل منها إلى المدح ، وذلك حين زعم أن اللّيل الذي كان يمدد عليهم أطنابه أثناء الغبوق ، لم يكونوا في ظلمة بسبب سواده لأنهم كانوا بحضرة الأمير وكان جبينه الوضاح غرة في وجه ذلك الليل البهيم .

وفي هذا المقطع عدّة تشبيهات يؤلف المشبه به فيها صورة حية متحركة بينما وجها الشبه في التشبيهات الأخرى لا يعدوان كونهما مظهراً من مظاهر الطبيعة الصامتة . ومن نوع التشبيهات الأولى التي وفق اليها النّهشلي تشبيهه الشمس المنحدرة نحو الغروب بالعاشق المدنف ، واضطراب صفحة الماء بطروف العيون ، ومويجات الماء المتراكبة بدقات قلب العاشق المتلاحقة ، ورغم أن هذه التشبيهات وغيرها شائعة في الشعر العربي إلاّ أن صياغة النّهشلي الخاصة أضفت عليها طابعاً يختلف في زخرفه البديعي اختلافاً ما يجعلها غير مبتذلة .

وهذا المقطع أيضا لا يحمل وحدة شعورية متجانسة أو متكاملة لموقف الشاعر في هذا الغبوق الذي يصفه ، الا أن الأبيات بمقياس الشعر لدى النقاد القدامى تتمتع بكثير من خصائص الشعر الجيّد في إحكام بنائها وتمكّن ألفاظها من مواضعها ، وجمال صياغتها البيانية ، وحسن تخلص الشاعر من غرض إلى غرض .

وإذا لاحظنا وفرة حروف الإطباق والصفير والقلقلة في هذا المقطع وكثرتها في البيت الواحد أحياناً أدركنا سبب هذه الموسيقى العالية الطبقة التي يُحْدِثُهَا إنشاد هذا المقطع ويمنحها إيقاعاً قويا يلذّه السمع ، وربما رأينا هذه الميزة واضحة في شعر النّهشلي المتقدم .

* * *

ونطالع في المقطع التالي وصفاً من أفضل ما يختاره النقاد في وصف البرك ويذكرنا بأبيات البحتري المشهورة وهي :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات وقد لاحت مغانيها

تنصبّ فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مُجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها

وإذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكا
مثل الجواشن مصقولاً حواشيها

وإذا النجوم تراءت في جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها

ومعظم ما يختاره الأدباء في وصف الماء والبرك (1) قد تفضله هذه الأبيات للنّهشلي ، فهي أكثر تشبيهات وأغنى صورًا . وليس يقلّل من قيمتها أننا نجد معظم تشبيهاتها شائعة ، أو أن النّهشلي اقتبس صورها من غيرها ، كما لاحظ ذلك الحصري حيث قال إن النّشهلي أخذ قوله :

ضعيفة رشّ كنفث الرقى   على كبد المدنف المغرم

من معنى قول ابن المعتز :

يهزّ برود العصْب فوق متونها   نسيم كنفث الراقيات عليل

على أن ملاحظة الحصري ليست مصيبة تماما ، ولا ينبغي أن يوحي لنا توارد الألفاظ هنا أو هناك بأخذ الشعراء بعضهم من بعض ، فابن المعتز هنا مثلا يصف النسيم العليل بنفث الراقيات ، يريد النفث بمعنى النفخ ، فهو لا يقصد ما في النفث من رشاش الريق كما يقصد ذلك النهشلي ، ثم إن تشبيه ابن المعتز تشبيه بسيط بينما تشبيه النّهشلي عبارة عن صورة موحية ، ووجه الشبه فيها متعدد . وقد نرى معظم تشبيهات النّهشلي غير مبتكرة ،

(1) النويري ، نهاية : 285/1 وما بعدها .

لكن الابتكار ليس شرطا في جودة الشعر ، إنما الجودة تتمثل في مقدرة الشاعر في صوغ التشابيه المعهودة صياغة جديدة .

ونلاحظ في هذا الوصف أيضا تفككه إلى جزئيات لا رابط بينها يصلها بنفس الشاعر كما يصلها وجه من الشبه بالموصوف ، بل إن الأبيات كلها تقوم على معادلات وصفية مجردة من تيار شعوري موحد ، فكأنما قصد الشاعر الوصف لمجرد الوصف ، بل لقد كان هذا شأن الوصف عامة في الشعر العربي ، ولا نستطيع أن نأخذ أبيات النّهشلي هذه بمقياس نقد الشعر الشائع اليوم ، وإلا لهالنا تناقص الصور الشعرية بها . وأبرز مثال على ذلك نبوّ تشبيه تغريد الحمام بالنواح وتشبيه رشاش المطر بتفُال الراقية وغير ذلك ، فما محلّ هذه الصور القاتمة والأليمة من تلك الصور البهيجة المشرقة التي تصف جوانب أخرى لهذه البركة ؟! (1) .

والوصف لذات الوصف الذي شاع في الشعر العربي أوقع الشعراء ليس في كثير من التناقص الفنّي ، فذلك ما لم يكونوا يلتفتون اليه ، وإنّما أوقعهم في ما هو أسوأ من ذلك ، في ضرب من مجافاة الذوق وقلة الأدب كقول ذي الرمة وقد استنشده عبد الملك بن مروان :

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنّه من كُلًى مفرية سربُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة ، وهي تدمع أبدًا ، وكقول أبي النجم يخاطب هشام بن عبد الملك :

والشمس قد كادت ولما تفعل   كأنّها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول (2). يقول ابن رشيق معلّلا هذه الظاهرة لدى الشعراء : « وإنّما يؤتي الشاعر من هذه الأشياء إمّا عن غفلة في الطبع وغلط ، وإمّا من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين

(1) راجع تعليقات ابن رشيق على تشبيهات للقدماء تركها المحدثون استبشاعا لها . العمدة : 1/204 وما بعدها : 1/299 .
(2) ابن رشيق ، العمدة : 1/148 = 1/222 .

ذهب» (1) ، ولا يبعد أن يكون الأمران معا – أو قريبٌ منهما – من مميزات شخصية النّهشلي الشعرية ، فقد مر بنا كيف لاحظ عليه أصحابه بلاهته وغفلته في بعض الأحيان ، ورأينا أنّه دافع عن نفسه أمامهم بأنّه صانع مجوّد في صناعته الشعرية وحسب . ولا يعنيه ما يؤخذ عليه بعد ذلك .

* * *

والبيتان رقم «8» من المقاطع المختارة من شعر النّهشلي ساقها ابن رشيق في قراضة الذهب في معرض ردّ عمن اتهمه بسرقة معنى فيهما ، وأبيات ابن رشيق موضع التهمة هما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة التالية :

ألـم ترهم كيف استقلُّـوا ضحـى
إلى كـنَفٍ مـن رحمة الله واسعِ

أمـام خميسٍ مـاج في البر بحرُه
يسيـر كمتن اللّجـة المتدافـعِ

إذا ضربت فيـه الطبول تتـابعت
بـه عَذَبٌ تحكي ارتعاد الأصابعِ

تجاوب نَوْح بات يندق شجـوه
وأيدي ثكالى فوجئت بالفواجعِ

وقال ابن رشيق في الدفاع عن نفسه : «إذا كـان المعترض أراد ذكر هذا الارتعاد والارتعاش وذكر الأصابع والأنامل فصدق ، إلا أن هذا لا يعدّ سرقة لعلل شتىّ منها أن القصد غير واحد ، ولا أحب الاعتـراض على عبد الكريم وليس هـاهنا ذنب أؤاخذه به وإنمـا الجناية لغيره [...] ولو أن هذا النـاقد بصيرا لنظر نظر تحقيق [...] فعرف بعد ما بين المقصدين على قرب ما بين اللفظين ولم يكن ذلك عنده محظورًا لأن عبد الله بن المعتز يقول في صفـة جدول :

كـفيل لأشجارها بـالحيـاة   إذا ما جرى خِلْته يرتعشُ

(1) المصدر السابق .

وليس لفظة الارتعاش من خاص البديع فيعد ذكرها سرقة كما عدّ علينا » .
ويؤكد ابن رشيق على أنه ليس هناك شبه بين تصوير زبد متطاير على مسقط النهر بأصابع شيخ ترتعش كبرًا وبين تشبيهه هو تلك العذاب الخفاقة بأصابع ثكالى مبسوطة ترتفع من جزع المصيبة . وابن رشيق محق في رده ، وتحامل خصمه عليه واضح .

ومع أبيات المقطع السابع تتجلى لنا شاعرية النّهشلي على غير طابع الفخامة اللفظية وقوة الجرس والاحتفال بالصياغة البديعية الواضح في أبياته السابقة . فأبياته هذه التي يخاطب فيها حمامة هزته بشجوها فذكرته همومه وهيجت حنينه (1) ، رقيقة سهلة ، وهي تمتاز بحيوية جاءتها من ذلك التساءل والحوار وتلك العفوية الخالصة في التعبير ، يضاف إلى ذلك فصاحة ألفاظها وما يحدثه تناسقها من موسيقى داخلية هادئة وشجية ، ثمّ تمكن القافية من موضعها وانتهاء معنى البيت عندها بصورة طبيعية ، ثم ذلك الترديد المخصوص لبعض الألفاظ كقوله « أواجدة وجدي » و « تميل بها ميل » وفي قوله « نشاوى ومالت بخمر رقابها » « بواك وما فاضت بدمع عيونها » توازن لفظي دقيق في إيقاع هذا البيت ويملأ إحساسنا باعتدال الوزن بين الشطرين ، بل بين كل لفظة وأخرى تقابلها في الشطر الثاني .

لقد تخفف النّهشلي هنا بصورة واضحة من الجري وراء التشبيهات ، فلم يأت بهذه القطعة غير تشبيه واحد يكاد لايُحسّ به ، لأنّه جاء مطبوعًا لا كغيره من التشبيهات المصطنعة التي مرت في الأبيات المتقدمة .

وسبب اختيار الأبيات الأربعة في المقطع التاسع يرجع أساسا إلى فضيلة مرغوبة طالما اعتنى النقاد بتعقبها في شعر الشعراء ، وهي حسن التخلص أو الانتقال من غرض إلى غرض في القصيدة الواحدة . ولمّا كانت القصيدة التقليدية تتسع عادة لأغراض شعرية مختلفة منها تلك البداية الغزلية المعهودة ،

(1) ومثل هذه الابيات فى الشعر العربى كثير انظر مقطوعاته من ذلك فى محاضرة الابرار أنشدهما ابن العربى لنفسه 1/184 ـ 185 وقطعة أخرى لغيره فى نوح الحمام 2/123 .

ثم فخر الشاعر بنفسه ووصف راحلته والتنويه بالمشاق التي يكابدها للبلوغ إلى ممدوحه وما إلى ذلك ممّا كانت تحفل به القصائد القديمة ، لمّا كانت القصيدة وعاء لفقرات شعرية متنوعة استحسن النقاد أن يجعل الشاعر مناسبة لطيفة يخرج بها من غرض إلى غرض ، وبحيث لا يحدث ذلك الانقطاع المفاجيء الذي لا يرتاح له القاريء أو السامع ، وعزف الشعراء المولودون عن طريقة الصرف واللفت ــ كما يمكن أن نسميها ــ (1) التي اتبعها شعراء الجاهلية عامة وهي قولهم : « دع ذا » ، و« خذ ذا » ، وذهبوا يخترعون مناسبة لفظية أو معنوية يجعلونها خاتمة للغرض السابق وبداية حسنة ومناسبة للغرض اللاحق .

واهتمام النقاد بالتخلص جعلهم يعقدون له بابا في كتبهم ينبهون فيه على ما يستحسن منه وما يستقبح أو لا يستلطف (2) . وابن رشيق الذي قال في أول أبيات النّهشلي إنه « أغرب في الانتقال إلى المدح » هو الذي لاحظ أن البحتري لا يحسن الخروج من موضوع إلى موضوع في الشعر وأنه يجنح دائما إلى ما يسميه الطّفْر والانقطاع (3) .

والذي يلفت انتباهنا في هذه الأبيات ، عدا حسن التخلص الذي لاحظه ابن رشيق ، وصف الشاعر لحالته النفسية يوم وداع محبوبته ، فقد زعم أنّه لولا دموعه التي ذرفها في ذلك اليوم لأضرمت نار الشوق التي صدره موكِبُهَا المُتحمّل . هذا التصوير الشعري المبالغ فيه كان يعجب القدماء ويطربون له ، وهو وإن كان لا يروقنا نحن اليوم لما يحمله من انفعال أسطوري إلا أنّه لا يخلو في نظرنا من طرافة وروعة .

والمقطع العاشر في طيف الخيال وهي أبيات ممّا اختاره الحصري في هذا المعنى . وقد أولع الشعراء قديما بالنظم في هذا الغرض حتى قلّ من

(1) ويسميها بعض النقاد الاقتضاب . انظر خزانة الحموى : 186 .
(2) العسكرى ، الصناعتين : الفصل الثالث فى الخروج من النسيب الى المدح ، وغيره ص 436 : 1/158 ، 1/336 ، خزانة الحموى : 186.
(3) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : 128 .

لا تجد له قطعة في ذلك ، « وكان البحتري أكثر النّاس إبداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له خيال البحتري »(1) . ولبشار وذوي الرمة ومعظم شعراء الغزل شعر مختار في وصف الخيال (2). وللإيادي القيرواني أبيات يقول فيها :

طيف يزورك من حبيب هاجر
أهلاً به وبطيفه من زائرِ

شقّ الدجى وسرى فأمعن في السرى
حتى ألمّ فبات بين محاجري

يحدو له هيف القوام المنثني
نحوي وسالفة الغزال النافرِ

وأراد النّهشلي أن يقول أن الطيف يزوره في ظلام اللّيل فلم يكتف بذلك حتى أراد تصوير ظلمة اللّيل أي تشبيهها بما يقابلها ، وقد جرى الشعراء قبله على تشبيه اللّيل بالمداد وبالكحل والفحم ونحو ذلك (3) ، ولكن النّهشلي لم يجد غير أن يشبّه سواد اللّيل بثياب الحزن ، وزعم أن الليل كان يرتدي تلك الثياب . إن الذوق لا يستطيع ان يخفي شيئاً من الاشمئزاز لهذا التشبيه ، فكيف يتناسب الحزن مع موقف الابتهاج الذي يفقه الشاعر من زيارة خيال صاحبته . ألم يجد الشاعر بدّاً عن هذا التشبيه القلق . لكن النّهشلي كان – كما يبدو – يجري وراء التشبيه لذات التشبيه وإذا أدرك تشابها ما بين شيئين لم يتردد في صوغه في أي غرض من أغراض شعره . وقد أخذ ابن رشيق على النّهشلي مثل هذا (4) . والبيت الأخير في هذا المقطع يوحي بمنظر لطيف حين نتصور تلألؤ عقد الياقوت في جيد صاحبته في ذلك الجو المظلم ، وقد ربط الشاعر ربطاً موفقاً بين توقد الياقوت على صدرها

(1) الحصرى ، زهر الاداب : 701 .
(2) راجع قطعة للبحترى فى ذلك بديوانه : 56/1 وانظر مختارات من ذلك لعدد من الشعراء فى كتاب التشبيهات لابن ابى عون .
(3) راجع أمثلة على ذلك فى معانى العسكرى : 343/2 .
(4) راجع ذلك فيما يلى .

وتوقد نيران الشوق اليها في صدره ، فزعم أن ذلك من هذا . والواقع أن أي شيء مهما يكن برّاقًا لايبدو في الظلام له وجود إلا أن يقابله نور أو نحو ذلك فيعكس عليه أشعته فيضيء . فإذا كان النّهشلي يعرف هذا الأمر — ولا إخاله يجهله — وبنى عليه تشبيهه فإنه يكون قد أصاب المعنى والتشبيه معًا .

هذا المقطع والمقطع الذي يليه يظهر أنهما مطلعا قصيدتين ، لأن البيت الأول في كل منهما مصرّع ، وقد يكون هذان المقطعان مقدمتين لقصيدتين في المدح . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن النّهشلي محافظ على عمود الشعر ، ولذلك فهو يبدأ قصائده بدايات غزْلية ثمّ ينتقل منها إلى غرضه الأساسي .

ونجاوز المقطع الثاني عشر إلى الذي يليه وهو بيت استشهد به ابن رشيق في باب المقابلة (1) . قال : « وممّا سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلا وتشبيها قوله يمدح نِزار بن معدّ صاحب مصر :

إلى ملك بين الملوك وبينه مسافة ما بين الكواكب والترب

لأنه لمّا أتى بالملوك أولا وبضمير الممدوح وهو الهاء التي في بينه بعد ذلك ثمّ أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد يقابل الضمير باتحاده أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب وتكون الملوك هم الكواكب ، ولم يرد الا أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب » .

والحق أن هذا البيت لايدخل في المقابلة — كما لاحظ ذلك ابن رشيق — فهو ليس نظير قول امرىء القيس :

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالي

(1) المقابلة هي ترتيب الكلام على ما يجب ، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به آخرا ، ويأتى فى الموافق بما يوافقه وفى المخالف بما يخالفه » عن العمدة .

الذي يستشهد به كمثال عال لحسن المقابلة ، وحيث قابل الرطب أولا بالعناب مقدما وقابل اليابس بالحشف تالياً(1) . بل إن النّهشلي لم يبن بيته على قصد المقابلة وذلك بتشبيه كل من المتقابلين بما يماثله ، ولم تكن لتخفى عليه الإحالة التي وقع فيها لو كان قصد إلى ذلك ، وإنما هو أراد أساساً أن يباعد ما بين رتبة ممدوحه ورتبة من دونه من الملوك ، فشبه هذا التباعد بالمسافة التي بين السماء والأرض . وحتى لو نظرنا للبيت نظرة مقابلة ، أي مقابلة تشبيه الشيئين الأوّلين بالشيئين الثانيين لوجدنا المقابلة صحيحة ، وذلك بتعديل ترتيب ألفاظ البيت على النحو التالي : « إلى ملك بينه وبين الملوك مسافة ما بين الكواكب والترب » ، وهذا في الواقع هو الترتيب الأصلي للكلام قبل أن يضطر الشاعر للتقديم والتأخير ، وبهذا الترتيب يكون الملك يقابل الكواكب والملوك تقابل الترب ، ولا أهمية للتوافق في الجمع والإفراد بين المتقابلين ، إذ المقصود هنا تشبيه منزلة شيء بمثلها ، فمنزلة الكواكب تشبهها منزلة الملك ومنزلة الملوك تشبهها منزلة التراب . وبهذا نمّوت على ابن رشيق ما أخذه من سقوط المقابلة في بيت عبد الكريم . لكن هذا لا يمنع أن يوحي البيت بشيء من سوء المقابلة في ألفاظه لمن أراد أن ينظر اليه من خلال منظار ابن رشيق . بيد أن ابن رشيق نفسه لا ينظر هذه النظرة عينها إلى قول ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلا　　عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا استقلت　　وسهيل اذا استقل يمان

وهذان البيتان ممّا اختاره عبد الكريم وقدمّه في التمثيل ، يقول ابن رشيق في شرحهما : « يعني ثريا بنت علي بن عبد الله (...) وكانت نهاية في الحسن والكمال وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامة ، فمثّل بينهما وبين سمييهما ، ولم يرد إلا بعد ما بينهما وتفاوته

(1) المصدر السابق .

خاصة ، لا أن سهيلاً اليماني قبيح ولا دميم . ولا أدري هل هذا الراي موافق لراي عبد الكريم أم لا ، وحسبك أن الشاعر لم ينكر الا التقاءهما » . فلماذا فقد ابن رشيق هذه النظرة التحليلية الصائبة بإزاء بيت النّهشلي المتقدم ؟

ثم هناك ذلك البيت اليتيم الذي ذكره ابن رشيق في قراضة الذهب في معرض بيان مآخذ الشعراء بعضهم من بعض . وقد بين ابن رشيق أن من أنواع الأخذ نقل المعنى والصفة المشتهرين ، وهو نوع لا يعد من السرق في الشعر إذا كان هناك شيء من الاختلاف ، كأن يكون النقل لبعض المعنى ولبعض ألفاظه ، ثم قال : « ودون هذا النوع في الكثرة والوجود نقل المعنى وبعض ألفاظه كقول صريع :

يكسو السيوف دماء النّاكثين به
ويجعل الهام تيجان القنا الذّبّل

أخذه ابن المعتز فقال :

ويجعل هامات أعدائه قلانيس يلبسهنّ الرّماحا

فجعل « قلانس » مكان « التيجان » « ويلبس » مكان « يكسو » .وقصّر عن صريع ، لأنّه أسقط المعنى بتركه ذكر السيوف والدماء . والذي ابتكر المعنى جرير بقوله :

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا
غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وأتى عبد الكريم فقال :

يتوّج أرماحه بالرؤوس ويخضّب أسيافه بالدّم

فبدّل « الكسوة بالخضاب » وتناول البيت بأسره ، إلا أنّه قد أجاد لفظا وموازنة . وقد قال المتنبي :

مُبَرْقعي خيلهم بالبيض متخـــذي
هـام الكمـاة على أرماحهم عَذَبا

فأساء في تشبيهه « الهام » بالعذب مع علمه بمعنى قول أبي تمام :

من كـل ذي لمـّــة غطـّت ظفـائـرهـا
صدر القناة فقد كـادت تـرى علمـا (1)

صدق الجاحظ حين قال : « نظرنا في الشعر القديم والشعر الحديث ، فوجدنا المعاني تقلب ويؤخـذ بعضها من بعض» (2) وهـذه السلسلة من الأبيات المتشابهة تدل بوضوح على جمود الشعر العربي عامة في نطاق تشبيهات معينة، جعل الشعراء منتهى همهم تحويرها لونا من التحوير طالما لم يستطيعوا أن يخترعوا غيرها أو ينصرفوا إلى ابتداع موضوعات شعرية جديدة . ولـم يجد النقاد القدامى بدّا أمام هذه الظاهرة من تقرير عدم استغناء الشاعر عـن تداول المعاني والتشبيهات الشائعـة ولم يعدّوا ذلك أبدًا سرقة .

أما الأبيات التي أنشدها النهشلي لنفسه في كتابه الممتع وأشار إلى أنّها من قصيدة ذكر فيهـا الهيبة ، فهي أطول ما بقي من مقاطع شعرية له . وهو لم يرد أن يذكر البيت أو البيتين اللذين ورد فيهما معنى الهيبة ، وإنما رأى بالمناسبة إيراد قدر لا بأس به من القصيدة ، ولذلك عبر بقـوله عند تقديـم الأبيات : « ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيهـا الهيبة » . والقصيدة ، كمـا يبدو من الأبيـات التي ذكرها ، أنشدها في مدح المنصور بن يوسف بـن زيري الصنهاجي . وقد رأينا فيما مضى من أبيات الشاعر مدحًا لهذا الأمير الذي عاش النهشلي فترة نضوجه الشعري في عهده .

ومعاني المدح وصوره وتشبيهاته التي نراها في هذه الأبيات نجدها شائعة بكثرة في الشعر العربي وخاصة عند المتنبي وابن هانىء الأندلسي . ومن

(1) ابن رشيق ، قراضة الذهب : 35 .
(2) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى: 214، معاهد التنصيص: 122/2 .

خلال هذا المقطع ومقاطع الوصف المتقدمة نستطيع أن نلمح معظم خصائص النّهشلي الشعرية ، فهو شاعر يملك زمام اللغة ، وبراعته واضحة في التصرف بالألفاظ كيفما شاء ؛ وهو شاعر مجوّد ينتخب منها ما يناسب غرضه ويحقق براعته ؛ وهو يحفل بالتشبيه والبديع حتى لا يكاد يدع بيتا دون أن يطرزه بألوانهما . ومن يقرأ أبياته في المدح أو الوصف ويقرأ أبياته الماضية في الغزل يشعر شعورا واضحا باختلاف نفس الشاعر في كليهما ، فهو في غزله رقيق سلس الألفاظ قريب المعاني متخفف من الصنعة البديعية بينما هو في مديحه – وكذلك الوصف – قوي اللّفظ فخم العبارة مُغْرًى بالاستعارات والتشبيهات واستخدام ألوان البديع ؛ وهو يحافظ في كل ذلك على أن يخرج شعره مخرج الطبع مع جودة الصناعة .

ومن ينظر إلى الأبيات السابقة في المدح لا يكاد يجد بيتًا يخلو من حروف الإطباق كالطاء والظاء والصاد والضاد وهي حروف قوية في السمع ومجهورة في الصوت مثلها تقريبًا مثل حروف الحلق كالخاء والهمزة وحروف أقصى اللسان كالقاف . وجميع هذه الحروف وافرة جدا في هذا المقطع وهي السبب في كون الأبيات تمتاز بتلك القوة والفخامة اللتين وصفناها بهما . ومعظم شعر المدح عند المتنبي وابن هانيء على هذا النحو . ولا شك أن النّهشلي يحاول عن وعي أو عن غير وعي أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعاني الفخمة القوية غيرها حين يطرق المعاني الرقيقة الهادئة ؛ يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « وربما كانت الأحرف الآتية أنسب الحروف للمعاني العنيفة : الخاء والقاف والجيم والطاء والظاء والصاد ، فإذا كثرت في ألفاظ الشعر ، ولم تكن كثرتها ممّا يستقبح أو ممّا تنطبق عليه ضوابط تنافر الحروف مجتمعة ، أحسسنا في موسيقى هذا الشعر بقوة وعنف لا نحس بها مع غيرها من الحروف » (1) .

(1) أنيس ، موسيقى الشعر : 43 .

وأبيات النّهشلي هذه أغلب حروفها من جنس تلك الحروف القوية المشار اليها ، ومثلها هذه الأبيات للبارودي التي يُستشهد بها على عُنف الأبيات الذي يوحي به عنف الألفاظ :

وبحـــر من الهيجاء خضت عُبابه
ولا عاصم إلا الصفيحُ المشّطبُ

تظلّ به حمر المنايا وسودها
حواسر في ألوانها تتقلّبُ

توسطته والخيل بالخيل تلتقي
وبيض الظبى في الهام تبدو وتغربُ

فإذا عدنا لمقطع الغزل الذي يذكر فيه النّهشلي ما أثاره شجو الحمام في نفسه وقارناه بالأبيات السابقة في المدح أو قارنا الأبيات السابقة للبارودي بالأبيات التالية له في الغزل وسجع الحمام أيضا :

ألا يا حمام الأيْك إلفك حاضر
وغصنك ميّاد ففيم تنوحُ

غدوت سليما في نعيم وغبطة
ولكن قلبي بالغرام جريحُ

فإن كنتَ لي عونا على الشوق فاستعر
لعينك دمعا فالبكاء مريحُ

وإلا فدعني من هديلك وانصرف
فليس سواء باذلٌ وشحيحُ

إذا قارنا الأبيات الرقيقة لكل من الشاعرين بأبياته العنيفة — بتعبير الدكتور أنيس — أدركنا مدى قدرة الشاعر على التصرف في الألفاظ

لتكون مناسبة لأغراضه الشعرية . وقلّ من ينجح من الشعراء في الموافقة دائما بين ألفاظه ومعانيه (1) .

وآخر ما أوردناه من المختار من شعر النّهشلي ذلك المقطع في الرثاء ، ويظهر أنّه مرثية نظمها الشاعر بمناسبة وفاة صديقه أو رئيسه (2) عيسى بن خلف (3) صاحب خراج المغرب ، وكان قد مات بسبب دواء تناوله ، ولذلك فقد كان موته مفارقة غريبة فوق كونها مفاجأة أليمة ، وأثارت في نفسه ذلك المعنى الشائع عن عناد الموت ، فصور الموت في صورة صاحب الحاجة المتحايل في قضاء أربه ، وصوّر الميت في صورة الضنين بحياته ، فهو لا ينفك يصارع الأمراض بالأدوية ، ويتخذ الوقاية والحذر وكل ما يجنبه غائلة الموت ، لكن الموت يأتيه من حيث لا يحتسب فيندسّ اليه في جرعة الدواء ، ومن ثمّ يستخلص الشاعر العبرة – كما هي عادة الشعراء في الرثاء – فيؤكد أنّ سهام الموت لا تطيش ، ولا تردّ أولا تقف هيبةُ الشخص في النفوس حائلاً دونها ودونه .

وهذه الأبيات شاهد آخر على رقة شعر النّهشلي حين يأخذ في المعاني الرقيقة كالغزل والرثاء . ومقابلتها بشعره الذي يبلغ أوج قوته اللفظية والبيانية في المدح والوصف تقفنا على مقدرته الشعرية الرائعة التي تستطيع أن تناسب بين كل مقام ومقال . وقد شهد للنّهشلي بعض معاصريه برقة الشعر ، فذكر أنّه أنشده أبياتًا تدخل مسام القلوب رقة (4) . وقلما يتوفر للشعراء التجويد في المدح ونحوه من أغراض الشعر القوية وفي الرثاء والغزل التي تتطلب عاطفة رقيقة وإحساسا مرهفا . ولذلك كان المتنبي ضعيفا في الرثاء والغزل وكذلك كان الفرزدق بالمقارنة إلى جرير .

* * *

(1) أنيس ، موسيقى الشعر : 43 ـ 44 .
(2) رجحنا فيما سبق ان يكون النهشلى تولى وظيفة فى ديوان الخراج .
(3) لم نجد ترجمة له ولا ذكرا فى المعروف من مصادر تاريخ افريقية والمغرب .
(4) ابن رشيق ، العمدة : 138/1 = 207/1 .

من النماذج الشعرية القليلة التي رأيناها للنّهشلي نستطيع أن نقف على ملامح عامة من شاعريته ومذهبه الفني وخصائصه الشعرية . فهو :

أولا : شاعر مُـرَوِّ، تقصُر بديهته عن الارتجال، ومن هنا جاءته فضيلة طـول النّفس إذا روّى ، وفضيلة إتقانه البالـغ في صناعته ، وحاز بذلك رتبة التقدم والحذق على شعراء عصره . قال ابن رشيق : « وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ، ولم أر متقدمًا حاذقًا صنع شيئًا منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلـة قوافيـه وضيـق عـطَنـه » (1) .

ثانيا : وهو ملتزم بعمود الشعر العربـي في بناء القصيدة ومضمـونها . ويبدو مقلّدًا متفـوّقًا لشعر الشعراء الفحول ، حتى ليقف ببعض شعره في صفهم . قال العمري يصف شاعرية النّهشلي : « سابق مبرز وناطق للبلاغة محرز ، لو تقدم زمان الجاهلية لبذّ ناسه ، وغض من كل فحل فلـم يرفـع رأسـه ، وفخر حتى على ابـن عمّه النهشلي شاعر الحماسـة (2) وسلبـه لبـابه وألهاه ، أن يقــول :

* نـأْسُو بِـأَمْوَالنَا آثَارَ أيْدِينَــــا

وأسلاه محبوبته فلم يقل :

* إنّـا مُحَيّـــوك يا سلمى فحيّينَـا

لمذاهب تهيّبهـا القدماء وجازها ، ومحـاسن تفرقتها النّظراء وحازها » (3)

(1) ابن رشيق ، العمدة : 212/1 نقلا عن بدوى ، أسس النقد : 357 . والطعن : مناخ الابل حول الماء وهنا كناية عن ضيق تصرفه .

(2) يريد العمرى بابن عم النهشلى القيروانى بشامة بن حزن النهشلى . قال عنه البغدادى : ليس له ذكر فى ترجمة الانساب والظاهر أنـه اسلامي ، الخزانة : 515/3 ، وأورد الجاحظ شيئا من قصيدتـه النونية فى البيان : 53/1 ، وسماه ابن قتيبة « نهشل بن حرى » الشعر والشعراء : 620 . وقصيدته النونية فى الحماسة انظر شرح المرزوقى : 100 ، وفى الكامل شىء منها : 111/1 وانظر ترجمته فى المؤتلف والمختلف : 87 .

(3) العمرى ، مسالك : ج 11 ق 2 ص 292 .

ثالثا : عالي الطبقة في اللغة ، فهو يتخيّر ألفاظه من قاموس كبار الشعراء دون أن يغرب أو يخرج عن حدود الفصاحة وحفظه الواسع من الشعر الذي يمتاز « بقوة الكلام » ينعكس على شعره بصورة واضحة .

رابعا : عنايته باستحضار الوصف والتشبيه أظهر من عنايته بحشد المعاني ، وهو لا يطرق منها الا القليل السّاذج ، فهو ليس كزميله يعلى بن إبراهيم الأربسي الذي لاحظ ابن رشيق عليه « أنّه يذهب إلى الفلسفة في شعره ويغرب في عبارته وربما تكلّف قليلا » (1). وكان الأربسي يغضّ من قدر عبد الكريم لقصوره عنه في هذا المضمار ، فزعم مرة أنّه مؤلف كلام غير مخترع (2) ، لكن الجرجاني كان يقول : « ... وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر . فيشترك الجماعة في الشيء المتداول ، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه ، أوزيادة اهتدى اليها دون غيره ، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع » (3) ويصدق هذا القول على النّهشلي ، فرغم أن شعره لا تقوم طرافته على عمليات عقلية دقيقة ومفاهيم فلسفية تشيع فيه مثلما الحال في شعر أبي تمام وأضرابه، إلا أن الطرافة تأتيه من حيث براعته في استخدام الألفاظ وانتخابها لأغراضه؛ فهو يستعمل الألفاظ ذات الجرس القوي في الوصف والمدح وما اليه، بينما يرقق لفظه ويسلسه في الغزل والرثاء ؛ وكذلك تكمن براعته في تلك التحلية البديعية غير المتكلفة التي تظهر فيها تشابيهه ووصفه .

خامسا : نظم النّهشلي في جميع أغراض الشعر العربي التقليدية سوى الهجاء ، فإنه كان يجتنبه لأنه يعتبره شر الشعر (4) . ويبدو أن الغرض الذي ضرب فيه بحظ وافر هو الوصف .

---

(1) العمرى ، المسالك : ج 11 ق 2 ص 294 .
(2) المصدر السابق ص 297 .
(3) الجرجاني ، الوساطة : 186 .
(4) راجع ما سياتى عن نظرته الاخلاقية الى الشعر .

سادسا : لا يخلو شعره من ضرورات شعرية وهو أمر لم يخل منه شعر الفحول بله غيرهم ، ولم يكن يتوقّى منه من الاسلاميين أو العباسيين غير البحتري. بيد أن الضرورات ليست سواء في نظر النقاد فمنها ما قد يستحسن في مواضعه ، على أن النّهشلي لاحظ أن الشاعر أعذر من الناثر في ارتكاب الضرورة . وعدّ بعضهم الرخص الشعرية من فضائل الشعر.

سابعا : براعته في حسن التخلّص وحسن المطالع .

ويمكن القول اختصارا في شاعرية عبد الكريم النّهشلي ، بأنها كانت شاعرية قوية في نسيج ألفاظها وإحكام مبانيها وإيقاع أوزانها ، وإنها على تفوّقها تقليدية للشعر القديم في مضمونها وأغراضها ومعانيها ، وتشبيهاتها بصورة عامة . وكان هذا المذهب الفنّي في الشعر ، الذي سار عليه النهشلي – عزيزا بين مذاهب الشعر في القرن الرابع ، وكان يتمتع بحظ وافر من إعجاب النّقاد والأدباء – الذين كان لا يزال رائدهم في الذوق والحكم شعر الفحول من الجاهليين والإسلاميين .



نقول من ادب النهشلــي

تدلنا عبارة فريدة، ساقها ابن رشيق عرضا في كتابه العمدة، على أن عبد الكريم النّهشلي كان مؤلف كتب، ولم يكن شاعرا فحسب كما هو المعروف غالبا عن كثير من الشعراء في زمنه وفي غير زمنه. قال صاحب العمدة : « وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه » (1) . ولأمرما لا نجد في مصادر ترجمته ذكرا لأحد من مؤلفاته سوى إشارة ابن رشيق المتكررة لكتابه المشهور الذي هو « الممتع في علم الشعر وعمله » كما يفيدنا بعنوانه كاملا ابن منظور في نثار الازهار (2) مع أن عددا من معاصريه المسامين له في رتبة الشعر والكتابة والتأليف، كأبي إسحاق الحصري والقزاز والرقيق وغيرهم، نجد في تراجمهم تعديدا لأسماء كتبهم وأحيانا عرضا لموضوعات بعضها .

ولم ينقل عن عبد الكريم من كتبه ويورد من كلامه وأخباره ويناقش آراءه من أدباء القيروان غير ابن رشيق فيما رأينا ، أما ابن شرف فلم يذكره فيما وصلنا من مؤلفاته . وأما الحصري فقد أنشد له بعض مقاطع شعرية فقط . أما تلك الأخبار الكثيرة التي نجدها هنا في الممتع وهناك في زهر الآداب وجمع الجواهر، فلا يصرح الحصري أبدا بأنه نقلها أو استقاها من عبد الكريم من أحد كتبه كما فعل ابن رشيق .

وعناية ابن رشيق بالنّهشلي غريبة في بابها ، وربما يعزى ذلك إلى إعجاب خاص يكنه ابن رشيق لعبد الكريم ، وقد يكون من أهم مصادر

(1) العمدة : 82/1 = 127/1 .

(2) ابن منظور ، نثار الازهار . وينبغي الاشارة الى أن نثار الازهار هو جزء مختصر من كتاب فصل الخطاب للتيفاشي القفصي.

إعجابه به شعور البلد الواحد الذي ولدا فيه، وهو المحمدية . وقد بحثت عن رجال المحمدية في الأدب، فلم أجد أشهر من النّهشلي استقبلته القيروان قبل وفادة ابن رشيق اليها، في أوائل القرن الخامس . فكان من الطبيعي أن يكون النّهشلي مصدر فخر كبير لدى ابن رشيق . وقد رأيناه يدافع عنه بحماس حين غض منه أمامه يعلى بن إبراهيم الأربسي (1) . وهو كذلك يكثر من ذكره في كتابه العمدة كثرة ملفتة للانتباه بالقياس إلى القيروانيين الذين عرض لهم في كتابه مثل أبي عبد الله محمّد بن جعفر القزاز وأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم السمين ، والقاضي أبي الفضل جعفر بن أحمد النحوي ، بل إن ذكر النّهشلي في العمدة يتعدد أكثر من أي مصدر من مصادر ابن رشيق المشرقية .

وابن رشيق لا يميز في نقوله عن عبد الكريم بين أن يكون اقتبسها من هذا الكتاب أو ذاك للنّهشلي (2) ، إلا أنّه لا شك في أنه لم يتلق عنه شفاها (3) ، لكن يبدو أنّه أورد كل ما أورده في كتابه الممتع ، وهو ذلك الكتاب الذي لم يسمه مطلقا في العمدة، وإنما يصفه بالكتاب المشهور ومع ذلك فقد أورد ابن رشيق جملة من الأخبار عن عبد الكريم حدثه بها بعض أصحابه .

وسأورد فيما يلي جميع ما استخرجته من كتاب العمدة ممّا نقله ابن رشيق عن عبد الكريم من الأخبار الأدبية والآراء النقدية ، وأشير إلى ما هو موجود منها في النسخة التي بين أيدينا من كتاب الممتع (4) وما قد يكون في الممتع في أصله ، أي كما كان بيد ابن رشيق . والغرض من ذلك أن نزداد معرفة بأدب النّهشلي ونقف على صورة مقاربة من كتابه الممتع

---

(1) انظر القصة فيما سبق .

(2) انظر على التوالى فى العمدة : 143/1 ، 163 ، 189 و 74/2 .

(3) سنبين فيما يلى كيف أن ابن رشيق لم يجتمع بالنهشلى ونصحح الخطأ الشائع فى أنه تتلمذ عليه .

(4) هى نسخة دار الكتب رقم 54 ش أدب . وهى التى سيأتى تحقيقها فى آخر الكتاب بل قد نشرت فى كتاب مستقل صدر قبل هذه الدراسة .

في الأصل ، ونقدر ما تلف منه بأي طريقة أو أخرى ونـكوّن فكرة عامة عن أبوابه ومحتوياته .

1 — * قال ابن رشيق في باب فضل الشعر، وقد عرض لبردة الرسول — صلى الله عليه وسلم — التي قيل إنـه وهبها لـكـعب بن زهيـر(1) : « ... وذكر جماعة منهم عبد الـكريم بن ابراهيـم النّهشلي الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الإبل ، قال : وقال الأحوص يذكر عمر بن عبد العزيز عطية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كعبا ، وقد توقف في عطاء الشعراء :

وقبلك مـا أعطى هنيـدة جلّـة
على الشعـر كعبا من سديس وبـازل(2)

رسـول الإلـه المسـتـضـاء بـنـوره
عليـه السلام للضحـى والأصائل

... » (3) .

ولا يوجد شيء من هذا النص في نسختنا من الممتع . وواضح أن النّهشلي ، ومن ذهب معه إلى ذلك ، قد استند فيما ذكره إلى ما جاء في شعر الأحوص المتقدم ولم يستندوا قطعا إلى حديث مأثور أو خبر متواتر . وذلك أنّه ليس في سيرة الرسول ولا أخبار كعب بن زهير ذكر يفيـد أنه أعطـاه مع البردة إبلا . هذا مع ملاحظة أن حديث البردة لا يوجد إطلاقا في مصادر السيرة القديمـة ولا المصادر الأولية للأدب .

---

* هذه العلامة رمز الى ان هذا الخبر وارد فى الممتع .

(1) راجع مقالا عن البردة فى دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الحديثة بالانقليزية .

(2) الهنيدة : اسم لكل مائة ، قال جرير :
أعطوا هنيدة تحدوها ثمانية   ما فى عطائهم من ولا سرف
وقيل هى هنا بمعنى مائة من الابل ، والسديس : البعـير اذا اتت عليه السنة السادسة وذكـر الجوهرى أنه يقـال ازار سـديس . والبازل : البعير الذى بلغ السنة التاسعة .

(3) العمدة : 7/1 = 24/1 .

2 — * وقال ابن رشيق في باب شفاعات الشعراء وتحريضهم ، وقد ذكر خبر قتيلة بنت النضر بن الحارث مع الرسول ، وكان قد قتل أباها ، قال : « قال عبد الكريم : عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي — صلى الله عليه وسلم — وهو يطوف ، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وقد كان قتل أباها ، فأنشدته : يا راكبا إن الأثيل مظنّة ... (9 أبيات) فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : لوكنت سمعت شعرها هذا ما قتلته ! » (1) .

هذا الخبر موجود بحذافيره في الممتع ، وهو مع ذلك خبر وارد في مصادر تاريخية وأدبية عديدة أشرنا اليها في موضع تحقيقه من الكتاب . وأكثر أبياته تروى بروايات مختلفة إلا أن رواية الأبيات في العمدة مطابقة لما في الممتع سوى بعض الألفاظ في الممتع أبدلها بغيرها الناسخ كما يتّضح ذلك من الخط (2) .

3 — * وقال ابن رشيق ، وقد عرض للقب أبي الطيب المتنبي : « زعم أبو محمّد عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي أن أبا الطيب إنما سمي متنبئا لفطنته » (3) . ثمّ أضاف « وقال غيره : بل قال : أنا أول من تنبأ بالشعر وادّعى النبوة في بني الفصيص » . وزعْم النّهشلي حول لقب المتنبي نجده بنصه في الممتع (4) . وقد ساقه النّهشلي عرضا دون أن يشير إلى أقوال غيره بشأنه .

4 — * وقال ابن رشيق في باب التكسّب بالشعر والأنفة منه : « ... وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممّن دون الملوك عارا فضلا عن العامة وأطراف النّاس . قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ، ويفتخر عليه

---

(1) العمدة : 1/30 — 31 = 1/56 — 57 .
(2) الممتع : 15 ب .
(3) العمدة : 1/45 = 1/75 .
(4) الممتع : 103 ب .

بأنه لا يقبل إلاّ صلة الملك الأعظم وحده . هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضا :

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسّمة من هؤلاء وأولئكا
وما نلتَ حتى سبتَ إلاّ عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره :

وما كان مالي من تُراث ورثته ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة إلى كل محجوب السرادق خضرم

... » (1) .

أما بيتا ذي الرّمة الأوّلان فلا نجدهما في نسختنا من الممتع ، لكن البيتين التاليين منهما موجودان فيها وأنشدهما النّهشلي لذي الرّمة وقال قبلهما : « على أن العرب تذم كسب المال في مهور النساء وتراث الموتى وديات القتلى ويحبون المال إذا كان حباء ملك أو غنيمة قوتل عليها حتى أخذت ؛ قال الشاعر :

وما كان مالي من تراث ورثته ولا صدقات من نساء ولا إثم

وقال ذو الرمة ... « وأنشد البيتين(2) ولا شك أن ابن رشيق قرأ ذلك الفصل في العقد الذي وردت فيه الأبيات السابقة لذي الرمة والذي عنوانه : « الأخذ عن الأمراء » (3) وقرأ كذلك ما ذكره النّهشلي من أن العرب يحبون المال إذا كان حباء ملك ... الخ . لكن الغريب أنه ليس في كلام النهشلي ولا ابن عبد ربه ما يشير إلى تخصيصهم الكلام في هذا الموضوع على الشعراء وانما هم استشهدوا – كما هو واضح– بالشعر لتقرير هذه

(1) العمدة : 1/52 = 1/84 _ 85 .
(2) المتمع : 122 أ .
(3) العقد : 1/274 وما بعدها .

العادة عند العرب . إذن فقد نقل ابن رشيق الأمر إلى الشعراء وخصهم بذلك كما رأيت في قوله السابق ، وتدل عبارته « ... فضلا عن العامة وأطراف الناس » على إجحاف وتعميم غير سليم .

وفي هذا الباب الذي عقده ابن رشيق في التكسب بالشعر فقرات عديدة نجدها في كتاب الممتع غير منسوبة لعبد الكريم ، وهي متداولة غالبا في عدد من المصادر القديمة . وللنهشلي باب في كتابه عنوانه الأنفة من التكسب بالشعر (1) .

5 — * وقال ابن رشيق في خاتمة باب القدماء والمحدثين وذكر فيه أقوالا مختلفة لعدد من النقاد « . . ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال : قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره . ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة، وربمّا استعملت في بلد ألفاظ لاتستعمل كثيرا في غيره ، كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ، ونوادر حكاياتهم . قال : والذي أختاره أنا التجويد (2) والتحسين الذي يختاره علماء النّاس بالشعر ، ويبقى غابره على الدهر ، ويبعد عن الوحشي المستكره ، ويرتفع عن المولّد المنتحل ، ويتضمن المثل السائر ، والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة » (3) . ثمّ عقب ابن رشيق على ذلك بقوله : « وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته هاهنا داخلا في جملة المميزين — إن شاء الله ... » ثمّ شرحه بلفظه . وهذا الفصل الذي يعتز به ابن رشيق سقط من النسخة التي بين أيدينا من الممتع .

---

(1) الممتع : 85 ب .
(2) وفى بعض نسخ العمدة « التجريد » بالراء المهملة .
(3) العمدة : 58/1 = 93/1 .

6 — * وقال ابن رشيق في باب مشاهير الشعراء : « وقال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — للعباس بن عبد المطلب — رحمه الله — ، وقد سأله عن الشعراء : امرؤالقيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان عور أصحّ بصرًا (1) . قال عبد الكريم : « خسف لهم » من الخسيف ، وهي البئر التي حفرت في حجارة ، فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خسف . وقوله « افتقر » أي فتح ، وهو من الفقير وهم فم القناة ، وقوله عن معان عور « يعني أن أمرأ القيس من اليمن ، وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزار ، فجعل لهم [معاني] عورا فتح منها امرؤ القيس أصح بصرا . قال : وامرؤ القيس يماني النسب نزاري الدار والمنشأ ، وفضّله علي — رضي الله عنه — بأن قال : رأيته أحسنهم نادرة ؛ وأسبقهم بادرة ، وأنهلم يقل لرغبة ، ولا لرهبة » (2) .

وليس هناك أدنى شيء من هذا النص في نسختنا من الممتع . غير أن النّهشلي ذكر امرأ القيس على أنه شاعر اليمن (3) ، ويبعد أن يكون ذكر هذا الكلام لعمر بن الخطاب وذلك الشرح عليه في هذا الموضع .

7 — * وقال ابن رشيق في باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء : « وسُحَيْم بن وثيل » (4) يقول للأخْوَص والأبَيْرد بن المعذّر ، وهما شاعران مفلقان ؛ وقال عبد الكريم : الأبيرد بن أخي الأخوص (5) :

---

(1) فى الاصل المطبوع « بصر » .

(2) العمدة : 59/1 = 94/1 .

(3) الممتع : 46 ب .

(4) سحيم بن وثيل الرياحى من بنى يربوع وهو القائل :
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى
وسحيم نافر غالبا جد الفرزدق فى الاسلام. جمهرة ابن حزم: 227.

(5) الاخوص بن عمرو بن عتاب الردف هرمى بن رياح بن يربوع . وسمى عتاب الردف لانه كان يردفه الملوك . جمهرة ابن حزم : 227.

عذرت البُزل إنْ هي خاطرتي فما بالي وبال بني لبون

... » (1) .

ولا نجد في نسخة الممتع ما ذكره عبد الكريم من قرابة بين الأبيرد والأحوص غير أن البيت أورده النّهشلي ضمن قصيدة طويلة لسُحيم بن وَثِيل في« باب احتماء الشعراء بالشعر وذبهم به عن الأعراض»(2) ولم يمهد لها بشيء ممّا ذكره ابن رشيق ، وإنما شرح بعض ألفاظها . ولايعترينا شك في أن مختصر الممتع أسقط هذه الزيادة من أثناء الشرح أو من مقدمة القصيدة . وفي العمدة بعد هذا النص أبيات الطرّماح هجا بها الفرزدق نجدها في الممتع (2) .

8 — * وقال ابن رشيق : « وكان في زماننا من انتحل هذا المذهب [الإعراض عن الهجاء] وهو أبو محمّد عبد الكريم بن إبراهيم ، لم يهج أحدا قط ومن أناشيده في كتابه المشهور لغيره من الشعراء (4) :

ولستُ بهاجٍ في القرى أهل منزلٍ
على زادهم أبكي وأبكي البواكيا

فإمّا كرام مُوسرون أتيتهم
فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا

وإمّا كرام مُعْسرون عَذَرْتهم
وإمّا لئام فادخرت حيائيا

... » (5) .

(1) العمدة : 1/69 = 1/109 . وجدير بالملاحظة أن بعض ناشرى العمدة أخطأ حيث قرأ «الاحوص» بالحاء المهملة ومن ثم نفى ما بين الابيرد والاحوص من القرابة وخطأ عبد الكريم وليس بمخطىء فى الحقيقة.
(2) الممتع : 83 أ وانظر القصيدة فى ص 84 أ .
(3) الممتع : 160 ب .
(4) الابيات لمنظور بن سحيم الفقعسى .
(5) العمدة : 1/72 = 112 .

ولم يأت ذكر هذه الأبيات في الممتع .

9 — * وقال ابن رشيق في باب الشعر والشعراء : « وقال عبد الكريم : الشعر أصناف : فشعر هو خير كله ، وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ؛ وشعر هو ظرف كله ، وذلك كالقول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب ؛ وشعر هو شرّ كله ، وذلك الهجاء وما تسرّع به الشاعر إلى أعراض النّاس ؛ وشعر يتكسب به ، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتي اليه من جهة فهمه » (1) .

وهذا القول لا وجود له في نسختنا في الممتع ، ولم يقسم الشعر هذا التقسيم أحد من النقاد العرب قبل النّهشلي فيما رأيت من كتب الأدب والنقد (2) . وسنتحدث عن رأي عبد الكريم بالمقارنة مع غيره فيما سيأتي من الكلام .

10 — * وقال ابن رشيق في باب حد الشعر وبنيته : « وقال عبد الكريم يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو ، ثمّ يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ، فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر ، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ ، ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والخمور » .

وهذا النصّ أيضا ليس في نسختنا من الممتع .

11 — * وقال ابن رشيق في باب اللّفظ والمعنى: « وقال عبد الكريم — وكان يؤثر اللّفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه — : الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة [من المعاني اللطيفة] عن الكلام الجزل ، وإنما

(1) العمدة : 76/1 = 118 .
(2) راجع باب فنون الشعر فى كتاب أسس النقد الادبى عند العرب : 139 — 140 .

حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه النحاس . ومن كلام عبد الكريم : قال بعض الحذاق : المعنى مثال ، واللفظ حذو ، والحذو يتبع المثال ، فيتغير بتغييره ، ويثبت بثباته . ومنه قول العباس بن حسن العلوي في صفة بليغ : معانيه قوالب لألفاظه . هكذا حكى عبد الكريم ، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ثمّ خالف في موضع آخر فقال : ألفاظه قوالب لمعانيه ، وقوافيه معدة لمبانيه ، والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى ، وهي أعرف » (1) .

ولا وجود كذلك لهذا النص الهام في نسخة الممتع التي بين أيدينا . وسنعرض لهذا القول في علاقة اللفظ بالمعنى في موضوع قادم .

12 — * وقال ابن رشيق في باب القطع والطوال : « ووصف عبد الكريم أبا الطيب ، فزعم أنه أحسن النّاس مقاطيع ، ولو قال — بلا ياء — لقلنا صدقت ولم نخالفه » (2) .

ولا وجود لهذه الملاحظة في نسخة الممتع .

13 — * وقال ابن رشيق في باب الأوزان : « وقال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخزم ، أنّه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة . وأخذ الخزم من خزامة الناقة ، ومن شأنهم مدّ الصوت ، فجعلوه عوضا من الحزم الذي يحذفونه في أول البيت » (3) . وأضاف ابن رشيق مقارنا : « وقد قال غيره : إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنّه في السكتة ، فلذلك جعلوه في الوتد المجموع ، لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقي أوله ساكنا ، ولا يبدأ بالساكن ، فيسقط أيضا ، والسكتة لا تحتمل عندهم إلاّ حرفا واحدا ، وهذا اعتلال مليح بيّن جدا » .

(1) العمدة : 82/1 = 127/1 .
(2) العمدة : 127/1 = 188/1 .
(3) العمدة : 94/1 = 143/1 .

وكـلام عبد الـكريم في هذا ليس منه أدنى شيء في نسختنا من الممتع .

14 — * وقال ابن رشيق في باب البلاغة : « ومن كتاب عبد الكريم قالوا : حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق . قال : ومنهم من يعيب ذلك المعنى ، ويعده إسهابا ، وآخر يعده نفاقا . قال : ومرّ غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة الخ ... إلى قوله تعقيبا على هذه القصة : « فكره النّاس من البيان مثل هذا » انقضى كلام عبد الكريم (1) .

هذا النص موجود بألفاظه في نسختنا من الممتع الا أن العبارة الأخيرة فيه هي كالتالي : « فكره بعض النّاس من البيان مثل هذا المذهب » (2) . ويلاحظ أن ابن رشيق لم يكتف مثل النّهشلي —كما يبدو— بعرض أقوال القدماء بل عدّ ذلك النوع من البيان غير معيب،وساق لتأييد رأيه على ذلك أمثلة عديدة .

15 — * وقال ابن رشيق في باب الإيجاز : « ... وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن (3) :

إنما الذّلْفَاء هَمّي فليدعني من يلومُ
أحسنُ النّاس جميعا حين تمشي وتقومُ
أصلُ الحبل لترضى وهي للحبل صَرومُ

ثم قال : عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن (4) .ثم أشار ابن رشيق بعد ذلك بقوله « وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم » .

(1) العمدة : 165/1 = 248/1 .
(2) الممتع : 144 أ .
(3) الذلفاء : المرأة ، نسبة الى الذلف وهو صغر الانف واستواء الارنبة . هذه الابيات لمعبد المغنى وجميلة المغنية . الاغانى : 130/7 (دار) 200/8 .
(4) العمدة : 167/1 = 251/1 .

وليس شيء من هذا في النسخة المخطوطة من الممتع .

16 — * وقال ابن رشيق في باب الإيجاز : « .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « كفى بالسيف شا » يريد « شاهدا » فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب : أحدهم عبد الكريم (1) ثمّ قال ابن رشيق : «والذي أرى أن هذا ليس ممّا ذكروا في شيء ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكما ، ودليل ذلك أنّه قال : « لولا أن يتتابع فيه الغَيْران والسّكْران . فهذا وجه الكلمة والله أعلم . لا كما قال علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدّمٌ بسبا الكتّان ملْثومُ

يريد « بسباسب الكتان » فحذف اضطرارا ، لأن الوزن لا يستقيم له إلا بعد الحذف » .

ولم يرد قول الرسول في النسخة ولا نرى فيها شيئًا من هذا الباب .

17 — * وقال ابن رشيق في باب التمثيل : « ... وممّا اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثّريا سهيلا عمْرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيلُ إذا ما استقلّ يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت نهاية في الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الله الرحمان بن عوف ، وكان غاية في القبح والدمامة . فمثل بينهما وبين سمييهما ، ولم يرد إلا بعدَ ما بينهما وتفاوته خاصة ، لا أن سهيلا اليماني قبيح ولا دميم . ولا أدري هل هذا الرأي موافق لرأي عبد الكريم أم لا ، وحسبك أن الشاعر لم ينكر إلا التقاءهما » (2) .

(1) العمدة : 169/1 = 253/1 .
(2) العمدة : 188/1 = 279/1 .

ونيس شيء من هذا في النسخة المذكورة من الممتع .

18 — * وقال ابن رشيق في باب الإثارة : « ... ومن أجود ما وقع في هذا النوع قول النابغة بصف طول الليل :

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذي يرعي النجوم بآيب

« الذي يرعى النجوم » يريد به الصبح ، أقامه مقام الراعي الذي يغدو فيذهب بالإبل والماشية فيكون حينئذ تلويحه هذا عجبا في الجودة ، وأمّا من قال : « إن الذي يرعى النجوم انّما هو الشاعر الذي شكا السهر وطول الليل » فليس على شيء . وزعم قوم أن الآيب لايكون إلا بالليل خاصة ، ذكره عبد الكريم .

وليس هذا مذكورا في نسختنا من الممتع .

19 — * وقال ابن رشيق في باب التصدير (1) : « ... ومن أناشيدهم في التصدير قول طفيل الغنوي : [طويل]

محارمك أمنعها من القوم أنني أرى جفنة قد ضاع فيها المحارم

وقال جرير وهم يستحسنونه جدا : [طويل]

سقى الرمل جون مستهل ربابه وما ذاك إلاّ حبّ من حلّ بالرمل

. . . ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة وأنشد للفرزدق : [بسيط]

أصدر همومك يغلبك واردها
فكل دارة يوما لها صدر

(1) وعرف التصدير بقوله : « ان يردا اعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض . . والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما ان التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور . . والترديد يقع فى اضعاف البيت » .

وأنشد في التصدير بيت طفيل المتقدم وبيت جرير ، وخصّ بيت الفرزدق بالمضادة دون أن يجعله تصديرا ، كما جعله أولا طباقا كما يقال في الأضداد إذا وقعت في الشعر وقد رأيته في إحدى النسخ مع أبيات المطابقة .(1)

وليس شيء من هذا في النسخة الناقصة التي وصلتنا من الممتع .

20 — * وقال ابن رشيق في باب المبالغة : «... وذلك [يريد تفضيل المبالغة] مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان وهو القائل : اشعر النّاس من استجيد كذبه ، وضحك من رؤيته ، هكذا أعرفه ورأيت بخط جماعة — منهم عبد الكريم والباغاني — من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رؤيته » (2) .

وهذا القول للنابغة غير موجود في نسختنا من الممتع .

21 — * وقال ابن رشيق في باب التكرار : « وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ... ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما الا على جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب كقول امرىء القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره (3) ولا سلم سلامته في هذا الباب (4) :

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي الخال
ألحّ عليها كلّ أسحم طهّال

... » (5) .

---

(1) المطابقة : جمعك بين الضدين فى الكلام أو بيت شعر . وقدامه يسمى المطابقة عند غيره التكافؤ ، ويجعل اجتماع المعنيين فى لفظة واحدة مكررة طباقا .

(2) العمدة : 43/2 = 53/2 .

(3) انشد البيت الاول من الابيا تالتالية لامرىء القيس قدامه بن جعفر، نقد الشعر (طبع بونيبكر) ص 20 .

(4) هذه الابيات من قصيدة مطلعها :
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
ديوانه (طبع بيروت 1958) 139 وما بعدها .

(5) العمدة : 59/2 = 74/2 .

ليس من هذا النصّ شيء في نسختنا من الممتع .

22 — * وقال ابن رشيق في باب الاتّساع : « وذلك أن يقول الشاعر بيتًا يتّسع فيه التأويل ؟ فيأتي كل واحد بمعنى . وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوّته واتساع المعنى . من ذلك قول امرىء القيس (1) :

مِكرّ مفرّ مقبل مدبر معًا
كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ

فإنّما أراد أنه « يصلح للكرّ والفرّ . ويحسن مقبلاً ومدبرًا ، ثمّ قال « معا » ، أي جميع ذلك فيه . وشبّهه في سرعته وشدّة جريه بجلمود صخر حطّه السّيل من أعلى الجبل ، فاذا انحطّ من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته قوة السّيل من ورائه . وذهب قوم – منهم عبد الكريم – إلى أنّ معنى قوله * كجلمود صخر حطّه السّيل من عل * انما هو الصلابة ، لانّ الصخر عندهم كلمّا كان أظهر للشمس والريح كان أصلب . وقال بعض من فسّره من المحدثين : إنّما أراد الإفراط فزعم أنه يرى مقبلاً ومدبرًا في حال واحدة عند الكرّ والفرّ لشدة سرعته ، واعترض على نفسه واجتج بما يوجد عيانًا ، فمثّله بالجلمود المنحدر من قنّة الجبل ، فإنك ترى ظهره في النّصبة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل اليك . ولعلّ هذا ما مرّ قط ببال امرىء القيس ، ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلده ولا روعه » (2) .

ونجد هذا في نسخة الممتع التي بين أيدينا .

23 — * وقال ابن رشيق في باب النّسيب : « ... ومن مختار ما قيل في النّسيب قول المرار العدوي (3) :

---

(1) شرح المعلقات للزوزني : 40 .
(2) العمدة : 75/2 = 93/2 .
(3) وهي قصيدة 16 في المفضليات (طبع لايل) الابيات : 72 ـ 76 ـ 77 ـ 80 ـ 81 ـ 83 ـ 84 ـ 88 .

وهي هيفاءُ هضيمٌ كشحهـا
فخمةٌ حيثُ يشدّ المُؤتزرْ (1)

صلتَةُ الخَدّ طويلٌ جيدها
ناهدُ الثّدْي ولمّا يَنْكسِرْ (2)

يُضَرّبُ السبعون في خلخالها فإذا ما أكْرَهَتْه ينكَسِرْ (3)
لا تَمَسُّ الأرضَ إلا دونها عن بلاط الأرضِ ثوبٌ مُنعفر (4)
تَطَأُ الخزّ ولا تُكرِمُهُ وتُطيل الذّيْلَ منْهُ وتَجُرّ
ثم تنهَدُ على أنماطها مثلَ ما مال كثيبٌ منقعرْ (5)
عَبِقَ العنبرِ والمسكُ بها فهي صفراءُ كعرجون الغُمُرْ (6)
أملحُ النّاس إذا جرّدْتَها غَيْر سَمْطين عليها وسؤُرْ (7)

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه بنساء الملوك . وأنشد لغيرْ (8) :

قليلة النّاظرين ، يزينُها
شبابٌ ومَخْفُوضٌ من العيش باردُ

أرادت لتنتاش الرّواق فلم أقم
إليه ولكن طأطأته الولائدُ

---

(1) الهيفاء : الضامرة البطن . هضيم الكشح : ضامرة ما بين آخر الضلوع الى الورك . فخمة : ضخمة العجيزة .
(2) صلته الخد : منجردة الخد ليست برهلة . ناهد مرتفعة .
(3) ويروى تضرب السبعون قيل يعنى سبعين مثقالا ، فيعجز عنها فينكسر من امتلاء ساقها .
(4) البلاط : المستوى من الارض ـ منعفر : أصابه العفر وهو التراب .
(5) قوله تنهد كأنها تنكر .
(6) عبق المسك : ما يعلق منه . فهي صفراء من الطيب . والعرجون عود الكباسة . والعمر : نخلة السكر ، وانما شبهها بهذا لانه تشتد صفرته .
(7) السمط : النظم من اللؤلؤ . وسؤرج : سوار .
(8) الرواق : ستر يمد دون السقف .

تَنَاهَى إلى لهـوِ الحديث كـأنّهـا
أخـو سَقْطـة قد أسلمته العوائدُ

... (1) .

وليس هذا في نسختنا من الممتع .

24 — * وقال ابن رشيق في هذا الباب أيضًا : « قال بعضهم : — أظُنّهُ عبد الكريم — : العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزّل المتماوت ، وعادة العجم ان يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطبة ، وهذا دليل كرم النّحيزة في العرب وغيرتها على الحُرُم » (2) .

وربما يكون قد سقط هذا القول لعبد الكريم من نسختنا من الممتع وقد يكون لم يقله ، وإنما ابن رشيق ظنّ ظنًا .

25 — * وقال ابن رشيق في باب المديح : « .. وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريرًا قال :

« يا بنّي ، إذا مدحتهم فلا تُطيلوا الممادحة ، فإنّه يُنْسى أوّلها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالفوا ، قال عبد الكريم : وهذا ضدّ قول عقيل بن عُلّفة المرادي . وحكى غيره ... » (3) .

ولا ذِكْر لهذا في نسختنا من الممتع .

26 — *وقال ابن رشيق في باب ذكر الوقائع والأيام ...: « .. يوم فيْف الريح ، ورأيته بخط البصري « فيفا » مقصورًا في موضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي .. وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيف الريح هو يوم طلح » (4) .

---

(1) العمدة : 94/3 = 118/2 .
(2) العمدة : 100/2 = 124/2 .
(3) 103/2 = 128/2 .
(4) العمدة : 167/2 = 214/2 .

وهذا موجود في الممتع (1) .

27 ـ * وقال ابن رشيق في باب في أغاليط الشعراء والرواة : « ... وفي كتاب عبد الكريم : من المأخوذ على أبي تمّام قوله :

مها الوحش إلاّ أنّ هاتا أوانسُ   قَنَا الخَطّ إلاّ أنّ تلك ذوابِلُ

قال : فيه غلط من أجل أنّه نفى عن النساء لبس القنا ، وإنّما قيل للرماح « ذوابل » للينها وتثنيها فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النّساء التي من أكمل أوصافها اللّين والتثنّي والانعطاف » (2) .

ثم أضاف ابن رشيق مستدركًا : « قلت أنا : أما أبو تمام فقوله الصّواب ، لأنهم يقولون « رمح ذابل » اذا كان شديد الكعوب صلبًا ، وهو الذي تعرف العرب . ومنه قولهم « ذبلت شفتاه » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوهما ، فأمّا كلام المعترض فغير معروف إلاّ عند المولّدين ، فأنّهم يقولون « نوّارة ذابلة » وليسوا بقدوة ، على أنّ كلامهم راجع إلى ما قلناه ، إنّما ذلك لقلّة المائية وابتداء اليبس وإنّما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدى » (3) .

وليس هذا الذي أخذ على أبي تمّام في نسخة الممتع .

28 ـ * وقال ابن رشيق في باب السرقات وما شاكلها : « ...قال عبد الكريم : قالوا : السّرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخذه ، على أن من النّاس من بعُد ذهنه إلاّ عن مثل بيت امرىء القيس وطرفة حين لم يختلفا إلاّ في القافية ، فقال أحدهما « وتحمّل » وقال الآخر « وتجلد » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل . والسّرق أيضًا هو في البديع المخترع الذي

(1) الممتع : 145 أ .
(2) العمدة : 192/2 = 247/2 .
(3) الموازنة (تحقيق محى الدين عبد الحميد) 130 .

يختصّ به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، ممّا ترتفع الظنّة فيه عن الذي يورده أن يقال أنّه أخذه من غيره . قال : واتّكال الشاعر على السرقة لبلادة وعجز ، وتركه كل معنى سُبق اليه جهل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات » (1) .

ولا وجود لهذا النصّ الهام في نسختنا من الممتع .

29 — * وقال ابن رشيق في باب الوصف : « ... ومن الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف الفيل :

أجردُ الخَصْرِ طويل النّابينِ مشرفُ اللّحْيِ صغير القُمْقُميْن

عليه أذنانِ كفضْل الثوبين

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيل إن الذي يحمله محمولُ

على تهاويل لها تهويل كالطّوْد إلاّ أنه يجولُ

وأذن كأنّها منديلُ

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطها ، وقد أنشدها غلام ثعلب عنه عن ابن الأعرابي .

وقال عبد الكريم فجمع ما فَرّقاه وزاد عليهما :

وأضخم هندي النّجار يُعدّه ... الخ (2) ثمانية أبيات . وليس في النسخة الموجودة من الممتع شيء من وصف الفيل .

(1) العمدة : 216/2 = 281/2 .

(2) العمدة : 227/2 ـ 228 = 296/2 ـ 297 ، وقد تقدمت هذه الابيات أثناء دراسة شعر النهشلي .

30 — * وقال ابن رشيق في باب بيوتات الشعر والمعرقين فيه « ... ومن المعرقين في الشعر — عن عبد الكريم — نهشل بن حرّيّ بن ضمرة بن جابر بن قطن ، ستّة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعرًا وشرفًا وفعالا (1) .

ولم نجد في نسختنا من الممتع شيئًا من ذكر المعرقين .

31 — وقال ابن رشيق في الباب نفسه : « ... وأمّا الشاعر ابن الشاعر فيقال عنه الثّنيان حكاه عبد الكريم هن غيره ... » (2) .

وليس في نسختنا من الممتع هذا اللفظ .

32 — وقال ابن رشيق في باب الإنشاد وما ناسبه : « ... وإذا كان ما قَبْل حرف الرّوى ساكنًا — وكانت لغته منشدة الوقوف على المضمون والمكسور بنقل الحركة ، كما أنشد أعرابيّ من بني سنيس قول ذي الرّمة :

* ولا زال منهلاً بجرعائك القَطُرْ *

بضم الطاء وإسكان الراء لمّا وقف — حكى ذلك عبد الكريم » (3) .

وليس هذا بالنسخة المذكورة .

33 — * وقال ابن رشيق في الباب نفسه : « ... ويقال إن أوّل من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار ، فإنّه سقط على جمل فانكسرت يده ، مجعلوه وهو يقول : وايداه ! وايداه ! وكان أحسن خلق الله جرمًا وصوتًا ، فأصغت الإبل اليه وجدّت في السيّر ، فجعلت العرب مثالاً لقوله هايدا يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه (4).

وقد سقط هذا النصّ من الممتع في النسخة التي بين أيدينا .

---

(1) العمدة : 236/2 = 306/2 وفى نوادر أبى زيد شعر كثير لعدد منهم.

(2) العمدة : 237/2 = 308/2 .

(3) العمدة : 312/2 = 313/2 .

(4) العمدة : 242/2 = 314/2 .

هذه هي جملة النصوص التي نقلها ابن رشيق من كتاب الممتع (1) . وهناك عدّة نصوص أخرى في أثناء العمدة قد يكون ابن رشيق نقلها من الممتع دون أن يشير إلى ذلك وقد يكون نقلها من المصدر نفسه الذي نقل منه النّهشلي ، وهي نصوص أدبيّة تتمثّل في مجموعة من الأخبار والأشعار المختارة وبعضها شائع في كتب الأدب وقد أشرت اليها في هامش تحقيق نصّ الممتع المتبقّي لنا (2) .

ويمكن الخروج من هذه النصوص التي نقلها ابن رشيق من كتاب عبد الكريم بعدة ملاحظات أهملها :

1 ــ إن ستة نصوص فقط (2 ، 3، 4، 7، 14، 26) من 33 نصّاً موجودة لدينا في النسخة المتبقيّة من كتاب الممتع .

2 ــ إن هناك ستة نصوص فقط (3، 5، 9، 13، 26) يمكن أن نعدهم من أقوال النّهشلي الخاصة التي تعبّر عن جهة نظره في بعض القضايا الأدبية والنقدية .

3 ــ إن معظم النصوص الأخرى هي من قليل الأخبار الأدبية والأقوال العامة التي نجدها متداولة في كثير من المصادر الأدبيّة ، ولأمر ما كان ابن رشيق يحرص على استقائها من كتاب عبد الكريم مع أنه كانت بين يديه المصادر نفسها التي استقى منها النّهشلي تلك الأخبار . (انظر ملاحظة ابن رشيق على الخبرين 27، 29 خاصة) . مع أن صاحب العمدة نبّه

(1) لا يبدو لى أن ابن رشيق نقل بعض النصوص السابقة من غير كتاب الممتع للنهشلى فان تلك الاخبار التى لا ترتبط الاشارة فيها بكتاب الممتع يمكن ان تكون بحكم موضوعها من هذا الكتاب ، هذا فضلا عن كون ابن رشيق لا يذكر غير هذا الكتاب للنهشلى وان لم يصرح بعنوانه . فقد وجدنا عدة نصوص مطابقة لما عليه فى الممتع مع أن ابن رشيق لا ينص على مرجعه الذى استقاها منه .

(2) راجع الصفحات التالية فى كتاب العمدة الطبعة الاولى : 1/4 ، 51 ، 59 ، 69 ، 71 ، 76 و 2/59 ، 70 ، 75 ، 103 ، 139 ، 148 ، 191 وما بعدها 218 ، 219 .

في مقدمته أنه اقتصر على ذكر الأخبار والأقوال دون ذكر رواتها وقائليها في الغالب لشيوعها واشتهارها ولاحظ أنّه لايذكر من ذلك إلاّ ما كان رأيا خاصّا لصاحبه أو رواية فريدة استقل بها ، وفيما عدا ذلك يقول : قال بعضهم وروى بعضهم وما أشبه ذلك (1) .

4) – تعكس هذه النصوص المختلفة ، التي تنسحب على كثير من القضايا الأدبيّة والنّقدية ، وفرة الموضوعات التي تناولها النّهشلي في كتابه الممتع ، وأغلبها إما أن يكون قد اختصر من القسم أو القسمين اللذين اختصر الناس من كتابه وإمّا أنها ضاعت مع الاجزاء الاخرى المفقودة من كتابه .

5) يمكن على ضوء هذه النصوص المنقولة من الممتع وعلى ضوء تلك القطعة المتخلّفة لنا من الكتاب أن نعتبر كتاب العمدة مثالاً مختصراً من كتاب الممتع مع إضافات مهمة تتّصل بما جدّ من التآليف النقدية والبلاغية بعد النّهشلي وتتعلّق بتلك الخواطر النقدية القيّمة التي ساقها لنفسه ابن رشيق ولغيره في كتابه .

تلاميذه :

لم تسمّ لنا المصادر أحداً من تلاميذ النّهشلي ، ومهما يكن فلا بد أنه كان له تلاميذ ولم لم نعرف عنه أيضًا أنه تصدّر للإقراء والتعليم ، فأيّ أديب وشاعر لايخلو من تلاميذ كما لا يخلو من شيوخ . لكنّنا لانستطيع أن نعرف على وجه التحقيق من كانوا من تلاميذه بين أولئك الأدباء والشعراء

(1) قال : « وعولت في أكثره على قريحة نفسي ، ونتيجة خاطري ، خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية ، فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه . ليؤتى بالامر على وجهه ، فكل ما لم أسنده الى رجل معروف باسمه ولا أحلت فيه على كتاب بعينه ، فهو من ذلك ، الا أن يكون متداولا بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الاخر ، وربما نحلته أحد العرب وبعض أهل الادب . . . » .
العمدة : 3/1 = 7/1 .

المذكورين في الانمـوذج (1) ممّن كـانوا في عهـد التلمذة أيام بلـغ هـو المشيخة في علـم الشعر ونقده .

ويشير الأستاذ العلامة حسن حسني عبد الوهاب إلى أبـي طاهر التُّجيبـي فيقـول فـي تـرجمتـه (2) : « أخـذ عـن أبــي إسحـاق الحصـري وإبراهيـم النّهشلي وعاصر ابن رشيق وابن شرف » . لـكن أبا طاهر هــذا لم يذكر المؤرخون القدماء تتلمذه للنّهشلي (3) . وربّما يكون الاستـاذ حسن حسني عبد الوهاب ذهب إلى ذلك من باب الاتفاق ، فحيث يعتقد أن ابــن رشيـق وابن شرف تتلمذا على الحصري والنّهشلي ، فـكل من عاصرهما من ناشئة القيروان وكانوا أترابًا لهما لا شك أنما شاركـاهمـا في التتلمذ لهـذا الشيـخ وذاك .

لـكن ابن رشيـق نفسه لم يتتلمذ في الحقيقة للنّهشلي بالمعنى الصحيـح للتلمذة . فهـو وإن كـان أدركـه حيًا بحكـم ولادته التي تسبـق وفاته بنحـو خمس عشرة سنة (4) إلاّ أنّه لم يحظ بلقائه مطلقًا ، لقـد تخرّمه الموت قبـل أن يدركـه حين وصل إلى القيروان وافدًا من بلدته المحمّديّة سنة 406 هـ . إذن فينبغي التوقّف عن ترديـد ذلك الخطأ الشائع الذي لاندري أول من وقع فيه وهو عدّ النّهشلي أستاذًا مباشرًا لابن رشيـق مثلـه مثـل أستاذه عبد الله محمّد بن جعفر القـزاز (المتوفي سنـة 413 هـ) وهنـاك أدلّة واضحـة وقرائن وثيقـة تؤكـد نفي الأستاذية والتتلمذ بين النّهشلي وابـن رشيـق منهـا :

---

(1) هو انموذج الزمان فى شعراء القيروان لابن رشيق القيروانى وهـو كتاب تراجم مفقود ، الا ان نقولا كثيرة منه احتفظت بها مصادر أدبية معروفة ، منها مسالك الابصار للعمرى والوافى بالوفيات للصفدى وانباه الرواة للقفطى .

(2) المنتخب : 72 .

(3) انظر ترجمته فى الصلة لابن شكوال 228 ، الاعلام : اسماعيل بن أحمـــد .

(4) توفى النهشلى سنة 405 . وولد ابن رشيق على أرجح الاقوال سنــة 390 هـ . انظر حياة القيروان : ص 114 س 6 قبل الاخير .

أ ـ ان أبن رشيق نفسه لايستعمل مع اسم النّهشلي أيّ عبارة تدلّ أو تومىء بأنه تتلمذ له أو أخذ عنه مباشرة. بينما نجده مع القزاز لايكاد يذكر اسمه حتى يشفعه بقوله « شيخنا » (1) وكذلك مع أستاذه عبد العزيز بن سهل البقّال (2) .

ب ـ ما سنبيّنه من أن النّهشلي توفي سنة 405 هـ . بالمهدية على الراجح وفي هذه الأثناء كان ابن رشيق لايزال فتى يافعًا في بلدته المحمديّة ، وكان عليه أن ينتظر سنة أخرى قبل أن يتحوّل إلى القيروان لطلب العلم .

ج ـ لو كان ابن رشيق قابل النّهشلي وحادثه ولو مرّة في حياته لاحتفظ بكل اعتزاز وفخر بهذه الذكرى ولمّا غفل عن الاشارة اليها ، فنحن نراه حين أدرك أبا إسحاق الحصري المتوفى سنة 413 هـ) وقابله (3) لم يفُتْه ، أي لم ينس أن يسجل هذه المقابلة وما جرى فيها من مناقشته لأستاذه الشيخ ، وكذلك الأمر بالنسبة لشيخه يعلى بن إبراهيم الأربسي .

د ـ ما نلاحظه من أن ابن رشيق يحاول دائمًا تقدير أعمار من أدركهم من شيوخ العلم والأدب بالقيروان حين دخلها (4) . بينما نجده يسكت عن ذلك بإزاء النّهشلي .

هـ ـ حديث ابن رشيق مع يعلى الأربسي ، وقد عرض هذا الأخير للنّهشلي ، لايوحي أبدًا بأنّه يتحدث عن النّهشلي حديث تلميذ عن أستاذه ،

---

(1) انظر العمدة (طبعة 1934) : 1/133 ، 144 ، 277 الخ .
حياة القيروان : ص 114 س 6 قبل الاخير .

(2) العمدة (طبعة 1934) : 1/94 ـ 95 ، حياة القيروان : 160 .

(3) وفيات : 2/94 ، حياة : 133 ، 153 .

(4) مسالك الابصار : ج 11 ق 2 ص 311 ، القفطي ، انباه : 2/178 ، حياة : 159 .

وذلك لأننا نفتقد فيه بعض العبارات العادية في هذا المقام ، وهذا لاينفي أنّنا نحسّ في لهجة ابن رشيق تقديرًا عظيمًا لشاعرية النّهشلي وأدبه (1) .

و ـ إن عدم تأكد ابن رشيق من المكان الذي توفي فيه عبد الكريم لأمر ذو دلالة كبيرة في هذا الصدد .

ز ـ وفي جميع الأخبار التي تتعلّق بحياة النهشلي يرويها ابن رشيق عن بعض أصحابه ، فهو يستعمل باستمرار عبارة حدثنا بعض أصحابنا (2) .

ح ـ وأخيرًا فإن أحدًا من مؤرخي الأدب من القدماء لم يقل إن ابن رشيق تتلمذ للنّهشلي ، وهم لايذكرون من شيوخه مع ذلك سوى القزاز الذي هو نفسه يصرّح في العمدة أكثر من مرّة أنه شيخه .

ومع هذا ، وبعد أن تبيّن لنا ان ابن رشيق لم يلتق بالنّهشلي بله أن يتتلمذ على يديه ،ونقضنا بذلك الزعم القائل أنّه أستاذه وشيخه المقدّم ، نقول إنه لا ينبغي أن ننفي شعور التلمذة غير المرتبطة بزمان بين شخص وآخر . ولا شك أن ابن رشيق من هذه الزاوية ، أي التلمذة بمعناها الواسع ، يعدّ أشهر تلاميذ النّهشلي وأكثرهم إعجابا به . ويمكن من هذه الزاوية أيضًا تعديد عشرات من الشعراء والأدباء المعاصرين لابن رشيق ممّن نقدّر أنّهم تتلمذوا على النّهشلي بالمعنى الذي أشرنا اليه بخصوص ابن رشيق . وقد سبق أن تكلمنا عن نفر منهم في فصل سابق عند الحديث عن الحياة الأدبية بالقيروان في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس .

غير أننا لا نريد أن نغفل هنا الإشارة بصورة خاصة لشاعر مشهور جدا في عصره ، هو ابن الرّبيب ، فهو الوحيد الذي يمكننا بأكبر قدر ممكن

---

(1) مسالك الاخبار : ج 11 ق 2 ص 294 ـ 299 ، حياة : 154 وما بعدها .

(2) انظر العمدة . حياة : 143 .

من الترجيح أن نقول إنه كان من تلاميذ النّهشلي المبرّزين. والواقع أننا لا نجد لعبد الكريم ذكرًا في ترجمة أي أديب أو شاعر قيرواني ممن هم أصغر منه سنّا سوى ابن الرّبيب . والحق أنّه ليس في ترجمة ابن الربيب إشارة إلى كونه تتلمذ للنّهشلي ، وإنّما نستطيع ان نستنتج ذلك من بعض القرائن . فابن الربيب توفى سنة 420 هـ . (1) عن سنّ تناهز الخمسين (2) . وجاء في ترجمته : « أنه الحسن بن محمّد التميمي التاهرتي — أي أنّه من تاهرت أصلاً — طلب العلم بالقيروان واعتنى به أبو عبد الله بن جعفر القزاز وكان محبّا له، فبلغ به النهاية في الأدب وعلم الخبر والنّسب ، وله في ذلك تأليف مشهور ، وكان خبيرًا باللّغة شاعرًا مقدّما قوي الكلام يتكلّف بعض التكلّف ، وكان عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي يروي له ما لا يروي لأحد من الشعراء . سئل عن أشعر أهل بلده فقال أنا ثم ابن الربيب » (3) . واذا أضفنا إلى هذا ما نعرفه من أنّ القزاز توفي سنة 413 وأن النّهشلي توفي سنة 405 أدركنا أن ابن الربيب أدرك الرّجلين في طور طلب العلم من أطوار حياته ، وأحرى به ، وقد تتلمذ للقزاز ، أن يكون تتلمذ للنهشلي أيضًا الاكبر سنّا من القزاز ، ويكون قد لقي منه ، أي من النّهشلي ، عناية مثل العناية التي لقيها من أستاذه القزاز . ويجب ان تذكر أن الذي ترجم لابن الربيب هو ابن رشيق . ولم يدرك ابن رشيق النّهشلي وإنّما أردك القزاز ولذلك فقد سجلّ ما رآه من عناية هذا الشيخ بتلميذه التاهرتي ، واكتفى بأن أخبرنا بتقدير النّهشلي وإعجابه به .

وشاعرية ابن الرّبيب فيها مشابه كثيرة من شاعرية النّهشلي، من حيث قوّتها وجزالة ألفاظها وفخامة عباراتها وروعة أسلوبها المحكم المتين، وما

(1) السيوطى ، بغية : 230 . ونجد فى كتاب الاستاذ ح ح عبد الوهاب المنتخب (ص 64) انه توفى سنة 430 . وليس ذلك صحيحا ، والظاهر أنه خطأ مطبعى اذ من المعروف ان رقم اثنين فى الكتابة الخطية بتونس يؤخذ على أنه رقم ثلاثة فى مصر حيث طبع الكتاب .

(2) ح ح عبد الوهاب ، المنتخب : 64 .

(3) القفطى ، انباه : 318/1 _ 319 ، العمرى ، مسالك : ج 11 ق 2 ص 319 ، السيوطى بغته 235 .

تعكسه في معانيها ومبانيها من خبرة واسعة بأساليب الشعر القديم وتصرف عجيب باللّغة . وعلى ذلك فينبغي أن يكون ابن الربيب تلميذًا للنّهشلي من هذه الناحية ، ولا يكـون العكس طبعًا ، وكـذلك فلا يمكن أن ننفـي التلمذة والأستاذية بينهما مطلقًا بحكم المعاصرة واللقاء وفارق السنّ الكبير .

وفـاتــه :

نقـل الصفدي عن ابن رشيـق أن عبد الكريم بن إبراهيـم النّهشلي تـوفي بالقيروان أو بالمهديـة سنة 405 هـ . (1)

---

(1) الوافي بالوفيات : 107/17 مخطوط بتونس . ويرجع الاستاذ ح ح عبد الوهاب أن يكون النهشلي قد توفي بالمهدية . ولم يبد سببا لهذا الترجيح . راجع مقالا له بمجلة الفكر ، العدد 10 (1959) ص 7 ـ 9، المنتخب : 55 ، الورقات : 397/2 .

دراسة الممتع فى علم الشعر وعمله

معلومات عن الكتاب الأصلي :

ما من أحد قرأ العمدة قراءة الباحث في هذا الكتاب القيّم عن صناعة الشعر العربي ونقده إلا وقد استرعته شخصية قيروانية يتّخذها ابن رشيق مصدرًا من مصادره الأولية ، ومرجعًا مفضلا لكثير من آرائه الأدبية والنّقدية ، ولا يكاد ذكرها يتخلّف في باب من أبواب كتابه الكبير ، وهي شخصية عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي .

ونُقول ابن رشيق من كتاب عبد الكريم وحديثه عنه ينمّ عن كونه كان سلطة أدبية معتبرة جدّا في النصف الأول من القرن الخامس . ولا يبدو النّهشلي من خلال العمدة ذلك الأديب المقتصر على الرواية والمشافهة بل كان مؤلفًا معدودًا من أصحاب الكتب المشهورة في بابها (1) . فعبد الكريم ذ لم يكن شاعرًا وأديبًا فحسب بل كان مثله مثل رعيل الخزاعي وابن المعتز وأبي العباس الناشي وغيرهم من الشعراء المؤلفين .

وقد صرّح ابن رشيق في أربعة مواضع من العمدة أنّه نقل ما نقل من كتابه المشهور (2) . ولكنّه لم يكشف أبدًا عن هوية هذا الكتاب . وقد ذكر في موضع أنّه كان ينظر في نسخ مختلفة منه (3) .

والواقع أن ابن رشيق لم يسمّ عناوين كتب المؤلفين الآخرين إلاّ نادرًا (4) . وربّما كانت هذه عادة جارية عند المؤلفين القدامى (5) . فهم

---

(1) ابن رشيق ، العمدة : 252/1 = 169/1 .
(2) العمـــدة : 71/1 ـ 72 = 112 و 165 = 247 ، 192/2 = 247 و 242 = 214 .
(3) العمدة : 6/2 = 4/2 .
(4) العمدة : 26/1= ، 139/2 = 171 « صاحب الوساطة » .
(5) يلاحظ هذا الامر بصورة واضحة فى كتابى الاغانى والعقد .

يكتفون بذكر أصحاب الكتب دون ذكر أسماء كتبهم ، فإذا كان الأمر يتعلق بالشعر والشعراء وقيل ابن سلام انصرف الذهن إلى كتابه المشهور طبقات فحول الشعراء ، وإذا قيل ابن قتيبة ، فإنّما يراد كتابه الشعر والشعراء، وإذا ذكروا اقوالاً في البلاغة وما اليها للجاحظ فهي من كتابه في البيان والتبيين ، وهكذا ؛ وكتب النقد القديمة حافلة بأسماء قدامة وابن المعتز والقاضي الجرجاني والآمدي وغيرهم ، ولكن قلّما تتردّد فيها عناوين كتب هؤلاء وإنّما تركوا ذلك لشهرتها . ولذلك فيجب ان يكون إغفال ابن رشيق ذكر عنوان كتاب النّهشلي من هذا الباب وليس لأيّ سبب آخر .

ومع بداية الاهتمام في العصر الحديث بدراسة ابن رشيق القيرواني وكتابه العمدة ، وجّه بعض الباحثين عناية خاصة للكشف عن شخصية عبد الكريم النّهشلي ، خاصة وأنهم كانوا يجدون رغبة شديدة تدفعهم للتعرّف على هذه الشخصية نظرًا لأهمية أقوالها في كثير من القضايا النقدية الدقيقة (1) . فظهرت في عدد من المراجع ترجمة مختصرة له منقولة من كتاب الأنموذج لابن رشيق (2) . لكن ليس ثمة ذكر لكتابه المشهور ، بل ولا لكتاب من كتبه إطلاقًا . وظلّ أمر الكتاب مجهولاً إلى أن طبع كتاب « نثار الأزهار » لابن منظور صاحب لسان العرب (3) سنة 1298 هـ / 1880 م، وهو مجموع مختارات أدبيّة وشعرية في أغراض شتى، فوقف المعتنون بأدباء القيروان على شعر فيه للنّهشلي وقبله هذه المقدّمة : « ... قال عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي صاحب كتاب الممتع في علم الشعر وعمله ... »، فالتُقطت هذه الإشارة الفريدة بكلّ حرص وابتهاج

(1) لقد سمح كثير من النقاد الدارسين لانفسهم ، أمام جهلهم بعبد الكريم وكتابه ، بنسبة أقواله لابن رشيق ، وهذا خطأ فادح منهم . وأفضل منهم على كل حال أولئك الذين كانوا يجردون أقوال النهشلي من العمدة دون ذكر اسمه ، وانما يقولون قال بعض النقاد وما اشبه ذلك ويحيلون على موضعها من العمدة .

(2) راجع الحاشية رقم (7) ص 31 .

(3) ابن منظور ليس فى الحقيقة مؤلف الكتاب وانما مختصره عن الكتاب الكبير المترجم بفصل الخطاب . . للتيفاشى القفصى .

ونشرت في أوساط البحث العلمي عن تاريخ الأدب ونقده أملاً في أن تتّجه أنظار الباحثين في المخطوطات عسى أن يقعوا على أثر لهذا الكتاب .

وفعلاً فقد اتجه النظر رأساً إلى تلك النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [54 ش] والتي لايعطي — رغم ذلك — فهرس المخطوطات (1) بيانات واضحة عنها وإنما يشير إلى انها « اختيار الممتع لعبد الكريم » فأخذ بعض العلماء هذه النسخة على أنها قطعة من ذلك الكتاب، الذي أفاد بعنوانه واسم مؤلفه كاملا صاحب نثار الأزهار .

ومنذ ذلك الوقت أصبح أطرف المعلومات عن ابن رشيق القيرواني هو الإشارة إلى اكتشاف نسخة من كتاب أستاذه النّهشلي ، الذي هو كتاب الممتع . لكن لم يتصد أحد إلى دراسة هذه النّسخة والتحقيق في نسبتها أو حتى اقتطاف استشهادات منها قبل سنة 1962، حين ظهر مقال نشره الأستاذ الشاذلي بو يحيى في مجلة «اربيكا» (*ARABICA*) ، حاول فيه أن يستخرج من النسخة ذاتها بعض مايؤكد نسبتها لكتاب الممتع في الأصل مقابلاً بينها وبين نقول ابن رشيق عن النّهشلي في العمدة ، وحاول صاحب المقال في الوقت نفسه أن يجد فيها بعض الإشارات يستدل بها عن شخصية مؤلفها؛ وانتهى من ذلك إلى تأكيد نسبة هذه النسخة لكتاب الممتع للنّهشلي القيرواني، مع ملاحظة كونها ليست نسخة مطابقة للأصل وإنما هي لون من الاختصار له ، كما يبدو ذلك واضحاً جليّا من عدّة إشارات بها .

ب — والحق أنني لم أعلم بهذا المقال المفيد إلاّ بعد أن قمت بنفسي بهذه العملية ، أقصد مقابلة نقول ابن رشيق بما في هذه النسخة والتماس بعض الأدلة على هوية مؤلفها ، والحق أيضاً أنني استفدت عندما رجعت إلى المقال من بعض الإشارات الهامة ، كما أنني وجدت نفسي في وضع من لم يتأثر بفكرة مسبّقة في عمله وبالتالي يغتبط بما يكون له من النتائج الشخصية التي قد يتفق في بعضها وقد يختلف في بعضها الآخر مع غيره .

---

(1) فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية .

ومهما يكن من أمر ، فالواقع أن عملية تحقيق نسبة نسخة دار الكتب إلى كتاب الممتع لعبد الكريم النّهشلي لا تكتسب أهمية علمية جديرة بالثقة إذا لم تقم على دراسة شاملة دقيقة ومحققة لنص المخطوطة المذكورة ودراسة كتاب العمدة دراسة متعمّقة وعمل فهارس فنية له ؟ ذلك لأنه لم يحظ بعد في جميع طبعاته بنشرة عملية محقّقة ومفهرسة ، تساعد الباحث على الاستفادة التامة منه . بيد أن هذا أمر يتطلب باحثًا متخصصًا لا يتّسع وقته إلاّ للنّهشلي وابن رشيق . وذلك ما وقفت له جهدي في هذه الرسالة .

ونسخة الممتع المشار اليها في مخطوطات دار الكتب تحمل في الحقيقة عنوانا مضلّلاً ، فهي تحمل على غلافها : « هذا كامل المبرّد » وتحته معظم عناوين أبواب الكتاب . وكان لا بدّ أن يصحّح هذا الخطأ كل قارىء بصير بكتاب الكامل للمبرّد ، فما بالك بالشيخ محمّد محمود ابن التلاميد الشنقيطي ، الذي كان آخر من ملك المخطوطة قبل أن تدخل إلى دار الكتب المصرية ، وكان قد اكتشفها في القسطنطينية سنة 1291 هـ . فكان لا بدّ أن يشطب على العنوان الخطأ كأقلّ ما ينتظر من عالم جليل مثله . وفعلاً فقد سجل كلمة « خطأ » فوق العنوان وكتب العبارات التالية : « إنمّا هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم » وفي آخر النسخة كتب في حاشية الخاتمة : « قلت ليس هذا بكامل المبرد وإنما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم » .

وبإزاء هذا يقف المطّلع على الكتاب لأوّل وهلة أمام أمرين : إمّا أن يكون الشنقيطي قد عثر بداخل الكتاب على ما يفيد بما كتبه على غلافه ، أي ما بنى عليه تصحيح العنوان وأما أنْ يكون قد هداه علمه بالمخطوطات إلى ذلك . وربّما ينتبه المرء إلى أن الامر الأول أرجح لأن الشيخ لو علم بحقيقة هذا المخطوط ومؤلفه لأدّاها كاملة غير مقتضبة كما فعل. ولذلك ذهب المحقّق الاستاذ عبد الجواد الأصمعي ، المفهرس بدار الكتب إلى البحث عن عبارة في داخل الكتاب يردّ إليها إشارة الشيخ الشنقيطي ، فكتب بناء على ذلك في الحاشية العليا من الغلاف : « صححته :

كتاب في المحاضرات انتخبه مؤلفه من كتاب الممتع لعبد الكريم .
راجع ص 18 من هذا الكتاب » .

والمذهل أنّه يطالعنا في رأس هذه الصفحة – ص 18 – عنوان بالحرف الغليظ ، يلفت اليه نظر أبسط من يقلّب صفحات المخطوطة تقليبًا عفويًا ، وهو : « ومن كتاب الممتع » وبعده بالخط العادي في النسخة وفي أول السطر التالي : « لعبد الكريم » . ومعنى ذلك أن العنوان الخاطيء المكتوب على غلاف المخطوط لم يكتبه سوى ورّاق مرابح في سوق الكتب، ولم يكتبه مؤلف الاختصار نفسه أو الناسخ، أما صاحب الاختصار فيجب أن ننزهه عن هذا ، وأمّا الناسخ فالخط غير الخط . وقد أخطأ بعض الباحثين حين اعتبر هذه الاشارة من صاحب الاختصار أو ناسخ الكتاب ، ورجّح أن يكون أحدهما قد نسي أو ذهل عمّا بيده (1) . وإلى جانب اختلاف الخطّ الذي كان يجب أن نستدلّ منه عن هذا الشأن هناك اختلاف سائر أوراق المخطوطة عن ورقتي الغلاف المكتوب عليها تينك الإشارتين الخاطئتين ، وله العذر من لا يستطيع أن يدرك هذا الاختلاف الاخير من مصورة شمسية عن المخطوطة الأصل .

على أن جملة الإشارات التي تلقى ضوءًا على عنوان الكتاب ومؤلفه أكثر من واحدة فعلى طول الكتاب نجد هذه الإشارات التالية :

ص 12 ب : « من ها هنا ابتدا منتخب الممتع من أوّله »

ص 18 أ : « ومن كتاب الممتع لعبد الكريم »

ص 40 أ : « قال عبد الكريم ... »

ص 64 ب : « قال عبد الكريم : ولي أبيات من قصيدة ذكرت فيها الهيبة ...»

---

(1) بويحيى : ظهور كتاب النهشلي ... ، (ارابيكا) .

ص 74 أ : « قال عبد الكريم في كتابه ... »

ص 127 أ : « نجز اختيار الأول والثاني من كتاب عبد الكريم
وهذا أوّل اختيار الجزء الثاني ...»

ج ـ تحقيق نسبتها ومدى مطابقتها للأصل

هذه الإشارات الست التي استخرجناها من المخطوط ، مع أنّها تنير لنا الطريق شيئًا ما لمعرفة هذه النسخة الغُفل من عنوان وخاتمة حقيقيين ، تسبّب لنا مشاكل كثيرة بخصوص تحقيق نسبة الكتاب إلى الأصل وتحديد علاقته بصورة الأصل . لكننا سنحاول بما لدينا من المعلومات الأكيدة أن نحلّ هذه المشاكل ، وتتضح لدينا بذلك الحقائق المرغوبة عن هذه النسخة .

لا بد أن ننظر أوّلاً باستغراب لذلك الإعلان الصريح الذي يأتي بعد ست وعشرين صفحة من المخطوط ليعلن عن بداية منتخب الممتع ، فهذا يعني أن ما قبل ذلك كله ليس من الممتع ، ويؤيد هذا في الواقع أن بداية المخطوط ليست بداية عاديةَ ، فهو يخلو من مقدّمة تمهيدية ، مع أن المقدمة في الكتب المماثلة أصل من أصول التأليف . وقد نظنّ أنّ مختصر الكتاب أسقط هذه المقدّمة . وذلك جائز ، لكننا لا بد أن نميل إلى أنّ الاعلان عن بداية الانتخاب من كتاب الممتع من أوّله عند ص 12 ب هو إعلان صحيح ، حيث إنّنا نقرأ بعده بداية طبيعية جدّا لكتاب في الأدب ونقده مثل هذا الكتاب ، فهو يقول : « أفضل كلام وأعزّه وأكرمه وأعوده بصالحة كتاب الله العزيز ... ثمّ خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر الذي ترتاح له القلوب ... »

فأين هذه البداية المقبولة من تلك القصّة المفاجئة التي تعرض لنا في أول نسخة ؟ وهي قصة تتلوها قصص أخرى ومنتخبات أدبية هي عبارة عن أخبار وحكايات وأمشاج من الأقوال والأشعار ؛ وقد نحاول أن نجد بينها

جميعا رابطة ولو واهية ، ولكننا لن نستطيع أن نضعها جميعا تحت عنوان ذلك الباب الذي يطالعنا في أول النسخة وهو : « باب العفو عمن أذنب » ففيما عدا الحكايات الثلاث الأولى : وهي قصة معاوية وعامله مع الأعرابي وزوجته ، وقصة عطاء بن أبي رياح وأبي مسلم ، وقصة زياد وعامله بالطائف ، لا نستطيع أن نرى مكاناً في هذا الباب لبقية ما يأتي على مدى الصفحات الأربع والعشرين التالية . إذن فبداية المخطوط غير طبيعية . وقد نظن كل ظن بموضع هذه الصفحات الغريبة من المخطوط إلا أن نظن ان لها علاقة بكتاب الممتع . فقد نظن أنها بقية صفحات من كتاب آخر مجهول ، ربما يكون هو أيضًا اختصار من الاختصارات مثل الممتع ، واتصل الاختصاران بعضهما ببعض في شكل مجموع من تلك المجاميع الخطية التي نجدها تشمل على أكثر من مخطوط ومن ثم تسلسلت أرقام صفحاتهما . لكن ليس هناك ما يمنع من أن نعد هذه الصفحات من كتاب الممتع نفسه — أي من اختصاره — انقلبت من مكانها بسبب أو بآخر ، خاصة وأن ترقيم الصفحات على طول المخطوط حديث جداً ، وبالتأكيد فهو بقلم أحد المفهرسين بدار الكتب ، وخاصة أن الناسخ لم يتبع طريقة تدوين الكلمات التي تبدأ بها الأوراق التالية في كعوب الأوراق المتقدمة ، وهي طريقة كانت تقوم مقام ترقيم الصفحات . لكننا لا نستطيع أن نطمئن إلى انخرام نظام صفحات المخطوط ، لأن إشارة الابتداء ، أي ابتداء منتخب الممتع من أوله لا تأتي في رأس ورقة مستقلة بل هي تأتي في منتصف ظهر الورقة 13 . هذا إلى أن الكلام في سائر أوراق المخطوط يأخذ بعضه برقاب بعض دون انقطاع . إذن فحيث لا نملك دليلاً على كون هذه الصفحات خارجة عن اختيار الممتع ، فيجب أن نبحث عن علاقة ما لها به .

ومن أجل ذلك ينبغي الإعتناء بتلك الإشارة التي وردت في ص 24 ب ، وهي قوله . « . . ولذلك قال الأعشى . . كن كالسموءل إذ طاف الهمام به » ، الأبيات ، وقد تقدمت قبل هذا في ذكر من وفى

لجاره . فهذه الأبيات قد تقدّمت فعلاً ، لكن في ص 6 أ ، أي فيما قبل الإشارة الصريحة لبداية الاختيار من كتاب الممتع . إذن فهذه الصحفات الستّ والعشرين المتقدّمة في مكانها الحقيقي من المخطوط وتربطها علاقة ما بما بعدها . ويجب البحث عنها . وسيطول بنا التخمين ولن ننتهي لو مضينا في فرض الفروض حول نسبة هذه الصفحات من كتاب الممتع ، لكننا لن نخرج بطائل من وراء ذلك وانّما يرجّح لدينا انها منه عدّة أمور أهمها .

أ — أنه ليس لدينا دليل على استقلالها عنه ولا يوحي شكل المخطوط مطلقًا بأنّه مجموع .

ب — أنها بطبيعة موضوعاتها يمكن أن تدخل في باب الممتع .

ج — أن تواريخ وفيات أعيانها لا يخرجها عن الفترة التي ألفّ فيها الممتع ، وأقصاها نهاية القرن الرابع .

د — وإذا لم يكن في وسعنا أن نعوّل على أسلوب مؤلفها لاحتمال أن تكون جميع تلك الأخبار التي أوردها قد لاتعدو كونها نقولاً عن غيره ، إلاّ أن هناك قرينة قوية تكشف عن هوية مؤلفها ألا وهي أنساب تلك القبائل البربرية التي وردت في ص [8 أ] وما بعدها. فقد جاء فيها ذكر لواتة ومزاتة وهوارة وزويلة وصنهاجة وكتامة . وقلّ أن نجد عناية بنسب البربر وتسميّة قبائلهم عند كتاب مشارقة . صحيح ، قد نجد ذلك في كتب الأنساب المتخصصة . وهو أيضًا أمر نادر جدًا . لكن في كتب الأدب عامة يجب أن تكون لذكر أنساب دون أنساب بها دلالة على إقليمية صاحبها في الغالب ، أو بعبارة أخرى على اهتمامه بنسب قومه . وقد أعجزني أن أحقّق نص هذه الأنساب البربرية في كتب النسب القديمة المشهورة لو لم أهتد أخيرًا إلى كاتب أندلسي متأخر بما يزيد عن نصف قرن عن النّهشلي وهو ابن عبد البر (المتوفى سنة 463 هـ) ففي كتابه « القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم » وجدت معظم هذه الأنساب البربرية بلفظها .

إذن يمكن الركون إلى كون هذه الصفحات من كتاب الممتع للنهشلي . لكن هلاّ نجد تفسيرًا معقولاً لوضعها الشاذ قبل البداية الطبيعة للكتاب ؟ وهنا أيضًا نستطيع أن نجد تفسيرات عديدة، الاّ أن الذي يمكن أن نميل اليه أكثر هو أن مختصر الكتاب ربّما لم تكن لديه في البدء فكرة اختصار الكتاب كله ، وإنما كان ينوي أن يقتطف منه بعض الأخبار وفرائد الأشعار التي تنال إعجابه لأمر ما ، ثمّ ما لبث أن عدل عن خطّة الاقتطاف الحرّ إلى طريقة الاختصار المنّظم للكتاب كلّه ، فأخذ بناء على ذلك من أول الكتاب . وينبغي أن يكون أشار لذلك بتلك العبارة الموضّحة لموقفه حين قال . « من هنا ابتدأ منتخب الممتع من أوله » ، وكلمة « أوله » كان يمكن أن يكون في غنى عنها لو لم يكن يشعر بأنّه كان بصدد الانتخاب غير المقيّد من كتاب الممتع ثمّ أخذ فيما بعد في العمل بنظام في هذا الكتاب .

وهذا كله على فرض أن المخطوطة التي وصلتنا هي الاختصار الأصلي للكتاب — أو نسخة مطابقة له — وليست نسخة محرّفة ، تصرّف فيها الناسخ ألوانًا من التصرف. وأميل إلى هذا الفرض — وهي أنّها النسخة الأصلية للاختصار — لأكثر من سبب أهمها أن تلك الاشارات السّت التي ذكرتها أعلاه أعجز من أن يشير اليها الناسخ .

وإذ قد فرغنا من ضمّ هذه الصفحات (1 — 13 ب) لمنتخب الممتع ، فلنمض — وقد كان يجب ان نفعل ذلك اولاً — إلى تحقيق نسبة هذا المخطوط للممتع كتاب عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي، الذي أفادنا عنه صاحب نثار الأزهار بفائدتين . أفادنا بعنوانه كاملاً ، وأكدّ لنا أنه للنهشلي عبد الكريم بن ابراهيم ؛ في حين أن نسخة دار الكتب تذكر لفظ « الممتع » ولفظ « عبد الكريم » وحدهما فقط . وليس يجب بالضرورة أن يكون كلّ «ممتعّ» هو ممتعّ النّهشلي ولا كل « عبد الكريم » هو عبد الكريم النهشلي . فقد نجد عدّة كتب تحمل عنوان الممتع ، وقد نجد غير واحد من الأدباء والشعراء اسمه عبد الكريم .

لكن يجب أن نحدّ من هذا التعميم والشك ، فالواقع أن اسم عبد الكريم قليل جدًّا في الأدب العربي القديم ، وبالذات قبل القرن الخامس ، فلم نقف على أحد بهذا الاسم وكذلك عنوان الممتع في المصنفات الأدبية ، فليس من المجازفة إطلاقًا . إذا كنّا على علم مسبّق بالنّهشلي وبكتابه الممتع أن نحكم بأننّا مع النسخة 54 ش بإزاء كتاب الممتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي . لكن لاسبيل إلى الاكتفاء بذلك ، فلا بدّ من التقاط إشارات واستنباط أدلة تؤكد ذلك . ومن أهمّ ما يمكن أن يساعدنا في هذا الصدد فحص كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، ففيه ما يزيد عن الاربعين نقلا حكاها عن عبد الكريم في كتابه . وقد استخرجنا جميع هذه النقول في موضع سابق وأشرنا إلى أن ستّة منها نجدها مذكورة ومتطابقة هنا وهناك وهي :

1 — خبر قتيلة بنت النضر بن الحارث مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد أنشدته أبياتًا في رثاء أبيها وكان قد قتله ، ص 15 ب .

2 — ما زعمه النّهشلي من أن أبا الطيب سمّي متنبئًا لفطنته ، ص103ب .

3 — ما أنشده عبد الكريم في ذم كسب المال من مهور النساء وأشياء أخرى عدّدها ، ص 122 أ .

4 — شعر لسحيم بن وثيل الرّياحي ، ص 84 أ .

5 — قولهم إن حسن البلاغة أن يصوّر الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، وخبر غيلان بن خرشة الضبّي مع عبد الله بن عامر ، وقد مرّ بنهر أم عبد الله فمدحه مرّة ثم ذمّه مرة أخرى ، ص 114 أ .

6 — ما زعمه النّهشلي من أن يوم فيْف الريح هو يوم طلع ، ص 145 أ.

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هناك ، بالاضافة إلى ذلك نصوصًا عديدة وآراء كثيرة وفقرات متشابهة في العمدة والممتع (1) . ورغم ترك ابن

(1) العمدة (الطبعة الاولى) ، 4/1 ، 5 ، 6 ـ 9 ، 10 ، 51 ، 59 ، 69 ، 70 ، 71 ، 59/2 ، 70 ، 75 ، 127 ، 148 ، 191 ، 218 ، 219 .

رشيق الإشارة إلى ذلك إلاّ أننا قد لا نخطيء إذا عددناها ممّا استفاده ابن رشيق من سلفه النّهشلي . ولا يجب أن نهمل هنا دلالتها غير المباشرة على توفيق صحة نسبة هذه النسخة للكتاب الأصلي « الممتع » .

ومن أهم تلك النصوص المتشابهة والتي تبدو في العمدة قبل اكتشاف الممتع عبارات شخصية من تأليف ابن رشيق أو ملاحظات طريفة انفرد بها هذان النّصان التاليان . نقدمهما هنا للمعارضة – وسنتناولهما مع غيرهما بالمناقشة ، عند البحث عن أثر الممتع في العمدة الذي سيأتي بعد.

1 – قال عبد الكريم في فضل الشعر ، ص 14 أ . «أصل الكلام منثور ثم تعقّبت العرب ذلك واحتاجت إلى الغناء بأفعالها وذكر سابقيها ووقائعها وتضمين مآثرها ... » ثم قال في ص 18 أ . « ... لمّا رأت العرب المنثورا يندّ عليهم وينفلت من أيديهم ولم يكن لهم كتاب يتضمّن أفعالهم تدبروا الأوزان والأعاريض فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء ، فجاءهم مستويًا ورأوه باقيا على مرّ الأيام فألفوا ذلك وسموّه شعرًا والشعر عندهم الفطنة ... »

وقال ابن رشيق في باب فضل الشعر : « وكان الكلام كلّه منثورًا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيّب أعراقها وذكر أيامها الصالحة و ... و ... وتدلّ أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعرًا لأنهم شعروا به أي فطنوا »، العمدة ، 5/1 = 20/1 .

2 – قال عبد الكريم تعقيبًا على قول حسان بن ثابت في قصيدة يمدح بها آل جفنة .

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المُفضِلِ

« ... وقوله ابن مارية ، للشاعر أن يسمّي الملك ويدعوه باسم أمه في الشعر وباسمه بغير كنية ، وليس ذلك بغير الشعر بجائز إلاّ ضرورة على وجه الاحتقار . وهذا من فضل الشعر » ص 40 ب .

وقال ابن رشيق في باب فضل الشعر . « ... ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه وينسبه إلى أمّه ... » العمدة . 6/1 = 22/1 .

وفيما عدا هذه الوسيلة الجيّدة التي تحقّق لنا صحة نسبة النسخة 54 ش إلى الممتع . ونعني بها تحرّي وجود النصوص التي نقلها ابن رشيق عن عبد الكريم — أو شيء منها — فيها . ولا شك أن إثبات صحة نسبة هذه النسخة للممتع هو في الوقت نفسه إثبات لكون مؤلفها هو عبد الكريم النّهشلي القيرواني . وفيما عدا ذلك نستطيع أن نؤكد الأمرين معًا بدليل قاطع لايترك مجالاً للشك أبدًا ونقصد به ذلك البيت الوارد . ضمن أبيات في المدح أنشدها عبد الكريم لنفسه . بمناسبة ذكره للهيبة ، وهو (1) .

إذا ورد المنصور أرضًا تهلّلت   وجوه رُباها واستهلّ ربابُها

فهذا الممدوح ليس غير المنصور بن يوسف بن زيري الصنهاجي (2) ثاني ملوك الصنهاجيين بالقيروان . الذي دامت ولايته من سنة 373 إلى 368 هـ (3) .

وقد نتساءل بعد ذلك : ما السرّ في كون اسم المؤلف الذي ورد في النسخة لا يزيد على عبد الكريم » فهل يصل الاختصار إلى حدّ هذا الإخلال بحق المؤلف في ذكر اسمه كاملاً ؟ لا بدّ — في الإجابة عن ذلك — إن نظن أوّلاً أن البيانات الوافية عن المؤلف وكتابه وصفة الاختصار وصاحبه قد ضاعت مع غلاف الكتاب وصفحات المقدمة والخاتمة منه . ومع ذلك فمن الجائز أن لايعرّف المؤلف بعد ذلك إلاّ بما اشتهر به . والنهشلي لم يشتهر بلقبه أو كنيته أو نسبته البيئية أو القبلية . كما يقال للجاحظ عن أبي عمرو عثمان بن بحر ، وأبي حاتم عن أبي حاتم السجستاني ، والبغدادي عن عبد القادر البغدادي ، إنّما اشتهر باسمه « عبد الكريم » مجرّدًا ،

(1) الممتع ، ص 65 أ .
(2) وهو ابو الفتح المنصور بن ابى الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد . تاريخ ابن ابى الضياف 132/1 .
(3) خلاصة تاريخ تونس ، 88 . تاريخ ابن ابى الضياف ، 132/1 وما بعدها .

فأكثر ما يذكره ابن رشيق في العمدة يذكره بذلك الاسم منفرداً . فكأنّما ساد الشعور في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس وما بعد ذلك ، بأنه لا عبد الكريم إذا أطلق سوى عبد الكريم القيرواني صاحب الممتع . فحتى أوائل القرن الثامن نجد هذا الإحساس مستمراً ، فهناك في الطرف الغربي من العالم الإسلامي نجد ابن الخطيب الأندلسي حين يختار للنهشلي أبياتاً في كتابه « السحر والشعر » لا يزيد مقدما لذلك عن قوله « قال عبد الكريم القيرواني » (1) .

وتلك القصيدة التي أنشدها النّهشلي لنفسه في كتابه الممتع (ص 65 أ) يمكن أن نتخذها إلى حدّما دليلا على شخصية . ففخامتها اللغوية وأسلوبها الرصين المحكم شبيه جداً بالمختارات الشعرية التي وجدناها له في عدّة مصادر متفرّقة (2) . ومهما يكن من وجاهة هذه القرينة إلاّ أنّها تبدو أفضل على كل حال من تلك القرينة الغريبة التي التمسها الاستاذ بويحيى (3) — ضمن قرائن أخرى — لتحقيق نسبة المخطوط للنهشلي ، فقد أشار إلى أن داعي العصبية القبلية جعلت النّهشلي التميمي يعطي للفرزدق — وهو من تميم — تلك المكانة الواسعة في كتابه التي لايضاهيه فيها أي شاعر آخر من الشعراء المذكورين في الممتع . وقد ردّ السيد بويحيى إلى هذه العصبية ما سمّاه « بالتقريظ المفرط » الذي أسداه هذا الكتاب للفرزدق ، ومضى السيد بويحيى إلى أطرف من ذلك ، حين زعم أنه ليس بدون قصد ذكر المؤلف لتلك الأبيات التي يعدّد فيها الفرزدق أجداده ومن بينهم « نهشل » .

أما أن نلاحظ عامل العصبية في دراسة النصوص العربيّة للاستعانة بذلك على فهم كثير من مسائلها ، فهذا أمر مقرّر في تاريخ الأدب العربي ، مثله مثل ملاحظة النزعة الاعتقادية لدى كل مؤلف مسلم

---

(1) راجع فيما سبق ص 93 .

(2) راجع فيما تقدم ص 72 — 98 .

(3) راجع مقاله : « ظهور كتاب النهشلي » ص 36 .

وخاصة في دائرة التاريخ لتحديد مواقفه تجاه ذوي النزعات المخالفة له . لكن أن نربط هنا في نصّ الممتع بين تعدّد ذكر الفرزدق وورود أخباره وأشعاره بكثرة متفوّقة عما عداه وبين العصبية القبلية ، أي أن نفسّر ذلك على أساس أن النّهشلي أوسع للفرزدق في كتابه وحشد ما أمكن له من المديح والتقريظ لشاعريته لكونه تميميًّا مثله . فهذا ما لا يساعدنا عليه أي دليل ، ويكفي لكي نسقط هذا الأمر من أذهاننا أن ننظر في أخبار الفرزدق في كتب الأدب المماثلة للممتع . — وإنه لمن الطريف أن يتتبعها المرء على أساس العصبية — كالكامل وطبقات فحول الشعراء والشعر والشعراء والعقد والأغاني وغيرها ، فسنجد ذكره يفوق كل شاعر عداه . وهذا غير راجع بالطبع إلى عصبية من المبرد وابن سلام وابن قتيبة وغيرهم للفرزدق ، وإنمّا يرجع أصلاً إلى حقيقة واضحة في تاريخ الأدب العربي وهي أن الفرزدق — كما يقال عنه بحق — . « لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب » و « لولا شعره لذهب نصف أخبار النّاس » ، « ومن ثمّ — كما يقول الدكتور شوقي ضيف — دارت أشعاره في كتب اللغويين والنحاة كما دارت في كتب التاريخ والأخبار » (1) . وهل معظم كتب الأدب القديمة تدور على غير الأخبار واللغة والتاريخ ؟ وعلى كلّ فلا ينبغي أن نذهب هنا إلى حدّ أن نربط بين النّهشلي والفرزدق بعصبية تميمية أو أن نعزو ورود تلك الأبيات التي ورد فيها ذكر « نهشل » إلى نيّة مقصودة من المؤلف للفخر بجدّه على لسان الفرزدق .

وبعد أن تحققنا من هويّة المخطوطة رقم 54 ش أدب — دار الكتب ، وهي أنّها نقل أو هي نسخة تصرف فيها صاحبها قدرا من التصرف مع الكتاب الاصلي من كتاب الممتع لعبد الكريم النّهشلي ، ينبغي الآن أن نبحث من الذي اختصرها ذلك الاختصار المضطرب والذي يبدو مع أنّه لم يصلنا كلّه .

---

(1) تاريخ الادب العربى — العصر الاسلامى ، 275 .

الحق أنّه من الكثير علينا الآن نظراً لقلة معلوماتنا عن الممتع نفسه وصاحبه أن تتعلق أنظارنا بالبحث عن مختصر الكتاب . أما وقد خطر لي خاطر عن ذلك ، فلّعله يكون مفيداً عرضه ، فعسى أن يكون ما توصلت اليه قريبا من الحقيقة وقد يصدق الظن في المستقبل مع توالي الاكتشافات التاريخية في الأدب العربي .

إنه لا ينبغي أن نسلّم بأنه ليس إلاّ من قبيل الصدفة المحضة أن ترتبط معرفتنا بعنوان كتاب النّهشلي كاملاً بابن منظور الإفريقي . فهو الذي — كما علمنا فيما سبق — الوحيد — فيما نعرف — الذي سجّل عنوان الممتع في نثار الأزهار . ولولاه لتوقفنا عند لفظ الممتع فقط ولما علمنا بتلك الزيادة المهمّة في العنوان وهي « في علم الشعر وعمله » . ونحن على حق إذا لاحظنا أن ابن منظور لم يكن في حاجة إلى الاشارة إلى كتاب النهشلي بهذا التفصيل في عنوانه لمجرّد أنه أنشد له أبياتاً في غرض من أغراض كتابه . صحيح أن هذه عادة قد نجدها عند بعض المؤلفين القدامى ، إذ يعرفون بعض الشخصيات الأدبية بذكر أهم مؤلفاتها الرئيسية . لكن الأمر يبدو وعلى قدر كبير من الغرابة في كتاب نثار الأزهار الذي يتميّز بطابع الاختصار .

ويجب أن نلاحظ قبل هذا أن كتاب نثار الأزهار هو في الواقع ليس لابن منظور (711 هـ) إنما ابن منظور هو المختصر لهذا الكتاب ، وأصله الجزء الأول من كتاب فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب : لأحمد بن يوسف التيفاشي (580 — 651 هـ) (1) . وكتاب التيفاشي هذا في الحقيقة هو كتاب يشتمل على عدة كتب وهو عشرة أجزاء وعنوان الجزء الأول منه « نثار الأزهار في الليل والنهار » فلما اختصره ابن منظور

(1) بروكلمان (الاصل الالماني) جـ 1 ص 495 ، ملحق 1 ص 904 . وترجم له ح ح عبد الوهاب فى آخر الجزء الثانى من كتاب ورقات فى الحضارة الافريقية .

سماه « سرور النفس إلى مدارك الحواس الخمس » (1) والتبس الأمر بعد ذلك على ناشر الكتاب فأخذ من مقدمة ابن منظور لهذا الاختصار عنوان التيفاشي وترك عنوانه . فهل يعني هذا أن الذي أفادنا أصلاً بعنوان كتاب التّهشلي هو التيفاشي ؟ . ذلك مؤكد جداً إذا اعتبرنا أن ابن منظور لم يتدخّل بشيء في سياق الاختصار ، لكن ابن منظور في الحقيقة تدخل فعلاً قبل أن يرد ذكر التّهشلي بقليل حيث قال في ص 77 من النثار المطبوع (2) : « قال عبد الله محمّد بن المكرم : مختار هذا الكتاب ..» ، ثم يجيء ذكر عبد الكريم وكتابه الممتع بعد ذلك في ص 81 دون أن يشعرنا ابن منظور — كما كان يقتضيه الأمر ذلك — بانتهاء تدخلّه والرجوع إلى نصّ المؤلف .

ومع ذلك فلا نستطيع أن نجزم من هو منهما صاحب الإشارة إلى كتاب الممتع ، فكلاهما في الحقيقة يمكن أن يكون على قدر من العلم مثل الآخر بكتاب التّهشلي ، فكلاهما من إفريقية بلد التّهشلي وهما متعاصران تقريبًا وإن يكن التيفاشي أسنّ من ابن منظور (3). لكننا يمكن أن نميل إلى ربط هذه الإشارة بابن منظور لسبب مهمّ جداً وهو كثرة

(1) راجع المخطوط رقم 2301 أدب دار الكتب .
(2) وكذا فى المخطوط المسمى سرور النفس . . (2301 ادب دار الكتب) راجع فيه ص 94 و 99 .
(3) انظر ترجمة ابن منظور فى المصادر والمراجع التالية . فوات الوفيات : 265/2 ، بغية الوعاة : 106 ، نكت الهميان : 275 ، الدرر الكامنة : 264/4 ، حسن المحاضرة : 219/1 ، مفتاح السعادة : 106/1 . روضات الجنان : 712 ، هوورات (Huart) : 380 ، الفهرس التمهيدى : 425 ، فهرس دار الكتب ، الثانى : 403/3 ، فهرس التيمورية : 292/2 ، Prenceton : 70 (فيه وصف مختار الاغانى)، آداب زيدان : 141/3 ، الاعلام : 329/7 ، بروكلمان : ج 1 ، 331 ، 492 ، ج 2 ، ص 21 الملحق ج 1 ص 226 ، 253 ، 565 ، 567 ، 897 ، ج 2 ، ص 14 . وفى مكتبة ح ح عبد الوهاب جزءان مختصران من فصل الخطاب ، اختصار ابن منظور ، وله ذكر فى لسان العرب [جرب] ، اعيان العصر للصفدى ، المعاجم العربية للدكتور نصار ، 100 ، نثار الازهار المقدمة ، المنهل الصافى لابن تغرى بردى ، السلوك للمقريزى : 114/4 ، كشف الظنون . وطبع له اخبار ابى نواس ومختار الاغانى .

ما عرف به هذا العالم من اختصارات للكتب . فقد قال صاحب نكت الهميان في ترجمته : « ما أعرف من كتب الأدب شيئًا إلاّ وقد اختصره » . وقال الصفدي في الدّرر : « لا أعرف في الأدب غيره كتابًا مطوّلاً إلا وقد اختصره » . وعندما نعرف أنهم يقولون إن مختصراته بلغت خمسمائة مجلد (1) لايعيننا الأمر قدر ما يعنينا حين نعرف أنه اختصر أيضا زهر الآداب للحصري (2) وهو كتاب معاصر لممتع النّهشلي . ومن ثمّ جاءني الظّنّ في كونه هو صاحب هذا المنتخب أو الاختيار المتبقى لدينا من كتاب عبد الكريم .

وقد أسلمني هذا الظّن إلى محاولة جديدة لترجيحه أونفيه بالمرّة . فلم أزدد إلاّ تمسّكًا برجاحته ريثما يظهر ما ينقضه ، فقد وجدت خطّ ابن منظور ، في ثلاثة كتب من اختصاراته (3) كتبها بقلمه ، مشابهًا لخط نسخة الممتع مشابهة تكاد تكون تامة ؛ لكن لا أقول تامة نظرًا لحتمية تغير خط الإنسان قدرًا من التغير من حين إلى آخر . بل إن الورق والحبر في مخطوطة بالذات (4) من الثلاث مخطوطات أشبه تمامًا بالورق والحبر المستعملين في مخطوط اختيار الممتع . ومعنى ذلك أن هذا المخطوط

---

(1) وقد قلبت دون جدوى جميع مصادر ترجمته واخباره لضبط قائمة اوسع بمختصراته فلم أجد غير هذه المجموعة : الاغانى والعقد والذخيرة واليتيمة ومفردات ابن البيطار وصفوة الصفوة ونشوار المحاضرة وتاريخ ابن عساكر وتاريخ ابن الخطيب وذيل ابن النجار على تاريخ ابن الخطيب .

(2) ويلاحظ ايضا انه لغير ابن منظور اختصار للكتاب نفسه .

(3) مختار الطبقات الكبير لابن سعد ، بخط ابن منظور وتاريخ كتابته 705 هـ . رقم المخطوط 12901 ج دار الكتب المصرية . مختصر جامع لمفردات الادوية والاغذية لابن البيطار ، من ص 73 الى آخر الكتاب ، اى الى ص 155 بخط المؤلف ، وتاريخ الفراغ من كتابته 654 هـ . شرح على نوادر ابى زيد ـ والواقع ان هذا لا يعد اختصارا وانما عددناه بينهما من قبيل التعميم ومعه شرح على كتاب « مسائية » لابى زيد أيضا . والكتابان فى مجلد واحد رقم 375 لغة تيمور ، وهى نسخة نفيسة جدا لانها جميعها بخط ابن منظور ومؤرخة فى سنة 675 هـ .

(4) المخطوطة الثالثة بين المخطوطات الثلاث الموصوفة فى التعليق السابق.

كشبيهه من القرن السابع . وهذا يطابق ما ذُكر من ناحية أخرى في وصفه في فهرس المخطوطات المصورة (1) .

ومن المشاكل التي تثيرها لنا تلك الإشارات المتقدمة (2) ما ورد في ص [127 أ] حيث نقرأ هذه العبارة : « ... نجز اختيار الأول والثاني من كتاب عبد الكريم وهذا أول اختيار الجزء الثاني ... » . فنحن نستفيد أوّلاً ، ومن هذه العبارة وحدها ، أن الكتاب الأصلي يقع في أجزاء متعدّدة، وندرك في الوقت نفسه أن في العبارة غموضًا ما أو سهوًا ، وليس بإمكاننا أن نحكم باطمئنان أن الكاتب سها فكتب « الجزء الثاني » وهو إنمّا يقصد « الجزء الثالث » ، لأنّ تقسيم الكتاب أصلاً غير معروف لدينا ، ومع أن ورود هذه الإشارة ، من جهة أخرى ، بعد انقضاء ثلاثة أرباع المخطوط تغرينا بالأخذ بذلك ، لكن يمنعنا في الواقع عن هذا الترجيح كون خاتمة النسخة مشكوكا فيها ، لأنّها مسطورة على ورق حديث وبخط مغاير ، زيادة على كون البيانات التي تحملها خاطئة قطعًا .

بيد أننا نستطيع أن نميل إلى ترجيح ذلك ، رغم الاعتراض الذي رأيناه ، أي نستطيع أن نميل إلى أن صاحب الاختيار قد اختصر ثلاثة أجزاء من كتاب النّهشلي . وربما يكون الكتاب الأصلي في أكثر من ثلاثة أجزاء إلاّ أن هذا أمر آخر لا مبرر للخوض فيه. وإنمّا حسبنا الآن أن نحاول إزالة الغموض عن هذه الإشارة فقط . وذلك بافتراض أن توضيح العبارة يكون في الغالب بأقل ما يمكن من التصحيح . فلو كان الكتاب في أقسام وكل قسم في أجزاء لاقتضى ذلك قدرًا كبيرًا من مؤاخذتنا لمن كتب هذه العبارة على تقصيره في تبيين تجزئة الكتاب ما دام قد عرض لها ،

---

(1) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ص 421 .

(2) راجع ص 158 و 159 .

بينما افتراض أقل ما يمكن من السهو بالنسبة له أمر أقرب إلى الحُسْبان . فعلى ذلك يكون تصحيح عبارته : « نجز اختيار الجزء الأول والثاني من كتاب عبد الكريم وهذا اختيار الجزء الثالث » .

ويبدو أن ملاحظة الشيخ الشنقيطي على أن النسخة 54 أدب ش هي « قطعة من اختيار الممتع » صحيحة ، ونستطيع أن نفسرّها على ضوئين :

أولاً — أن الكتاب لو كان ينتهي بالجزء الثالث لقيل كما تقتضي الدقة في التآليف أو في الاختصار « ... وهذا اختيار الجزء الثالث والأخير » .

ثانيا — وهو ما لاحظناه سابقًا. أن نهاية المخطوط مشكوك فيها لما تحمله من البيانات المضلّلة .

وتبقى هناك نقطة أخرى في تلك الإشارات السابقة ، تدعو للبحث وهي التعرّف على اهتمامات صاحب الاختصار ومنهجه في عملية الاختصار نفسها . أما اهتماماته فغير واضحة لدينا لأن ذلك في الحقيقة لا يمكن أن يقوم إلاّ على مقارنة بين الأصل والمختصر . أمّا منهجه في الاختصار فلنا عليه عدّة ملاحظات نسوقها فيما يلي :

أولاً — هناك لدينا لفظتان ، « منتخب » و « اختيار » مستعملتان معًا داخل النسخة . ونحن نعرف من جهة أخرى كلمة « مختصر » وهي غير مستعملة هنا ، لكنها موجودة ومستعملة مع ذلك في كتب مماثلة . وينبغي أن نلاحظ أن هذه الكلمات الثلاث غير مترادفة فيما بينها ، وبالذات عبارة « الاختصار » هي غير « الاختيار » : فإذا ساوينا في الدلالة بين « منتخب » و « اختيار » ، فإن « مختصر » أو « اختصار » تحمل معنى مباينًا إلى حدّما عما تحمله اللفظتان الأخريان . فالاختصار — كما أرى — بمعنى العمل على نقل الأصل بإيجاز ، شديد أو قليل ، لجميع محتوياته ، بحيث

المفروض في عملية الاختصار حذف التفاصيل والأسانيد، ونحو ذلك وتحوير العبارة تحويرًا ما بحيث تبدو مختصرة وربمّا اختلاف الترتيب والتبويب. لكن الاختيار أو الانتخاب على خلاف ذلك. وهو أفضل بالنسبة للأصل من بعض الجهات. فالعمل يقوم في الانتخاب على الإبقاء على المواد المفضّلة في الأصل كما هي عليه في الغالب وإسقاط ما عداها. لكن ليس ما يمنع مع ذلك من التصرّف المطلق في الأصل كيفما أراد المتصرّف فيه دون تقيّد بالتفريق الذي بيّناه. وعلى ذلك فالمرء يقف حائرًا أمام هذا الشكل الذي وصلنا عليه كتاب الممتع. ولا شكّ أن السبب في ذلك يعود إلى افتقادنا لمقدمة الاختيار نفسه. فابن منظور مثلاً يصرّح في مقدمة اختصاره لكتاب نثار الأزهار بأنّه غيّر عنوان الكتاب لأنه لم يرض، لاعتبارات ذكرها، على عنوان المؤلف الأصلي (1). وابن برّي مختصر كتاب زهر الآداب للحصري صرّح هو الآخر في المقدمة بأنه شرح كثيرا من الكلام المنثور والشعر المستغلق وأشار إلى أنّه أضاف زيادات يسيرة (2). وهذا كله يثير في نفس الباحث الشك في كون كتاب الممتع قد خضع تحت يد منتخبه لمثل هذه الأشياء.

ثانيا — من الملاحظات أو المآخذ التي يمكن أن نأخذها على صاحب الاختيار أنّه لم يهتم بالمحافظة على تبويب الكتاب ولم يسقط تمامًا التبويب. فنحن نجد عناوين كثيرة تبدأ بعبارة « باب في كذا » (3) وأبواب أخرى حقّها أن تكون لها عناوين وتسبقها عبارة باب وتكون كغيرها بارزة بخط غليظ تخلو من ذلك (4). هذا إلى أن محتوى كثير من الأبواب ليس متجانسا مع العنوان الذي يتخذه الباب (5).

---

(1) راجع مقدمة نثار الازهار.
(2) راجع اقتطاف الزهر واجتناء الثمر، لابى الحسن على بن محمد بن على ابن برى، مخطوط بدار الكتب المصرية.
(3) وعددها عشرون مرة.
(4) انظر خاصة قوله. « ومما قيل فى العتاب » ص 138 أ وراجع الفهرس.
(5) انظر خاصة باب العفو عمن اذنب.

ويلاحظ هنا أيضًا أن صاحب الاختيار يختصر في الأصل اختصارات مخلّة بالسياق (1) . ويبدو في اختصاره أحيانًا بتر في المعنى وقلة وضوح في السياق كما في قوله ص 107 ب : « ولمّا عزل مسلمة عن العراق وولى عمر بن هبيرة ... » فهذا النصّ في الكامل للمبردّ (100/2) كالآتي : « ولما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلّب لحاجة الخليفة إلى قرية وولي عمر بن هبيرة ... » ، وبعد ذلك ترد في نصّ الاختيار أبيات للفرزدق متصلة بالخبر ثم يقول : « ... ولمّا ولي خالد بن عبد الله القسري قال ... » وأورد بيتًا ، فالمفهوم أنّه للفرزدق ، لكن الحقيقة أنّه لغيره ويوضح ذلك بقية نصّ الكامل المتقدم ، قال المبرّد : « وفي جواب هذا يقول الأسدى (2) لمّا ولى خالد بن عبد الله القسري ... » وورد البيت نفسه الذي ورد في اختيار الممتع ومفهوم منه أنه للفرزدق .

ومن قبيل الاختصار المخلّ أيضًا خبر مهاجاة المرّار الفقعسي ومساور ابن هند ، فإنه حذف اسم المرّار وعوّضه « يقال الشاعر » وأثبت البيت الذي يهجو به المرّار مساور بن هند (3) .

ومن ذلك أيضًا تغيير الكلمات الغريبة في النصّ بمرادفها فقد جاء في العمدة نصّ مماثل لما في الممتع وفيه قوله : « أقلّ للسكاك أي الزحام » (4) في حين أن العبارة في اختيار الممتع « أقل للزحام » . ولاشك أن ذلك من قبيل الاختصار ومثله اختصار عبارات التبجيل (5) ويبدو ذلك واضحا بالمقارنة بين النصّ في 89 ب من الاختيار ومثله في الكامل للمبرّد (6) فيما عدا الصلاة على الرسول والترضّي على الصحابة فهما باقيان بنص الاختيار .

---

(1) راجع ص 76 أ ، التعليق رقم 1 و 43 ب فى التعليق رقم 1 .
(2) فى رغبة الآمل . أنه اسماعيل بن عمار الاسدى .
(3) راجع ص 20 أ 1 .
(4) العمدة : 27/1 .
(5) Eulogie
(6) انظر ص 89 ب والتعليق رقم 1 .

ورغم ما تثيره هذه الملاحظات مما قد يكون من إخلال كبير بالأصل إلاّ أن الأمر يهون عندما نلاحظ أيضًا أننا نجد به قصائد كاملة وأحيانا تشتمل على أكبر عدد ممكن من أبيات القصيدة بالمقارنة للمذكور منها في المصادر الأدبية المختلفة (1). وهذه الملاحظة بالذات تعكس لنا رغبة المختصر في أن لايحذف إلاّ ما لا يكون المتأدّب في غنى عنه كالأسانيد ونحوها . إلاّ أننّا يجب أن نأسف مع ذلك على افتقادنا لتلك النصوص النقدية الهامة التي نراها في العمدة منسوبة لعبد الكريم ومستقاة من كتابه الممتع ، ولكنّها تخلو منها نسخة الاختيار . وإذا لم نفرض أنها ربّما تكون في القطعة المفقودة من الاختيار ، فيجب أن نأخذ صاحب الاختيار على إهمالها ما لها من الأهمية التي ينبغي أن لا تغيب عن عين متأدبّ .

(1) راجع قصيدة ابن ابى عيينة وأخيه ص 79 وما بعدها .



خاتمة

يتجلى من خلال الدراسة أن عبد الكريم النهشلي المتوفى سنة 405 هـ . كان أحد أقطاب الحركة الأدبية والشعرية بالقيروان في النصف الثاني من القرن الرابع . وما وصلنا من شعره يدلّ على أنّه كان من طبقة الفحول . وأنّه ربّما كان يتفوّق في الأغراض التقليدية على سائر الشعراء القيروانيين ، ممن كان ينتظمهم وإياه عمود الشعر .

وميزته أنه كان من الشعراء أصحاب المجاميع الأدبية ، وعددهم قليل في تاريخ الشعر العربي . وكتابه « الممتع في علم الشعر وعمله » . الذي وصلنا منه اختيار ، يضعه هو والقزاز – الذي أفردناه بدراسة سابقة – في صفّ الشعراء النقاد ، الذين مهدوا لظهور تلك المدونة النقدية الكبرى التي ألّفها ابن رشيق ، وهي كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » ، والذين مهّدوا كذلك لظهور تلك المدرسة الأدبية المتعددة المواهب والأفراد ، التي أينعت بالقيروان والمهدية وصقلية طوال النصف الأول من القرن الخامس .

وفي عالم أدبي تسوده وحدة لغوية وثقافية ودينية متينة ، كانت مضاهاة أهل المغرب لأهل المشرق في جنس أدبهم وإنتاجهم أقوم سبيل للمنافسة والتجويد والشهرة ، دون الأخذ بمذاهب المبتدعين ،

إلاّ من تأكدت شهرتهم وطاولوا القدامى المتقدّمين بشعرهم . وكذلك كان إنتاج المدرسة القيروانية في التأليف الأدبي لا يخلو من دُرَر فريدة ، كانت محط أنظار جهابذة علماء المشرق ، ولا تزال تلك الدرر إلى اليوم نماذج مضيئة في تاريخ الأدب العربي . ولا يغضّ من الممتع قول من ينظر فيه ويتمثّل بقولة الصاحب بن عباد « هذه بضاعتنا ردّت إلينا » لأنّ العقد الفريد وزهر الآداب وكذلك الممتع كلها مؤلفات لا نظير لها في كتب المشارقة . وإنها وإن حوت في الأكثر مادة الأدب في المشرق دون المغرب ، إلا أنّها جمعت وصنّفت تلك المادة المشاعة جمعا وتصنيفا لم تُسبق إليه ، فضلاً عما نسجته حولها من الشروح والتصحيحات والاستدراكات والملاحظات الوجيهة ، ممّا يَغْنَى بمثله تاريخ الأدب العربي ، وممّا يصوّر عبقرية أصحابها الخاصة في الهضم والاستيعاب .

وباكتشاف هذه القطعة الفريدة من اختيار الممتع لعبد الكريم – وهو مأثرته الوحيدة الباقية – تقع أيدينا على أهم مصدر من مصادر العمدة لابن رشيق ، ويتضّح بالمقارنة بين الممتع والعمدة أن معظم الأخبار الأدبية والأحكام النقدية التي كان يظنّ حتى عهد قريب أن ابن رشيق استقاها من مصادر مشرقية ، لم يستقها في الحقيقة وفي الغالب إلاّ من مصادر قيروانية ، أشهرها ممتع النهشلي ومؤلفات القزاز وأضرابهما ممّا يدل على أنّ البيئة الأدبية الإفريقية قد تمثّلت ، مثلها مثل البيئة الأندلسية، تراث الشعر والنثر العربيين في عصورهما السابقة، وصاغتهما كل حسب مهجتها وعبقريتها في اختيارات ، وكما يقال « اختيار المرء جزء من عقله » !

ولذلك فما نفتقده في العمدة من نصوص قيروانية أو إفريقية عامة نفتقده كذلك في الممتع ، عدا شذرات هنا وهناك للمؤلف نفسه أو

لبعض معاصريه من القيروانيين . وسبب هذا الفقد يرجع في الغالب إلى تأخر ظهور المجاميع الأدبية المتخصصة في الأقاليم الحديثة عهدا بالأدب العربي كإفريقية والأندلس وخراسان . ويعتقد أن أنموذج ابن رشيق ، والروضة له ، هما أقدم ما عرفته البيئة الإفريقية من كتب خاصة في طبقات شعرائها .

وكذلك فإنّه يكون من السابق لأوانه تلمّس صفة مّا قيروانية أو إفريقية في كتاب النهشلي ، على الأقل في الصورة المختصرة التي بقي لنا بها الممتع . دون أن ينفي ذلك بطبيعة الحال ظهور شخصية النهشلي من خلال اختياره وشروحه ونظراته . وحتى حديثه الذي نقله صاحب العمدة عن تأثر الأدب بالمقامات والأزمنة والبلاد واللهجات ، فلا يمكن عدّه من خصوصيات أهل المغرب على أهل المشرق ، بل الأصح نسبته إلى مؤلفه وردّه إلى ذوقه الفنيّ ونظره النقدي .

وأمّا عن أهمية الممتع في عداد كتب المجاميع الأدبية في المشرق والمغرب ، كالكامل للمبرد وأمالي أبي علي القالي والعقد الفريد لابن عبد ربّه وزهر الآداب للحصري ، فيمكن اعتبار الممتع وزهر الآداب أهم كتابين من نوعهما في تاريخ الأدب العربي عامة ، لما يمتازان به من شمول وترتيب ، ولما يقدمانه من مادة غزيرة مناسبة لثقافة الشاعر والناثر ومناسبة كذلك لممارسات الناقد ومدارساته .

ويبدو أن الأغراض التعليمية بالقيروان كانت أحرص على هذا النوع من التأليف ، ليس فقط لأنّه ينسّي بصورة محكمة ملكة اللّغة العربية وآدابها في أجيال ناشئة العرب والبربر بإفريقية ، بل ولأنّه أنسب كذلك من الكتب المطولة المتخصّصة كالأغاني الموضوع في الأصوات والكامل الموضوع في اللّغة ، وكتب الأمالي والمجالس التي يغلب الارتجال فيها

على التحقيق والضبط ، والتي زعم نفر من علماء المغرب أنهم إنّما هم مقلوّن عن علماء المشرق وفرة في التأليف لما هم منشغلون به في الأكثر من تصحيحات واستدراكات في كتب المشارقة !

ولعله لا يزال ذلك ديدن عامة أهل تونس والمغرب إلى اليوم لنزوعهم الدائم إلى سلامة اللغة والمحافظة على استقامة أساليبها البيانية الموروثة .

م . ك

فهـــرس *

* مرتب بحسب المشهور من الاسم : أبو الفرج الاصفهانى ، بشار بن برد ، الحصرى ، ابن عبد ربه ... الخ .
حرف (ت) بعد الرقم اشارة الى وجود الاسم فى التعليق بأسفل الصفحة .

فهرس المصادر والمراجع

[لما كانت المصــادر والمراجــع المستخدمة فى هذه الدراسة وفى التحقيق الذى سبق نشره ، مستقلا ، بعنوان « اختيــار من كتــاب الممتع فى علم الشعر وعمله » وافرة ، وعدد منها روجعت طبعــات مختلفة منه وعدد آخر لم يقع الرجوع اليه الا فى مواضع قليلــة ، فكان الاختيار ان تقع الاشارة كاملة لكل مرجع او مصدر فى أول موضع يعرض به فى الكتاب ، ثم يختصر فى المرات التالية بحسب الكلمة الاولى من عنوانه او اسم مؤلفه اذا لم يقع الرجوع الا الى كتاب واحد له ، واحيانا يذكر الكتاب مع تاريخ طبعه أو مكانه دون تاريخ حين يكون عرضة للالتباس بغيره] .

ابراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1965 .

الآمــــدى ، **الموازنــة بين الطائيــين** ، تحقيــق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبع القــاهرة .

ابن أبى عون ، **كتاب التشبيهات** ، نشر جامعة كمبردج 1369/1950 .

ابن الاثير ، **كفاية الطــالب فى نقد كلام الشاعر والكــاتب** ، مخطوط بمكتبــة الجامعة التونسية رقم 4372 .

ابن بــرى ، **اقتطاف الزهر واجتناء الثمر** ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

ابن حــزم ، **الجمهرة** ، طبع القاهرة .

ابن الخطيب ، **كتاب السحر والشعر** ، مصورة عن مخطوطة الاسكوريال رقم 456 (تحت الطبع بتحقيق هلال ناجى ومنجى الكعبى) .

ابن خلكـان ، **وفيات الاعيان** ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبـع بولاق ، 6 أجزاء ، القاهرة 1948 .

ابن رشيق ، **العمدة فى صناعة الشعـر ونقده** ، نشر محمـد بن النعسانى ، مصر 1907/1325 . نشر محمد محى الدين عبد الحميد ، مصـر 1963 .

ابن ظافر الازدى ، **بدائع البدائه** ، طبع على هامش معاهد التنصيص ، المطبعـة البهية ، القاهرة 1898/1278 ، جزءان .

ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، طبع القاهرة، 1940.

ابن العـربى ، **محاضرة الابـرار** ، طبع القاهرة .

ابن فرحون ، **الديباج المذهب فى علماء المذهب** ، طبع بمصر .

ابن منظـور ، **لسـان العـرب** ، طبع بيروت .

ابن منظـور ، **نثار الازهار فى الليل والنهار** ، طبع القسطنطينية 1298 .

ابن منظـور ، **مختار الطبقـات الكبير لابن سعـد** ، مخطـوط 12901 ج دار

ابن منظـور ، **شرح نوادر ابى زيد** ، مخطوط 375 لغة ، دار الكتب المصرية .

ابن الوراق الكتبى ، **مباهج الفكر ومناهج العبر** ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 359 طبيعة .

ابو بكر بن خير ، **فهرست ما رواه عن شيوخه** ، طبع سرقسطة 1893 .

ابو الفرج الاصفهانى ، **الاغانى** ، طبعة دار الكتب المصريه 1923 (16 جـزءا) وطبعة بولاق ، القاهرة مع **جدول كتاب الاغانى الكبير** ، اعداد اغناطيوس غويدى ، مطبعة بريل ، ليدن 1900 جـــزءان .

أحمد فؤاد الاهوانى ، **التعليم فى رأى القابسى** ، طبع القاهرة .

البحترى ، **ديوانه** ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف مصر 1963 .

بروكلمان ، **تاريخ الادب العربي** (قيشيخت در أرابيشن ليتيراتور) ، مجلدان وثلاثة ملاحق ، طبيع بريل ليدن .

البغدادي ، **هدية العارفين من اسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، طبع اسطنبول ، 1955 ، جزءان .

التيفاشي ، **فصل الخطاب** ... :

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، ج 1 .

طلل الاسحار على الجلنار في الهواء والنار ، ج 2 .

نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 2301 أدب .

الجاحظ ، **الحيوان** ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبع القاهرة .

حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، طبع اسطنبول 1941/1360 .

حسن حسني عبد الوهاب ، **بساط العقيق في حضارة القيروان شاعرها ابن رشيق** ، طبع تونس 1941/1330 .

حسن حسني عبد الوهاب ، مجلة « **البدر** » التونسية (1340/1921) العدد 2 ، ص 542 ـ 547 .

حسن حسني عبد الوهاب ، **المنتخب المدرسي في الادب التونسي** ، طبعة ثانية ، القاهرة ، 1944 .

حسن حسني عبد الوهاب ، **ورقات في حضارة افريقية العربية التونسية** ، طبع تونس 1966 .

حسين المرصفي ، **رغبة الآمل** ، ط. القاهرة .

الحصري ، **زهر الآداب** ، بتحقيق زكي مبارك ، ط. القاهرة ، وبتحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1953 .

الدباغ وابن ناجي ، **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان** ، اربعة كتب في جزئين ، تونس 1320 .

الرعيني ، **برنامج الرعيني** ، بتحقيق ابراهيم شبوح ، ط. القاهرة .

الرقيق ، **تاريخ افريقية والمغرب** ، بتحقيق منجي الكعبي ، ط. تونس 1968 .

الزركلى ، **الاعلام** ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1373 ـ 1954/78 ـ 59 عشرة أجزاء .

الزوزنى ، **شرح المعلقات** ، ط. القاهرة .

السيوطى ، **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة** ، القاهرة 1908/1326 .

الشاذلى بويحى ، **ظهور كتاب عبد الكريم النهشلى** (بالفرنسية) فى مجلة « ارابيكا » مجلد 10 فصلة 3 ، ص 237 ـ 252 .

الشاذلى بويحى ، **نقد الورقات** ، مجلة حوليات الجامعة التونسية (1966) ع 3 ص 215 ـ 227 .

شوقى ضيف ، **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى** ، طبع دار المعارف القاهرة .

شوقى ضيف ، **تاريخ الادب العربى ، العصر الاسلامى** ، طبع دار المعارف القاهرة .

الصفدى ، **الوافى بالوفيات** ، نشر ديدرينغ ، اسطنبول ، 1949 .

عبد الرحمان ياغى ، **حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها** ، طبع بيروت 1961 .

عبد الرؤوف مخلوف ، **ابن رشيق** ، سلسلة نوابغ الفكر العربى عدد 32 السنة 1964 .

عبد الرؤوف مخلوف ، **ابن رشيق الشاعر والناقد** ، سلسلة اعلام العرب عدد 45 السنة 1965 .

عبد العزيز الجرجانى ، **الوساطة بين المتنبى وخصومه** ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، القاهرة 1945 .

عبد العزيز الميمنى ، **النتف من شعرى ابن رشيق وزميله ابن شرف** ، طبع مصر 1343 .

عبد الكريم النهشلى ، **الممتع فى علم الشعر وعمله** ، مخطوط دار الكتب المصرية ، أدب 54 ش .

فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ، تصنيف فؤاد سيد ، 3 اجزاء .

القفطي ، **انباء الرواه بانباه النحاة** ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، طبع القاهرة .

قدامة بن جعفر ، **نقد الشعر** ، تحقيق بونيبكر ، طبع ليدن .

لبيد بن ربيعة ، **ديوانه** ، تحقيق احسان عباس ، طبع الكويت 1962 .

مجهول ، **الاستبصار فى مسالك الامصار** ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، طبع دار المعارف الاسكندرية .

محمد أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الاسلامية** ، طبع القاهرة .

محمد كامل حسين ، **أدب مصر الفاطمية** ، طبع القاهرة .

منجى الكعبى ، **قصة حيوان الوحش فى الشعر القديم** ، دراسة بكلية الآداب جامعة بغداد .

منجى الكعبى ، **القزاز القيروانى ، حياته وآثاره** ، طبع تونس 1968 .

النويري ، **نهاية الارب فى فنون الادب** ، 18 جزءا ، القاهرة 1923 ـ 1955 .

النيفر ، **عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب** ، طبع تونس (د. ت) .

الفهـــرس

انتهى طبع هذا الكتاب
بمطبعة الدار التونسية للنشر
فى رجب 1398/جوان 1978
– تـــونس –

عدد الناشر : 78 – 13 – 400

« ... عبد الكريم النهشلي المتوفى سنة 405 هـ ، كان أحد أقطاب الحركة الادبية والشعرية بالقيروان فى النصف الثانى من القرن الرابع . وما وصلنا من شعره يدل على أنه كان من طبقة الفحول . وأنه ربما كان يتفوق فى الاغراض التقليدية على سائر الشعراء القيروانيين ، ممن كان ينتظمهم واياه عمود الشعر .

وميزته أنه كان من الشعراء أصحاب المجاميع الادبية ، وعددهم قليل فى تاريخ الشعر العربى . وكتابه « الممتع فى علم الشعر وعمله » ، الذى وصلنا منه اختيار ، يضعه هو والقزاز ـ الذى أفردناه بدراسة سابقة ـ فى صف الشعراء النقاد ، الذين مهدوا لظهور تلك المدونة النقدية الكبرى التى ألفها ابن رشيق ، وهى كتاب « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » ، والذين مهدوا كذلك لظهور تلك المدرسة الادبية المتعددة المواهب والافراد ، التى أينعت بالقيروان والمهدية وصقلية طوال النصف الاول من القرن الخامس » .

حسن أبو يوسف اللويثي

الدار العربية للكتاب : المقر الرئيسى : عمارة « وفاء »
شارع غومة المحمودى ـ طرابلس ـ ص ب : 3185
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الهاتف 47.287
الفرع الرئيسى : 43 مكرر شارع جوغرطة « ليسبس سابقا »
تونس ـ الجمهورية التونسية ـ الهاتف : 282.100

الثمن : 1،800 د.ل. ـ 2،520 د.ت.